إفحام المخالفين
بمن
عندهم من المعتبرين

تعليم الشرك باسم التوحيد

(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ).

حكى ابن حجر الهيتمي إجماع الحنابلة على أن من يجعل بين وبين الله تعالى وسائط يدعهم ويسألهم كفر إجماعاً[1].

وحكى الحافظ ابن رجب عن أحمد أنه كان يدعو فيقول: « اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصُنه عن المسألة لغيرك »[2].

روى ابنه التاج السبكي[3] قول ابن القماح:

فاضرع إلى الله الكريم ولا بَشَراً فليس سواه كاشف

قال البيهقي: « ومن أسمائه الغياث ومعناه: المُدركُ عبادَه في الشدائد. قال ρ في حديث الاستسقاء: « اللهم أغثنا اللهم أغثنا »[4].

قال القرطبي عند شرح اسم الله (غياث المستغيثين): « يجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا

---

(1) الإعلام بقواطع الإسلام 95 وانظر هذه الفتوى الفروع لابن مفلح 165/6 الإنصاف للمرداوي 327/10 وغاية المنتهى للمرعي 355/3 والإقناع وشرحه 100/4 .

(2) جامع العلوم والحكم 283 .

(3) طبقات السبكي 92/9 محققة .

(4) الأسماء والصفات 88 .

الله »[1].

حكى الشيخ أحمد الرفاعي في كتاب (حالة أهل الحقيقة مع الله ص92): « أنّ أحد الصوفية استغاث بغير الله فغضب الله منه وقال: « أتستغيث بغيري وأنا الغياث »؟

{ **وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** }.

{ **وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** }، قال رسول الله ρ : « أصيحابي أصيحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ».

لما ألقي إبراهيم في النار أتاه جبريل فقال له: « ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا ».

قال الزبيدي: « وقبيح بذوي الإيمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى: { **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** }[2].

أضاف « ليعلم العارف أن المستحق لأن يُلجأ إليه ويستعان في جميع الأمور ويُعوّل عليه هو الواجب الوجود المعبود بالحق الذي هو مولى النعم كلها... ويشغل سره بذكره والاستغناء به عن غيره »[3].

أن رجلاً جاء للنبي ρ : «ما شاء الله وشِئتَ. فقال: أجعلتني لله نِدّاً؟ قل ما شاء الله وحده». وسئل ρ أي الذنب أعظم؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك)). قال الشيخ ملا علي قاري: « أي تجعل نظيراً لله في دعائك وعبادتك »[4].

{ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** }.

{ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** }.

{ **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** }.

{ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ**

---

(1) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى 287/1 ط: الصحابة بطنطا .

(2) إتحاف السادة المتقين 498/9 .

(3) 119/5 .

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 218/1. محققة .

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح: 23] قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا بنَوْا لهم الصور والتماثيل.

قال ابن جرير رحمه الله: "حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صَوّرنا صُوَرهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة، فصوّروهم: فلمّا ماتوا، وجاء آخرون: دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، **وبهم يُسقوْن المطر**، فعبدوهم » وروى ابن الجوزي مثله[1].

{ **أفَرَأيْتُمُ الّلاَتَ وَالعُزَّى** } [النجم: 19] روى ابن جرير بإسناده عن مجاهد قال: كان رجل صالح يلتُ السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره[2].

{ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** } [الأحقاف 5].

{ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ** } فيقف العابدون والمعبودون { **فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ** } أي فرقنا بينهم { **وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** }. ما كانت عبادتكم في الحقيقة موجهة إلينا { **فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ** } أي ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا، وهذا مصداق قوله تعالى: { **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** } وقوله: { **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** } وقوله: { **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** }.

---

(1) تفسير الطبري مجلد 12 ج29 ص 62 زاد المسير لابن الجوزي 373/8 – 374 .

(2) تفسير القرطبي 66/17 تفسير الطبري مجلد 11 ج27 ص35 .

{ **هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** } [يونس 5].

{ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** }. فيقولون: { **تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ** }.

{ **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ** }.

{ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا** } [النساء: 117].

ويقولون: { **بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا** }.

{ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** }.

{ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ** }.

{ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ** } وهذا شامل للأصنام والقبور.

{ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** } [الحج: 73].

{ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا** }.

{ **لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا** }.

{ **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ** }.

{ **مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** }، { **لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** } { **فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً** }.

{ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** } [النحل: 20].

قال الطبري عند تفسير قوله تعالى: { **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّـهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** }: « كانت العرب تقر بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك به في عبادته »[1]. قال ρ لابن عباس: « إذا سألت فاسأل الله ».

قال ابن حجر الهيتمي: « فاستعن بالله » أي لِما علمت أنه القادر على كل شيء. وغيره عاجز عن كل شيء حتى عن جلب المصالح لنفسه... ونعوذ بالله من اعتقاد نفع أو ضر في غيره تعالى فإن ذلك عين الشرك الأصغر: بل الأكبر"[2].

وقال إبراهيم ρ لقومه: { **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** }. قال: { **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** }.

{ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي** }.

{ **يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ** }، { **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ** }.

{ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** }، { **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** }.

((يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار: فإني لا أملك لكِ من الله ضرًّ ولا نفعاً))، وفي رواية: ((لا أغني عنك من الله شيئاً)) وفي رواية: ((لا أملك))[3].

{ **أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ، إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** }.

{ **فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** }.

{ **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ**

---

(1) تفسير الطبري 128/1 .

(2) فتح المبين شرح الأربعين ص173-174 .

(3) متفق عليه.

فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ }.

حجّة رازيّة أشعريّة

قال الرازي في تفسيره (285/26): « اعلم أنّ الكفار أوردوا سؤالاً فقالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى: { **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ** } [الزمر 43] **وتقرير الجواب:**

أن هؤلاء الكفار: إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها.

والأول باطل: لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة منها؟

والثاني باطل: لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله. فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة. فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره » انتهى كلام الرازي رحمه الله.

بين قبر اليوم وصنم الأمس عند الرازي

وذكر الرازي كذلك أن المشركين « وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى.

قال: **ونظيره في هذا الزمان:** « اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم

يكونـون لهم شـفعاء عنـد الله »[1]. انتهـى كلامـه وهو نفيسٌ جـداً. وصدور مثل هذا الكلام من رجل من عظماء الأشاعرة هو حجة عليهم، فهل يصير الرازي عندهم « وهابياً » بعد هذا؟.

وذكر التفتـازاني أن شـرك المشركين وقـع حيـن « مـات منـهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالاً على صورته وعظموه تشفعاً إلى الله تعالى وتوسلاً »[2].

كلمات ذهبيّة للجيلاني

قـال الـشيخ عبـد القـادر الجيلانــي رحمـه الله: « يـا مـن يـشكو الخلـق مـصائبه، ايـش ينفعك شـكواك إلـى الخلـق لا ينفعونـك ولا يضرونك وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعـدونك، وفـي سـخطه يوقعونـك... أنـت يـا جاهـل تـدعي العلـم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق... ويلك أما تستحيي أن تطلب من غير الله وهو أقرب إليك من غيره»[3].

وقـال لولـده عنـد مـرض موتـه: « لا تخـف أحـداً ولا ترجـه، وأوكل الحوائج كلها إلى الله، واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عـز وجـل، ولا يعتمـد إلا عليـه سـبحانه، التوحيـد، وجمـاع الكـل التوحيد »[4].

أما إبراهيم الخواص فقد قرأ قوله تعالى: { **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** } ثم قال: « ما ينبغـي للعبد بعد هذه الآيـة أن يلجـأ إلى أحد غير الله »[5].

سؤال قرآني مُوجّه إلى المشركين

---

(1) التفسير الكبير للرازي 59/17–60 وقال القرطبي كلاماً مثل ذلك في تفسيره للآية (104) من سورة البقرة .

(2) شرح المقاصد للتفتازاني 4/ 41–42 .

(3) الفتح الرباني والفيض الرحماني 117–118 و159 .

(4) الفتح الرباني 373 .

(5) إحياء علوم الدين 244/4 إتحاف السادة المتقين 389/9 .

{ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: 38]. فمن لم يكتف بدعاء الله وحده لم يكن حسبه الله، قال قتادة في هذه الآية « سأل النبي ρ المشركين فسكتوا » أي سألهم: هل هن كاشفات ضره؟ هل هن ممسكات رحمته؟ فسكتوا لأنهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الضر والنفع ولو كانوا يعتقدون العكس لأجابوا. وإنما كانوا يتخذونها وسائط وشفعاء عند الله.

النصارى لا يعتقدون أن مريم تخلق نفعاً

{ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ }. ومع اعتقادهم أن النبي ρ لا يخلق نفعاً فما زالت هناك مشابهة بينهم وبين النصارى الذين لا يعتقدون أن مريم تخلق نفعاً ولكنهم يطلبون منها أن تشفع لهم عند الرب وتخلصهم وتقضي حوائجهم، فحكم الله بتأليههم لها. لأنهم كانوا يدعونها مع الله كما في تفسير قوله تعالى: **{ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً }**. قال ابن عباس ومجاهد: « وهم: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم »(1). وكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد دعا من لا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلا.

ولما أراد نوح أن يدعو الله لإنقاذ ولده قال الله له: **{ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ }**.

اتركوا دعاء من لا يملك نفعاً ولا ضرّاً

{ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ } [يونس 106]، لم يقل ولا تدع ما لا يخلق نفعاً وإنما المعنى: لا تدعُ من

---

(1) تفسير البغوي 101/5 محقق .

تعلم أنه لا يضر ولا ينفع!

{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ }. [الأعراف: 197] لم يستثن الله نبياً ولا ولياً ممن لا ينصرون غيرهم ولا ينصرون أنفسهم.

فهذه الآية نص صريح على تحريم دعاء من لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا يملك نصراً، وإلا فإن فعل فقد رُدّ على أعقابه إلى الضلالة بعد إذ هداه الله كما قال تعالى: **{ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ }** [الأنعام: 71].

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } [الأحقاف: 5]. وهذه صفات مشتركة بين الأصنام والقبور. وقد جمع الله بينهما في آية واحدة فقال: **{ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ }** [النمل: 80]. وقد استدل ابن الهمام بهذه الآية على عدم سماع الأموات وأن عدم سماع الكفار فرع عدم سماع الموتى(1).

وهذه الآية مفسرة بقوله تعالى: **{ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }** وأفضل التفسير: تفسير القرآن بالقرآن.

وجاء في الفتاوى البزازية: « من قال أن أرواح المشايخ حاضرة تُعلم: يكفر. وقال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان الجياني: ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله وأعتقد بذلك فقد كفر »(2).

وقد احتج مشايخ الحنفية رحمهم الله على عدم سماع الموتى بقصة أصحاب الكهف **{ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا }** إلى قوله: **{ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ }**.

{ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ

---

(1) فتح القدير 104/2 ط: دار الفكر أو 69/2 دار إحياء التراث العربي .

(2) البحر الرائق 94/3 و298/2 وفي طبعة أخرى 124/5 وانظر رد المحتار 439/2 قبيل باب الاعتكاف .

ضَرًّا } [الرعد: 16].

{ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ }.

خاطب عمر الحجر الأسود فقال: « والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله ρ ما قبّلتُك »[1].

قال رسول الله ρ : ((الدعاء هو العبادة))[2]، وفي رواية: ((الدعاء مخ العبادة))[3].

قال الزبيدي: « قال القاضي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمى عبادة من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى، مُعرض عمّا سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه: استدل عليه بالآية فإنها تدل على أنه أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قُبِل منه لا محالة وترتّب عليه المقصود ترتّب الجزاء على الشرط وما كان كذلك كان أتمّ العبادة وأكملها ويمكن حمل العبادة على المعنى اللغوي أي الدعاء ليس إلا إظهار غاية التّذلل والافتقار ». وعن معنى رواية ((الدعاء مخ العبادة)) قال الزبيدي: « أي خالصها، وإنما كان مخاً لها لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة فوقها لما فيه من إظهار الافتقار والتبري من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار ذلّة البشرية » انتهى[4].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **{ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }** قال: « أفضل العبادة الدعاء »[5].

قال الفيومي في المصباح المنير: « دعوت الله: أي رغبت فيما عنده من الخير، وأما الاستغاثة فهي طلب الغوث والنصرة،

---

(1) رواه البخاري (1597) ومسلم (1270) .

(2) رواه أحمد 267/4 وأبو داود (1479) والترمذي (3244) بسند صحيح .

(3) رواه الترمذي في الدعوات (3371) ضعيف فيه عبد الله بن لهيعة وله شاهد من حديث النعمان بن بشير .

(4) إتحاف السادة المتقين 29/5 .

(5) رواه الحاكم في المستدرك 491/1 وصححه الذهبي.

والاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام. عاذ به أي التجأ واعتصم»[1].

وقال الخطابي [2]: « استمداد المعونة [من الله] وحقيقته إظهار الافتقار إليه وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية ». ثم احتج بحديث: ((الدعاء هو العبادة)).

{ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ }.

{ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } [مريم: 48، 49].

{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }.

{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }، قال الطبري: أي اعبدوني[3]. وقال القرطبي: « فدلّ على أنّ الدّعاء هو العبادة وكذا عليه أكثر المفسرين »[4]. قلت: فسرها قبلهم رسول الله ρ .

{ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي } [غافر] قال السدي: أي دعائي[5]، قال الحافظ: « وضع عبادتي موضع دعائي »[6] وقال القسطلاني في إرشاد الساري كلاماً بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر: « الدّعاء هو غاية التّذلل والافتقار »[7]. قال وفائدة الدعاء « إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه ». وقال مثله الزبيدي[8]، وزاد عليه بأن وصف لفظ الدعاء يطلق ويراد به التوحيد كما في قوله تعالى: **{ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ }**، وقوله: **{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**

---

(1) المصباح المنير 231 لسان العرب 257/14 مفردات الراغب 244 .

(2) شأن الدعاء ص4 تحقيق الدقاق ط: دار المأمون للتراث وانظر إتحاف السادة المتقين 27/5 .

(3) تفسير الطبري مجلد 16 ج24 ص51 .

(4) تفسير القرطبي مجلد 8 ج15 ص214 .

(5) تفسير الطبري مجلد 16 ج24 ص51 .

(6) فتح الباري 95/11 .

(7) فتح الباري 95/11 .

(8) فتح الباري 149/11 وانظر إتحاف السادة المتقين 4/5 .

}.

قال الفخر الرازي: « المقصود من الدعاء إظهار الذلة والانكسار »[1].

وذكر الحليمي: « أن الدعاء من التخشع والتذلل لأن كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة وباح واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله »[2].

وعرّف صاحب القاموس الدعاء بالرغبة إلى الله[3].

ونقل الرازي عن الخطابي قوله: ((الدعاء هو العبادة)) معناه أنه أعظم العبادة ». وأن «حقيقة الدعاء: استمداد العبد المعونة من الله »[4].

قال الرازي: « وقال الجمهور الأعظم من العقلاء: الدعاء أعظم مقامات العبادة ». وفسر قوله تعالى: { **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** }، فقال: « كأنه سبحانه وتعالى يقول: عبدي أنت إنما تحتاج إلى الوساطة في غير وقت الدعاء. أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك فأنت العبد المحتاج، وأنا الإله الغني »[5].

فكما أن (الحج عرفة) وعرفة أعظم مواقف الحج. فكذلك (الدعاء عبادة) فالدعاء من أعظم العبادة بل هو لبّها وركنها الأعظم، كما أن عرفة أفضل الوقوف، يؤكذ ذلك حديث أنس ((الدعاء مخ العبادة)) وهو ما قال مثله الرازي والزبيدي[6].

{ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** } نص الحافظ ابن رجب في كتابه القيم (جامع العلوم والحِكَم 281) على أن قوله ρ: ((إذا سألت فاسأل الله)) منتزع من قوله تعالى: { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** }

---

(1) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ص91 تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط: دار الكتاب العربي .
(2) المنهاج في شعب الإيمان 517/1 ط: دار الفكر 1979 .
(3) القاموس المحيط ص1655 باب الواو والياء – فصل الدال .
(4) التفسير الكبير 83/5 .
(5) لوامع البينات 88 .
(6) التفسير الكبير 99/5 وانظر إتحاف السادة المتقين 29/5 .

قال: لأن الدعاء هو العبادة، وتلا قوله تعالى: **{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }.**

وقال السبكي « بأن هذه الآية تفيد العلم بأنه لا يستعان غير الله »[1] وأكد أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص[2].

{ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [غافر: 14].

{ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ }.

{ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا }.

{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

{ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }.

{ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ } [التوبة: 103].

{ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا } [التوبة: 84].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ } [الأحزاب: 56] وفي الحديث ((الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه))[3]. قال النووي في شرح مسلم (317/1) « الصلاة هي الدعاء: هذا قول جماهير أهل اللغة العربية والفقهاء وغيرهم ».

{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: 162].

قال ρ : ((فأمّا الرّكوع فعظّموا فيه الرّبّ تعالى، وأمّا السّجود فأكثِرُوا فيه من الدّعاء))[4].

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء: 23]، وألا نشرك به: **{ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا }** [المؤمنون: 23].

{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ

---

(1) فتاوى السبكي 13/1 .
(2) طبقات السبكي 304/10 .
(3) رواه البخاري (445) ومسلم (649).
(4) رواه مسلم (479) .

مِن قِطْمِيرٍ }.

{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ }.

{ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ }.

{ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

قال إمام المالكية، حافظ المغرب وفقيهها ابن عبد البر: « لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام »[1]. وروى الطبري عن ابن سيرين قوله: « ما عُبِدَت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، وأول من قاس إبليس » أي حين قال: { **خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** }[2].

قال قتادة حسبما أورده البخاري ومسلم: « أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ρ توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة »[3].

{ **وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** } [الأحقاف: 5].

قال ρ : ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين)) قال الحافظ ابن حجر: « فخطاب الموتى بالسلام في قول الذي يدخل المقبرة: السلام عليكم أهلَ القبور المؤمنين لا يستلزم أنهم يسمعون ذلك: بل هو بمعنى الدعاء، فالتقدير: اللهم اجعل السلام عليكم، كما نقدر في قولنا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، فإن المعنى: اللهم اجعل الصلاة والسلام عليك يا رسول الله »[4].

جاء في رد المحتار على الدر المختار (3: 180) أن إسماع الكافرين يوم بدر حالة خاصة جعلها الله زيادة في حسرتهم وأن سماع الميت قرع نعال مشيعيه يكون في أول الوضع في القبر

---

(1) جامع بيان العلم وفضله 55/2 .

(2) تفسير الطبري 131/8 والمدخل إلى السنن للبيهقي (196) وجامع بيان العلم لابن عبد البر 58/1 وابن كثير في تفسيره 203/2 وقال "إسناده صحيح".

(3) البخاري (3976) مسلم (2875) وانظر إتحاف السادة 380/10 .

(4) الأجوبة المهمة 24 تحقيق مأمون محمد أحمد منسوخ من مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية.

فقط. وهو قول العلامة الشيخ أحمد الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح للشرنبلالي «شرح نور الإيضاح» باب أحكام الجنائز قال: "وأكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع عندهم (صفحة 326). أضاف: « وأما السلام عليهم فحملوه على أنه دعاء لهم وليس خطاباً. لأن السلام دعاءٌ لهم بالرحمة والأمن » (341 الطبعة الأزهرية).

كقول خليفة أحمد الرفاعي (علي بن عثمان) فيما يرويه الصيادي عنه قال: « يا سادة، من كان منكم له حاجة فليلزمني بها، ومن شكا إلى سلطانه أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت، أو نخلة لا تثمر، أو دابة لا تحمل: فليلزمني بها فإني مجيب له »[1].

وقول الشيخ جاكير الكردي للناس فيما يرويه عنه النبهاني « إذا وقعتم في شدة فنادوا باسمي »[2].

« الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ».

{ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }.

قول النبي ρ لجبريل عليه السلام: ((ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: **{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ }**.

قال تعالى: **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّـهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ }.**

{ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ }.

{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ }.

قال ρ : ((أدعو إلى الله وحده الذي إن مسّك ضرٌّ فدعوتَه كشف عنك. والذي إن ضللْتَ بأرضٍ قفرٍ ردّ عليك، والذي إن

---

(1) قلادة الجواهر 323 روضة الناظرين 84 جامع كرامات الأولياء 162/1 .

(2) جامع كرامات الأولياء 379/1 و66/2 .

أصابَتْكَ سنة[1] فدعوتَه أنبت عليك)).

{ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** } [لقمان: 30].

{ **فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** }.

{ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** }.

{ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** }.

الرسول سمى التبرك بالشجرة تأليهاً

وجعل الرسول ρ قول الصحابة: « اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » بمثابة قول اليهود: { **اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** } [الأعراف 138]، مع أنهم لم يخطر لهم أن يسجدوا للشجرة أو يعبدوها وإنما قصدوا التبرك بها فتنبه لهذه الفائدة ففيها حجة عظيمة.

وكذلك أصحاب الكهف هربوا من الشرك وكانوا يقولون: { **رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** } [الكهف 14]، وقالوا عن قومهم: { **اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ** }، وقد سارع قومهم إلى اتخاذ قبورهم مكاناً للتبرك والدعاء: { **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** } [الكهف: 21].

{ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** }.

قال ρ : ((من مات وهو يدعو من دون اله نداً دخل النار))[2].

{ **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** }.

{ **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ، مِن دُونِ اللَّهِ** } قالوا: { **بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا** }.

{ **قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ**

---

(1) أي قحط وجفاف .

(2) رواه البخاري في الجنائز رقم (1238).

تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: 40، 41].

{ **وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ** } [النحل: 86].

{ **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ** }.

{ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** } [المائدة: 72].

دعاء غير الله كفر

{ **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ، مِن دُونِ اللَّهِ** } قالوا: { **بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ** } [غافر: 73، 74].

{ **ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا** } [غافر: 12].

{ **حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ** } [الأعراف: 73].

{ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** } [غافر: 14].

{ **وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** } [الزمر: 8].

{ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ** }.

{ **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** } [الرعد: 14].

{ **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** }

قال ρ: ((إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو

في الدين))[1].

{ **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ** } [القصص: 64].

{ **وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ** } [الكهف: 52]. { **وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ** }.

{ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ** } [فصلت: 47].

قال أبو حيان النحوي في البحر المحيط (418/7) عند تفسير قوله تعالى: { **دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ** } « دعا ربه أي ناداه ».

{ **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا** }، { **وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** }، { **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ** }، { **إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** }.

{ **وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ** }.

{ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ** }، { **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ** } [يونس: 64] قال ρ: ((دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه)). وكذلك نوح: { **إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ** } وفي آية أخرى: { **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ** }.

{ **مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** }.

{ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** } « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ».

قال الطبري في قوله تعالى: { **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** } « كانت العرب تقر بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك به في عبادته » (تفسير الطبري 128/1).

---

(1) رواه النسائي 268/5 في الحج وسنده صحيح.

{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } [يوسف: 106]
قال الطبري: « وإيمانهم بالله هو قولهم: الله خالقنا ورازقنا ومميتنا ومحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكاً في عبادته ودعائه، فلا يخلصون له في الطلب منه وحده، وبنحو هذا قال أهل التأويل ». ثم روى مثل ذلك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعامر وقتادة وعطاء وجمع. قال قتادة: « لا تسأل أحداً من المشركين من ربك؟ إلا ويقول ربي الله وهو يشرك في ذلك ».
وقال ابن زيد: « ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه خالقه ورازقه وهو يشرك به... ألا ترى كيف كانت العرب تلبي وتقول: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك: المشركون كانوا يقولون هذا »[1].

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ }، **{ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ }**.

{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

قال النبهاني: « وكان تجار اليمن يستغيثون بسيدي أبي الغيث الشحري اليمني أحد الأولياء في شدائد البحر ومضايق البر »[2].

قال ρ : ((لا تقوم الساعة حتى يلتحق أقوام من أمتي بالمشركين ويعبدون الأوثان))[3].

قال ρ : ((من يتكفل أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة))[4].

---

(1) تفسير الطبري 13/50-51 .
(2) جامع كرامات الأولياء 3/231 .
(3) رواه أبو داود بإسناد صحيح .
(4) رواه أحمد 5/276 وأبو داود (1643) وصححه المنذري في الترغيب (صحيح الترغيب رقم 804) .

قال سالم بن عبد الله: « لا تسأل أحداً غير الله »[1].

قـال ρ : ((مـن مـات وهـو يـدعو مـن دون الله نـداً دخـل النار))[2].

نصّ الحافظ ابن رجب على أن قولـه ρ : « إذا سألت فاسأل الله » منتـزع مـن قولـه تعـالى: { **إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّـاكَ نَـسْتَعِينُ** } [الفاتحة 5]، قال: لأن الدعاء هو العبادة، وتلا قوله تعالى: { **وَقَالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ** } [غـافر: 60][3]. وسـبق احتجـاج السبكي في فتاويه (13/1) بالآية على عدم جواز الاستعانة بغير الله.

{ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** } قال رسول الله ρ : ((من لم يسأل الله يغضب عليه))[4].

قال الطحاوي: « وفي دعاء الأحياء منفعة للأموات ». ثم قال بعدها مباشرة: « والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات »[5].

أليس الله بكاف عبده؟

قال الزبيدي: « وقبيح بذوي الإيمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى: { **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** } [6].

{ **وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ** }.

{ **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** } « السلام عليك أيها

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية 194/2 والخطيب في تاريخه 38/7-39 والحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء 463/4 .
(2) رواه البخاري في الجنائز رقم (1238).
(3) جامع العلوم والحكم 281 .
(4) رواه الترمذي (3607) وحسّنه وهو كما قال .
(5) متن العقيدة الطحاوية بذيل إظهار العقيدة السنية للحبشي 256 .
(6) إتحاف السادة المتقين 498/9 .

النبي »[1].

قال الخطابي: « كان أحمد يحتج بحديث ((أعوذ بكلمات الله التامات)) بأن النبي لا يستعيذ بمخلوق »[2].

الجويني الذي صرح في البرهان بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات. وكذلك الحليمي كما نقله السبكي عنهما[3]. مما أدى بالإمام المازري إلى الطعن فيه والتشنيع به غاية التشنيع قائلاً بأنه سهل عليه ركوب هذا المذهب: إدمانه النظر في مذهب أولئك. ومن العظيمة في الدين أن يقول مسلم إن الله تخفى عليه خافية ».

قال البيهقي: « ومن أسمائه الغياث ومعناه: المُدركُ عبادَه في الشدائد. قال ρ في حديث الاستسقاء ((اللهم أغثنا واللهم أغثنا))[4].

---

(1) ذكر ابن مسعود رضي الله عنه صيغة التشهد "السلام عليك أيها النبي..." ثم قال: "وهو بين ظهرانينا، فلما قبض قلنا: يعني على النبي ρ " رواه البخاري رقم (6265) قال الحافظ ابن حجر: "وأما هذه الزيادة فظاهرها أنهم كانوا يقولون "السلام عليك أيها النبي" بكاف الخطاب في حياة النبي ρ فلما مات النبي تركوا الخطاب وذكروه بلفظ الغيبة فصاروا يقولون "السلام على النبي" (فتح الباري 56/11 كتاب الاستئذان: باب الأخذ باليد) وقال: "وأخرجه أبو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي من طرق متعددة إلى أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ "فلما قبض قلنا السلام على النبي" بحذف لفظ (يعني). قال السبكي في شرح المنهاج بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده "إن صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي ρ غير واجب فيقال: السلام على النبي" عقب ابن حجر فقال: "قد صح بلا ريب. وقد وجدت له متابعاً قوياً: قال عبد الرزاق "أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي ρ حي "السلام عليك أيها النبي. فلما مات قالوا: السلام على النبي" (الفتح 314/2) كتاب الأذان: باب التشهد في الآخرة.

(2) فتح الباري 410/6 وانظر معالم السنن 332/4-333 .

(3) انظر طبقات السبكي 193/5-196 و200-201 محققة.

(4) الأسماء والصفات 88 .

في كتاب (حالة أهل الحقيقة مع الله ص92) للرفاعي: « أنّ أحد الصوفية استغاث بغير الله فغضب الله منه وقال "أتستغيث بغيري وأنا الغياث"؟ غير أنكم سويتم الرفاعي برب العالمين فالله الغياث والرفاعي غوث الثقلين!!

ويقول اللغوي الفيومي: « دعوت الله: أي رغبت فيما عنده من الخير، وأما الاستغاثة فهي طلب الغوث والنصرة، والاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام. عاذ به أي التجأ واعتصم[1].

ويقول الخطابي[2]: « استمداد المعونة [من الله] وحقيقته إظهار الافتقار إليه وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية ».
ثم احتج بقول النبي ρ : ((الدعاء هو العبادة)).

قال الخطابي: « كان أحمد يحتج بحديث ((أعوذ بكلمات الله التامات)) بأن النبي لا يستعيذ بمخلوق »[3]. وأكده المرداوي الحنبلي في الإنصاف (456/2).

قال ابن خزيمة في التوحيد (401/1): « فهل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر ما خلق؟ هذا لا يقوله مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه »؟

رابعاً: أن من علم معنى الاستعاذة لا يمكن أن يقول بجوازها لغير الله. معنى الاستعاذة بالله « أعتصم وأتحصّن وألتجئ إلى الله تعالى وألصق نفسي برحمته وفضله وكرمه »[4].

قال الشعراني: « ولو أن أحداً من الخلق كان يكفي أن نستعيذ به لأمَرَنا الله أن نستعيذ بمحمد ρ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر، ولكن عَلِمَ الله عجز الخلق عن ردّ كيده إلا مع استعاذتهم بالله عز وجل »[5].

---

(1) المصباح المنير 231 لسان العرب 257/14 مفردات الراغب 244 .
(2) شأن الدعاء ص4 تحقيق الدقاق ط: دار المأمون للتراث.
(3) فتح الباري 410/6 .
(4) كشف الأسرار ص 57 مصطفى نجا .
(5) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق 583 .

قال تعالى: { **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** } [الجن: 6]. قال مجاهد: « كانوا يقولون إذا هبطوا وادياً: نعوذ بعظيم هذا الوادي ».

ذكر الحبشي في كتابه (الدليل القويم 229) دعاء المكروب وفيه قول علي بن أبي طالب: « لقنني رسول الله ρ هؤلاء الكلمات وأمرني إذا أصابني كرب أو شدة أن أقولهن: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه وتبارك الله رب العرش العظيم ». وأعترف بأن قول القائل (أغثني يا رسول الله) (أغثني يا رفاعي يا بدوي يا جيلاني) أمر غير مشروع[1].

{ **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** } [يونس: 106].

{ **يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ** }.

{ **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ** }.

{ **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** }.

{ **قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا** }.

{ **وَاسْأَلُواْ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ** } قال: **((فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً))**[2].

قال رسول الله ρ : ((إن أحدكم يسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها ناراً))[3].

قال الرفاعي في البرهان المؤيد (ص94) أن الله « صرّف الأولياء في الأكوان وجعلهم يقولون كن فيكون ». وزعم الكوثري في مقالاته (ص343) « أن أربعة من الأولياء الذين يتصرفون في قبورهم يحرسون أرض الشام من البلايا والآفات ».

---

(1) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد 193 .

(2) رواه مسلم (199) .

(3) رواه الحاكم 46/1 وقال « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي .

وزعم النبهاني أن أحد "الأولياء" قال: «تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله »[1].

وزعم أن علي بن أبي طالب قال لعمر النبتيني « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون** »[2].

وذكر الصيادي أن أحمد الرفاعي قال: « وإذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق صار أمره بأمر الله إذا قال للشيء كن فيكون »[3].

وزعم أنه جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون »[4].

وذكر السيوطي أن الله أذن للأنبياء بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي »[5].

وذكر محمد بن علوي مالكي أن النبي ρ « حي الدارين، دائم العناية بأمته: مُتصرّف بإذن الله في شؤونها: خبير بأحوالها... »[6]. ويعتقد أنه لا ملاذ له ولا ملجأ إلا إلى النبي ρ، ثم أنشد يقول له[7]:

هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له إلا جنابك يا سؤلي ويا أملي

بل أكد على أنه لا فرار ولا ملاذ ولا عصمة إلا بمحمد ρ وكأنه نسي قول الله تعالى: **{ ففِرُّوا إلَى اللَّهِ }**، فقال[8]:

---

(1) جامع كرامات الأولياء 158/2 .

(2) جامع كرامات الأولياء 135/2 وانظر 32/1 .

(3) قلادة الجواهر 73 و145 المعارف المحمدية 47 البرهان المؤيد 94 وذكرها النبهاني عن ابن عربي 32/1 .

(4) قلادة الجواهر 147 طبقات الشعراني 142/1 .

(5) الحاوي للفتاوي 263/2 .

(6) مفاهيم يجب أن تصحح ص 91 .

(7) الذخائر المحمدية ص 101 .

(8) الذخائر المحمدية 133 وانظر 164 .

وليس لنا إلا إليك فرارنا   وأين فرار الناس إلا إليكا

وقد نص القرافي أن هذا كفرٌ صريح، فنقل ابن حجر الهيتمي عن القرافي أنه قال « وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطي كلمة (كن). قال « **وهذا كفر** ».

قال الشيخ عبد الباسط فاخوري[1] بمشابهة كثير من المسلمين بالمشركين الأوائل فقال بأن: « أكثر العوام من جهة الإسلام قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعاً تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين أن لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم ».

وفي البحر الرائق[2] الحكم بالشرك على من ادّعى التّصرف للأولياء.

فائدة: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت « حياة الخضر: لم يرد في حياته شيء يعتمد عليه » (أسنى المطالب 616).

كان ρ إذا أحزنه أمرٌ قال: « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث »[3].

يروي الصيادي عن علي بن عثمان خليفة الرفاعي أنه قال « يا سادة، من كان منكم له حاجة فليلزمني بها، ومن شكا إلى سلطانه أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت، أو نخلة لا تثمر، أو دابة لا تحمل: فليلزمني بها فإني مجيب له »[4].

ويروي النبهاني أن الشيخ جاكير الكردي كان يقول للناس: «

---

(1) عن كتابه تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام الذي تعرض للتحريف من قبل الأحباش فحذفوا صفحات من الكتاب بكاملها كما سيأتي بالتفصيل .

(2) 892/2 .

(3) رواه الترمذي والحاكم (509/1) وهو حديث حسن .

(4) قلادة الجواهر 323 روضة الناظرين 84 جامع الكرامات 162/1 .

إذا وقعتم في شدة فنادوا باسمي » فكانوا في مركب فهبت الريح بهم وتلاطمت الأمواج فاستقبلوا العراق جهة مكان الشيخ ونادوه باسمه فسكنت الريح. فشعر الشيخ باستغاثتهم به فأشار بكمه إلى الجنوب فهبت ريح طيبة وأوصلتهم إلى البر[1].

وذكر النبهاني أن تجار اليمن كانوا يستغيثون بأبي الغيث اليمني في شدائد البحر ومضايق البر[2].

{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

{ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }.

غاية التّوحيد عند الحبشي

غاية الإيمان والمعرفة عند المبتدعة وسلفهم الاعتقاد بأن الله موجود كقول أحمد الرفاعي: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى »[3].

ومعنى الإله عندهم: القادر على الاختراع وليس بمعنى المعبود كما قاله الرازي وحكاه البغدادي عن الأشعري[4].

وزعم أتباعه أن القول بتوحيد الربوبية هو إقرار بتوحيد الألوهية[5].

{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ }.

{ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن

---

(1) جامع كرامات الأولياء 379/1 وانظر 66/2 .
(2) جامع كرامات الأولياء 231/2 .
(3) شريط مجالس الهدى 298/10 .
(4) لوامع البينات شرح أسماء الله 124 وأصول الدين للبغدادي 123 .
(5) نشرة شؤون الخارج ص17 .

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ }.

{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }.

{ وَلَـئِن سَـأَلْتَهُم مَّنْ خَلَـقَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ } [لقمان: 25، الزمر: 38].

قال ابن عباس في قوله تعـالى: { **وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بِاللَّـهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** }: « من إيمانهم أنه إذا قيل لهم من خلق السماوات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم به مشركون »[1].

قـال تعـالى: { **يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُـمُ... فَلاَ تَجْعَلُـواْ لِلَّـهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** } عن ابـن عبـاس فـي تفسير هذه الآيـة « أي أشباهاً ».

{ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** } قال ابن عباس: « أي كما لا شريك لـي فـي خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا إلي العبـادة ولا تجعلـوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني ... ولا تـشركوا بـالله غيـره مـن الأنـداد التـي لا تنفـع ولا تـضر وأنـتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره »[2].

صـرح الطبري أن العرب « كانت تُقرّ بوحدانيـة الله غيـر أنـهـا كانت تشرك في عبادته فقال جل ثناؤه: { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** }، وقال: { **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِـكُ الـسَّمْعَ والأَبْـصَارَ وَمَـن يُخْـرِجُ الْحَـيَّ مِـنَ الْمَيِّـتِ وَيُخْـرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ** }[3].

قـال الـسيوطـي: « ولـم يكـن كفرهم [يعنـي المشركين] إنكـاراً للصانع ولألوهيته، ولا ادعوا فـي الأصنام أنها تخلق وتـدبر، بـل كـانوا يقـرون لله بالإلهيـة وأنـه الخـالق المـدبر كمـا قـال تعـالى: { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** }، وكـانوا

---

(1) فتح الباري 495/13 وحسّن الحافظ ابن حجر إسناده .

(2) تفسير ابن جرير الطبري 1: 127 .

(3) تفسير ابن جرير الطبري 1: 127-128 .

يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله كما قال تعالى حكاية عنهم: **{ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }**، وكانوا يقولون في تلبيتهم: « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » كما قال تعالى: **{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ }**. أضاف:

« فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام »[1].

ثم نقل عن الشهرستاني ما نصه « وكانوا [أي المشركون] يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم ويغتسلون ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق، وكان دين إبراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب »[2].

وقال المقريزي[3]: « ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض، وإنما أنكروا توحيد الألوهية، فمن عدل به [أي توحيد الألوهية] فقد أشرك في ألوهيته: ولو وحّد ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام « لا إله إلا الله ».

ولو قال: « لا رب إلا الله » لما أجزأه عند المحققين. فتوحيد

---

(1) كتاب التعظيم والمنة ص 176 – 177 (ضمن الرسائل التسع) .
(2) التعظيم والمنة 195 .
(3) قال عنه الحافظ ابن حجر "كان إماماً بارعاً مفتياً متقناً ضابطاً ديناً خيراً محباً لأهل السنة" (انظر أنباء الغمر 170/9 والضوء اللامع 21/2 والبدر الطالع 79/1) .

الألوهية هو المطلوب من عباد الله »[1].

قال الحافظ ابن حجر: « وقد اعترف أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة وكبارهم بأن هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب »[2].

ولقد سفّه أبو المظفر بن السمعاني هذا المبدأ الاعتزالي ووصفه بأنه قول مبتدع لم يعرفه السلف الذين كانوا يدعون إلى الإسلام وكان أول ما يدعون إليه كافر: الشهادتين، فهما أول الواجب[3].

قال العز بن عبد السلام: « ولا عدة بقول من أوجب النظر عند البلوغ على جميع المكلفين فإن معظم الناس مهملون لذلك غير واقفين عليه ولا مهتدين إليه، ومع ذلك لم يفسّقهم أحد من السلف والصالحين »[4].

وقال الغزالي: « ذهبت طائفة إلى تكفير عوام المسلمين لعدم معرفتهم أصول العقائد بأدلتها: وهو بعيد عقلاً ونقلاً »[5].

استعرض الرازي عقائد أهل الصين والهند واليونان والترك والقبط والحبشة والزنوج بأنهم كلهم يعتقدون بوجود الإله المدبر الحكيم.

ثم انتقل إلى العرب فقال: « أهل الجاهلية: وهم العرب الذين كانوا موجودين قبل ظهور الإسلام، وكلهم كانوا مطبقين على الإقرار بوجود الإله، والدليل عليه قوله تعالى: **{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }** إلى أن قال: « فهذا هو ضبط أصناف أهل الدنيا وكلهم مطبقون على وجود الإله

---

(1) تجريد التوحيد للمقريزي ص 5 و 20 .

(2) فتح الباري 70/1 و348/13 .

(3) مختصر الانتصار لأهل الحديث. اختصره السيوطي في صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص171–172.

(4) القواعد الكبرى 171 .

(5) الزواجر عن اقتراف الكبائر 364/2 .

».[1]

وقال الرازي: « اعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكاً يساويه في الوجود والقدرة والعلم والحكمة، وهذا مما لم يوجد إلى الآن، لكن الثنوية يثبتون إلهين، أحدهما حكيم يفعل الخير، والثاني سفيه يفعل الشر، وأما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين إليه كثرة »[2].

وذكر الشهرستاني في نهاية الإقدام أن معرفة الله فطرية[3]، غير أن الغزالي يزعم أن أول الواجب على المكلف: الشّكّ. قال: « إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق. فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال »[4].

وأن استعرض الرازي طريقة القرآن في إثبات ألوهية الله ثم نقض طريقة المتكلمين في إثبات ألوهية الله فقال بأنه: « انفتحت بسببها أبواب الشبهات وكثُرت السؤالات » قال: « ومن جرب مثل تجربتي علم أن الحق ما ذكرته، ولما ثبت أن هذا الطريق الذي ذكره الله في القرآن أنفع وفي القلوب أرجح »[5].

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف: 78].

{ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ } [يونس: 31].

{ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَن سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }.

---

(1) المطالب العالية 1/251-252 .

(2) التفسير الكبير للرازي 37/13 وانظر 122/2 .

(3) نهاية الإقدام ص124 وانظر ما نقله الحبشي عن الرازي في الدليل القويم ص25 .

(4) ميزان العمل 137 دار الكتاب العربي .

(5) المطالب العالية 236/1 .

{ **قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** } [المؤمنون: 23].

وقال قوم عاد لأنبيائهم { **لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** } [فصلت: 14].

وإبليس يقول: { **رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** } وقال: { **رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي** } [الحجر: 15] وشهد لله بالعزة قائلاً: { **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** }.

وصاحب الجنة شهد بالربوبية: { **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** } فلما أحيط بثمره قال: { **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** }.

{ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ** }.

{ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ** }.

{ **ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** }.

{ **رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا، هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً** } وقد كان قومهم حريصين على بناء مسجد ولكن على قبورهم { **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** }.

{ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } [الأعراف: 59].

{ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي** } [مريم: 48].

{ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** } ثم قال: { **لا إِلَهَ إِلا هُوَ** } [غافر: 62].

{ **هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** }.

صرح الشهرستاني بأن تعطيل العالم عن الخالق لا يراها مقالة لأحد ولا يعرف عليها صاحب مقالة، وإنما يُنقل ذلك عن شرذمة قليلة من الدهريين[1].

---

(1) نهاية الإقدام 123 – 124 .

{ وَالَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِـهِ مَـا يَمْلِكُـونَ مِـن قِطْمِيـرٍ، إِن تَـدْعُوهُمْ لا يَـسْمَعُوا دُعَـاءَكُمْ وَلَـوْ سَـمِعُوا مَـا اسْـتَجَابُوا لَكُـمْ } [فاطر: 14].

{ إِنَّ الَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِ اللَّــهِ عِبَـادٌ أَمْثَـالُكُمْ فَـادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [الأعراف: 194].

ذكر القرافـي أن مـن المتكلمـين مـن قـال: يلـزم المـصلي عنـد الإحرام أن يذكر حدوث العالم وأدلته وإثبات الأعراض واستحالة قِدَم الجواهر وأدلة العلم بالصانع وما يجب لله وما يستحيل[1].

قـال الحـافظ ابـن رجـب رحمـه الله: « والأحـد هـو الواحـد فـي ألوهيته وربوبيته. وفسره أهل الكلام بما لا يتجزأ ولا ينقسم »[2].

ينقسم التوحيد عند الغزالي ثلاثة أقسام:

رابعها: وهو أعظمها: أن لا يرى العبد فـي الوجود إلا واحـداً .. وتسميه الصوفية **الفناء في التوحيد**.

قـال: « فـإن قلـتَ: كيـف يتـصوّر أن لا يـشاهد إلا واحـداً وهـو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة: فكيف يكـون الكثير واحداً؟ فاعلم أن هذه **غاية** علـوم المكاشـفات: وأسـرار هـذا العلم لا يجوز أن تسطر فـي كتـاب فقد قـال العـارفون: إفـشاء سـرّ الربوبيـة كفـر... إنّ الـشّيء يكـون كثيـراً بنـوع مـشاهدة واعتبـار، ويكون واحداً بنوع واعتبـار آخـر. وهـذا كمـا أن الإنـسان كثيـر إن التفـت إلـى روحـه وجـسده وأطرافـه وعروقـه وعظامـه وأحـشائه وهو باعتبار آخر واحد إذ نقول: إنه إنسان واحد، وكم من شخص يـشاهد إنـساناً ولا يخطـر ببالـه كثـرة أمعائـه وعروقـه وأطرافـه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه ... فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق ... فهو باعتبـارٍ واحـدٍ من الاعتبـارات: واحـد، وباعتبار آخر سواه: كثير ... وإلى هذا أشار: **الحسين بن منصور الحلاج** حيث قال للخوّاص: قد أفنيت عمرك فـي عمـران باطنـك:

---

(1) الذخيرة للقرافي 136/2 ط: دار الغرب .

(2) تفسير سورة الإخلاص ط: السلفية الكويت .

فأين الفناء في التوحيد؟ »[1].

ثم يؤكد الغزالي عقيدته في وحدة الوجود قائلاً: « وليس مع الله موجود: بل الموجودات كلّها كالظّلّ من نور القدرة »[2].

وقال في كتابه مشكاة الأنوار: « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ... فقال بعضهم: « أنا الحق » وقال الآخر: « سبحاني ما أعظم شأني ».

ثم احتج ثانية بالحلاج وبشِعره الذي يقول فيه[3]:

أنا من أهوى ومن أهوى نحن روحان حللنا بدنا

جاء في البهجة السنية في آداب النقشبندية: « اعلم أن التوحيد قسمان:

توحيد شهودي كقول الحلاج: أنا الحق. وقول أبي يزيد: سبحاني ما أعظم شأني.

توحيد وجودي. فالتوحيد الشهودي لا يخالف العقل بخلاف التوحيد الوجودي »[4].

قسم الزبيدي التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1- توحيد الذات.
2- توحيد الصفات.
3- توحيد الأفعال.

وفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية ناقلاً عن صاحب البصائر أن الصبر لله متعلق بالإلهية، والصبر به متعلق بربوبيته، وما تعلق بالإلهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته »[5].

ذكر البيجوري تقسيم التوحيد في شرح جوهرة التوحيد (ص

---

(1) إحياء علوم الدين 245/4-247 .
(2) كتاب الأربعين للغزالي 104 ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت .
(3) مشكاة الأنوار 19 – 20 ط : مكتبة الجندي – مصر .
(4) البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية العلية النقشبندية ص 80-81 ط: مكتبة الحقيقة – وقف الإخلاص. استنبول.
(5) إتحاف السادة المتقين 42/9 وانظر 645/9 .

97) ففي تفسير: { **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الفاتحة: 2]، قال: « يشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية ». وهو عين ما قاله العلامة الحنفي ملا علي قاري رحمه الله[1] وزاد عليه: « والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية لقوله تعالى: { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** }، بل غالب سُوَر القرآن وآياته متضمّنة لنوعَي التّوحيد بل القرآن من أوّله إلى آخره في بيانهما »[2].

وذكر الشيخ أبو غدة تلميذ الكوثري في كلماته (ص37) أن هذا التقسيم مُستقى مما جاء به الكتاب والسنة.

وأشار صاحب الحدائق الوردية النقشبندي إلى هذا الفرق بين توحيد الربوبية التي سماها مرتبة الخالقية والمرتبة الثانية التي أسماها بمرتبة الألوهية[3].

أن الطبري حكى تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية قبل ابن تيمية بمئات السنين: فقد قال في تفسير قوله تعالى: { **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ** }، أي فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأفردوا له الربوبية والألوهية »[4].

وكذلك قوله تعالى: { **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَـهَ إِلا هُوَ** }، أي الذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النِعَم هو الله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره »[5].

وفي تفسير قوله: { **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** }، قال: « كانت العرب تُقِرّ بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك في

---

(1) وصفه الكوثري بأنه ناصر السنة (تبديد الظلام 100) .
(2) شرح الفقه الأكبر 8 .
(3) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية 187 .
(4) المجلد السابع 11 : 60 .
(5) المجلد 11 / 53 .

عبادته »[1].

وقوله تعالى: { **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّـهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** }، « وإيمانهم بالله هو قولهم: الله خالقنا ورازقنا ومميتنا ومحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكاً في عبادته ودعائه، فلا يخلصون له في الطلب منه وحده، وبنحو هذا قال أهل التأويل » ثم رُوي مثل ذلك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعامر وقتادة وعطاء وجمع. قال قتادة: « لا تسأل أحداً من المشركين من ربك؟ إلا ويقول ربي الله وهو يشرك في ذلك »، وقال ابن زيد: « ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه خالقه ورازقه وهو يشرك به ... ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك: المشركون كانوا يقولون هذا »[2].

أخرج (مسلم 382) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ρ يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار. فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر. فقال: ((على الفطرة)). ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله ρ : ((خرجت من النار)). فنظروا فإذا هو راعي معزى ».

أكّد الحافظ ابن حجر أن الرازي[3] أخذ دليل التمانع عن

---

(1) الطبري 1 : 128 .

(2) تفسير الطبري 13 / 50 – 51 .

(3) هو من أئمة الأشاعرة وإمام في علم الكلام قال فيه الحافظ ابن حجر "كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شُبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء (لسان الميزان 4: 426-428) واعترف السبكي بتراجع الرازي عن منهج المتكلمين وذكر الحافظ أنه كتب وصية تدل على أنه قد حسن اعتقاده. ولكن النص عند السبكي مخالف لما ذكره الذهبي وابن كثير (قارن بين طبقات الشافعية 21: 501) فإن رجوع الرازي عن طريق الكلام إلى منهاج السلف لا يروق للسبكي المتعصب الذي زعم أن الذهبي تفرد بنقد الرازي والآمدي

الفلاسفة وسلك فيه سبيل أرسطو[1].

وفي قول الحافظ تكذيب لما زعم النسفي في تبصرة الأدلة أن: « دليل التمانع أخذه المتكلمون من كتاب الله ». وقد قدح التفتازاني الماتريدي في هذا الدليل واعتبره دليلاً ظنياً[2].

ذكر المرتضى الزبيدي أن من الشاعرة من أورد على هذا البرهان (دليل التمانع) اعتراضات عديدة كالسعد التفتازاني منها: أنه لو تعدد الإله لم تتكون السماوات والأرض أصلاً. ثم نقل عن النسفي إشكالاً آخر وذلك أن يسأل سائل: لماذا لا يجوز فرض إلهين متوافقين في الإرادة بحيث يمنع وقوع المخالفة بينهما؟

ثم عاد فنقل عن السعد أن هذا البرهان إقناعي وليس قطعياً ولا يفحم الجاحد، مما أدى بالشيخ عبد اللطيف الكرماني إلى التشنيع عليه، مستنداً في تشنيعه إلى أن صاحب التبصرة حكم بكفر أبي هاشم لقدحه في دلالة الآية[3].

ولفظ (آلهة) جمع إله. وهو المألوه أي المعبود. وليس معناه: القدر على الاختراع كما قاله الرازي وحكاه البغدادي عن الأشعري[4].

{ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف: 172].

{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: 14].

{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ } [الإسراء: 102].

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ

اللذين لم يضعف أحد شيئاً من علومهما أو يجرحهما (طبقات السبكي 14/2 محققة) .

(1) لسان الميزان 4 : 428 .

(2) شرح العقائد النسفية 33 – 34 .

(3) إتحاف السادة المتقين 129/2 و132-133 .

(4) لوامع البينات للرازي 124 وأصول الدين للبغدادي 123 .

الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف: 9].

{ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }.

{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }.

{ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } [المؤمنون: 84-89].

وقال رسول الله ρ فيما يرويه عن ربه: ((خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين))(1). فالحنيفية هي الإسلام.

ولذلك لم يدْعُ الأنبياءُ قومَهم إلى اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق، فالقرآن أفاد بأنهم يؤمنون بذلك. وإنما كانت أول دعوتهم إلى:

توحيد الألوهيّة

{ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف: 59].

قال تعالى: **{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ }** [يونس: 18].

الشفاعة

{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ } [البقرة: 255].

عن أنس وعائشة عن النبي ρ قال: ((ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه)) وفي رواية ابن عباس: ((ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه))(2).

---

(1) مسلم (2865) .

(2) وهذا يفسر قول الأعمى في الدعاء "وشفعني فيه" أي اقبل دعائي في أن تتقبل منه ρ .

لآيات القرآنية في الشفاعة

{ قُل لِّلَّـهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا } [الزمر: 44]، **{ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ }** [الأنعام: 51].

{ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } [مريم: 87].

{ يَومَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَولاً } [طه: 109].

{ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ }.

{ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى } قال التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين « مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالاً على صورته وعظموه تشفعاً إلى الله وتوسلاً »[1].

الرازي يوضح أسباب الشرك

ذكر الرازي أربعة أسباب مفضية إلى الشرك منها: « قولُ من قال: إنّا نعبد هذه الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى في إبطال أقوالهم: **{ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلا لِمَنْ أذِنَ لَهُ }** [سبأ: 23]، فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره، فبطَلَبكم الشفاعة تُفوّتون على أنفسكم الشفاعة[2].

وقال في تفسيره (285/26): « اعلم أن الكفار قالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما ... لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى: **{ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ }**. انتهى.

{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا

---

(1) شرح المقاصد للتفتازاني 41/4-42 .

(2) التفسير الكبير 254/25-255 .

خَوَّلْنَـاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَـا نَـرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّـذِينَ زَعَمْـتُمْ أَنَّـهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنـتُمْ تَزْعُمُـونَ } [الأنعام: 94].

{ يَومَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَـهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِـيَ لَـهُ قَولاً } [طه: 109]. وقال النبي ρ لفاطمة ((أنقذي نفسك من النـار لا أغني عنك من الله شيئاً)).

قال ρ : ((فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً))[1].

روى ابن جرير بسنده عن ابن جريج في قوله تعالى: **{ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا }** [مريم: 87]، قال ابن جريج: «أي عملاً صالحاً »[2].

ردّ الحافظ على من زعم أن « جميع دعوات الأنبياء مستجابة » قائلاً: « وهذا فيه غفلة عن الحديث الصحيح أن النبي ρ قال: ((إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة)). وسأل ربه أن يستغفر لأمه فمنعه ذلك. ولما أراد نوح أن يستغفر لابنه قال الله له: **{ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ }** [هود: 46]. وهذا إبراهيم عليه السلام لم تنفع شفاعته في أبيه ».

قال الحافظ: « وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ولا سيما نبينا ρ ، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط. والجواب أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة »[3].

وقال الكِرْماني في شرح البخاري (122/22) عند شرح الحديث: « معناه لكل نبي دعوة مجابة البتة، وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهي على رجاء إجابتها: بعضُها

---

(1) رواه مسلم (199) .
(2) تفسير الطبري المجلد الثامن ج16 ص 97 .
(3) فتح الباري 97/11 .

يُجاب وبعضها لا يُجاب ».

وإذا كان في حياته يشفع لهم بالدعاء، وبعد موته يشفع، وبعد قيامه يشفع: قال: ((أنا أوّل شافع)).

وقال: ((إني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً)).

{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } [البقرة: 154].

قال ρ : ((إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويسٌ ... فمن لقيه منكم فليستغفر لكم))[1].

قال ρ : ((سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو. فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة))[2].

قال: ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه: حلّت له شفاعتي)).

وقال ρ : ((من صلى عليّ عشراً أول النهار وعشراً في آخره: حلّتْ له شفاعتي))[3].

مسألة التوسل

{ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى } ذكر التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين « مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالاً على صورته وعظموه تشفعاً إلى الله تعالى وتوسلاً »[4].

قال في القاموس في مادة (وسل): « وسل إلى الله تعالى توسيلا: أي عمل عملاً تقرّب به إليه ».

---

(1) مسلم (2542) .
(2) رواه مسلم (384) .
(3) رواه المنذري 659 بإسناد صحيح .
(4) شرح المقاصد للتفتازاني 4/ 41 – 42 .

وفي المصباح المنير: « ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: أي عمل عملاً تقرّب به إليه ». و«توسّل إلى ربّه وسيلة: أي تقرّب إلى الله بعمل ».

وفي الصّحاح للجوهري « توسّل إليه بوسيلة: أي تقرّب إليه بعمل ».

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ } [المائدة: 35] عن ابن عباس والسدي وقتادة: « أي تقرّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه » قال ابن كثير: « وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف فيه بين المفسرين » وساق الطبري أقوالاً "حاصلها" أن الوسيلة هي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه[(1)].

وقال أبو الليث السمرقندي (كبير مشائخ الحنفية): { **وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ** } « أي اطلبوا القربة والفضيلة بالأعمال الصالحة »[(2)].

{ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً 56 أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء: 56]. قال ابن عباس ومجاهد: « وهم: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم »[(3)].

قال ابن مسعود: « نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنّيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون ».

قال الحافظ: « استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وصاروا

---

(1) تفسير ابن كثير 2/52-53 . تفسير الطبري المجلد الرابع ج6 ص146-147 وانظر تفسير البيضاوي .

(2) بحر العلوم 3/73 .

(3) تفسير البغوي 5/101 محقق .

يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وهو المعتمد في التفسير »[1].

وقال بعض السلف: « كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة، فبيّن الله لهم أن هؤلاء عبادي كما أنتم عبادي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقرّبون إليّ كما تتقرّبون إلي ».

{ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [الأعراف: 180].

روى بريدة أن رجلاً جعل يدعو، فجعل النبي ρ يستمع إلى دعائه فكان يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (أن تغفر لي ذنوبي) فقال النبي ρ : ((والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))[2].

ثلاثة نفر من بني إسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار وحالت دون خروجهم فجعلوا يذكرون أخلص أعمالهم الصالحة ويسألون الله بها أن يفرج عنهم الصخرة ففرجها عنهم[3].

{ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } { رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا }.

عن أم الدرداء لصفوان – وقد كان مسافراً: « ادعُ لنا بخير، فإن رسول الله ρ كان يقول: ((دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه مَلَك موكّل. كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين، ولك بمثل))[4].

أصيب الناس في عهد عمر بالقحط فخرج بالناس للاستسقاء ثم قال: « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك ρ فتسقينا، وإنا نتوسل

---

(1) البخاري (4714 و4715) فتح الباري 397/8 – 398 .
(2) رواه الترمذي رقم (3471) وأبو داود (1493) .
(3) رواه البخاري .
(4) رواه مسلم (2733) .

إليك بعمٍّ نبينا فاسقنا »[1]. وفي رواية أنس: « كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ρ استسقوا به، فيستسقي لهم فيُسقَوْن. فلما كان في عهد عمر.."[2].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رواية تؤكد أن التوسل كان بدعاء العباس فقال عمر للعباس: « قم واستسق لنا » فقال العباس: « اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث »[3].

حكى الحافظ ابن حجر عن الراغب « أن (كان) عبارة عما مضى من الزمان. لكنها في كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية كقوله تعالى: **{ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }**، قال: وما استعمل منه في وصف شيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فللتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له أو قليل الانفكاك عنه كقوله تعالى: **{ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا }** [4].

قال ابن عباس في تفسيره قوله تعالى: **{ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }** [نوح: 23] هذه أسماء رجال أولياء صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا بنَوا لهم الصور والتماثيل (البخاري 4920).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صوّرنا صُوَرهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة،

---

(1) البخاري (1010) .

(2) فتح الباري 2: 495 .

(3) فتح الباري 2: 497 واحتج به العلامة الكشميري فيض الباري 379/2 والسبكي في شفائه (ص 172) وهو حجة عليه. وانظر إتحاف السادة للزبيدي 48/5 و444/3 انظر كلام العلامة أنور الكشميري في فيض الباري 379/2 .

(4) فتح الباري 410/13 .

فصوّروهم: فلما ماتوا، وجاء آخرون: دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبِهم يُسقَون المطر، فعبدوهم[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم مَن بعدهم على ذلك »[2]. وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين. فكلما مات منهم أحدٌ مثَّلوا صورته وتمسحوا بها. فعبدوها بتدريج الشيطان لهم[3].

وقال القرطبي « فعلوا ذلك ليتأنّسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنه خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها، فحذّر النبي ρ عن مثل ذلك.. وسدّ الذّرائع المؤدية إلى ذلك فقال: ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد))[4].

وذهب الرازي إلى أن المشركين « وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى. [أضاف]:

ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله »[5]. أ. هـ.

قال النبي ρ : ((اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد)) ثم نشأت الشبهة عندهم فقالوا: لو كان التوسل بالدعاء لما قال

---

(1) تفسير الطبري مجلد 12 ج29 ص62 وانظر البخاري رقم (4920) تفسير سورة نوح .

(2) وما زالوا إلى يومنا هذا .

(3) فتح الباري 8: 668 – 669 .

(4) تفسير القرطبي لآية (104 من البقرة) .

(5) التفسير الكبير للرازي 59/17 .

الأعمى « أسألك اللهم بنبيك » ولقال: « أسألك اللهم بدعاء نبيك » فلماذا تضيفون ما لم ترد إضافته؟

قال النبي ρ : ((إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم))[1].

وكان ρ يستقبل القبلة في دعائه ويسأل الله وحده، وكان يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة: **((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** [والدعاء صلاة] **وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)).**

قصة الأعمى مع عثمان رضي الله عنه عند الطبراني ضعيفة السند ولم يتعرض لها الطبراني بتصحيح وإنما قال في الصغير (184/1): « لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد المكي – وهو ثقة – وهو الذي يحدث عنه ابنه أحمد بن شبيب عن يونس بن يزيد الأيلي. وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد – وهو ثقة – تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة: والحديث صحيح ».

وقوله: « لم يروه...» مشعر بضعف القصة عنده وهو الحق. فإن آفة إسنادها رواية عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد وهي منكرة عند جميع أهل الحديث كما أشار إليه ابن عدي في (الكامل في ضعفاء الرجال رقم 891 (ص30/4): « حدث عنه ابن وهب بأحاديث منكرة» وقال الحافظ في (التقريب 2739) في ترجمة شبيب: « لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب ».

قال ابن عدي: « ولعل شبيباً لما قَدِم مصر في تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهِم وأرجو أن لا يتعمَّد الكذب »[2].

---

(1) رواه البخاري (2896) والزيادة عند النسائي 48/6 .

(2) وقع خطأ في نقل كلام ابن عدي عند الذهبي في (الميزان 262/2) "كان شبيب لعله يغلط إذا حدَّث من حفظه" والصحيح أن المقصود بالغلط والوهم

ويؤكد نكارة تفرد ابن وهب عن شبيب أن أحمد بن شبيب وهو المختص بالرواية عن أبيه روى الحديث من غير زيادة هذه القصة كما عند الحاكم في (المستدرك 526/1) وابن السني في (عمل اليوم والليلة 170) من طريق أحمد بن شبيب بن سعيد قال: ثنا أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني وهو الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله ρ ...الخ.

وهذه الرواية أصح سنداً لأنها من روايات أحمد بن شبيب عن أبيه. وتقدم قول الحافظ في (التقريب 2739) في ترجمة شبيب: « لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب ».

قال ρ : ((من ولاّه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتِهم وفقرهم: احتجب الله دون حاجته وخَلَّته وفقره يوم القيامة)) وفي رواية: ((ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلَّة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّتِه وحاجته ومسكنته))[1].

موقف أبي حنيفة من التوسل

• جاء في الدر المختار[2] وهو من أشهر كتب الحنفية ما نصه: « عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى: { **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** } [الأعراف: 180].

قال أبو حنيفة: « وأكره أن يقول: بحق فلان أو بِحَقّ أنبيائك

هو ابن وهب الراوي عنه كما هو ظاهر من كلام ابن عدي نفسه في الكامل 31/4.

(1) رواه الترمذي (1332) وأبو داود (2948) .

(2) 630/2 ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف وقد أخذ الحبشي يتسخط على الألباني الذي واجهه بنصوص أبي حنيفة في لقاء معه قائلاً "قد كفانا أبو حنيفة مؤنة هذه المسألة" فاستشاط غيظاً من قوله .

ورسلك »[1]. وقال أبو يوسف: « لا يُدعى الله بغيره ».

واعترف شيخكم بقول أبي يوسف صاحب أبي حنيفة « لا يُدعى الله بغيره »[2].

قال المرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين: « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بِحَقّ فلان، أو بِحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق »[3].وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد. وهذا ما قاله البلدجي في شرح المختار. والقدوري في شرح الكرخي. ونقله العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة.

قال ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار قوله: (وكره بحق رسلك...) هذا لم يخالف فيه أبو يوسف، بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الاتقاني. أ. هـ.

وقال تحت قوله (لأنه لا حق للخلق على الخالق): « ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع فلا يعارض خبر الآحاد، فلذا والله أعمل أطلق أئمتنا المنع » أ. هـ.

قال العز بن عبد السلام[4]: « ينبغي كون هذا مقصوراً على النبي لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله لغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون مما خص به تنبيهاً على علو رتبته وسمو مرتبته ».

قال في قوله تعالى: { **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** }قال: « فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاثاً وهو خلاف النص ». قال:

« والجواب بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليس الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه

---

(1) الفتاوى الهندية 280/5 الفقه الأكبر شرح ملا علي قاري 110 .
(2) صريح البيان 69 وانظر الطبعة الجديدة المجلدة 163 .
(3) إتحاف السادة 285/2 جلاء العينين 452 .
(4) انظر (حاشية الهيتمي على الإيضاح 452 فيض القدير للمناوي 135/2) وفتاوى العز بن عبد السلام ص126 .

وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة. فهي إعادة عارضة كما حي خلق لكثير من الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى »[1].

قال الشهرستاني عن عقائد النصارى: « والمسيح هو الابن الوحيد وهو الذي به غفرت زلة آدم عليه السلام »[2].

بضاعته في الحديث فاسدة

- كان يجدر بالحبشي أن يكون خادماً للحديث أميناً فلا يروي إلا الصحيح. لقد انتقد الحبشي الحافظ الذهبي[3] واتهمه بالتساهل في رواية الحديث وأنه يأتي بأحاديث غير ثابتة وآثار من كلام التابعين من غير تبيينٍ من حيث الإسناد والمتن[4].

ولكن الذي أطلعتُكَ عليه وما ستراه الآن سيكشف لك أنه هو الذي يجتهد في تصحيح الضعيف بالحيلة تارة وبالسكوت عن العلل والقوادح تارة أخرى. ويتكتم على ضعفِ ما لم يستطع تصحيحه. ويحتج بمن حسّنه مع علمه بضعفه، ويكثر الرواية عن روايات الشيعة التي تطعن في الصحابة أمثال المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب وسيف بن عمر وهشام الكلبي ولوط بن يحيى الكوفي وغيرهم ممن حذر أئمة الجرح والتعديل من الرواية عنه لما فيهم من الكذب والغلو والتشيع كقول ابن عدي في لوط بن يحيى: « شيعي محترق له من الأخبار ما لا أستحب ذكره » وقول الحافظ ابن حجر: « إخباري تالف لا يوثق به » وقول الرازي: « ليس بثقة، متروك الحديث »[5].

---

(1) فتح الباري 3: 241 .
(2) الملل والنِحَل للشهرستاني 61/2 .
(3) وأين هو منه .
(4) إظهار العقيدة السنية 97 .
(5) الكامل في الضعفاء 93/6 لسان الميزان 584/4 الجرح والتعديل 182/7 سير أعلام النبلاء 301/7 .

لكن الحبشي تعلق بهؤلاء الرواة ووجد في رواياتهم الكاذبة ما يشفي غليله من صهر رسول الله ρ معاوية[1]. فانظر الآن جملة من الروايات الباطلة التي يحتج بها:

نماذج من هذه البضاعة

- استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فيه اضطراب: مالك الدار غير غير معروف العدالة والضبط. وأما ما جاء في رواية سيف بن عمر الضبي أن الرجل هو بلال بن الحارث فهذا مردود: فإن سيفاً هذا كان يضع الأحاديث. قال ابن أبي حاتم "ضعيف" (الجرح والتعديل 278/4) "ورماه ابن حبان والحاكم بالزندقة" (تهذيب التهذيب 295/4).
- أن أبا أيوب الأنصاري وضع رأسه على قبر النبي ρ . فيه داود بن أبي صالح (حجازي لا يعرف) وفيه كثير بن زيد: صدوق يخطئ وضعفه النسائي.
- كانوا إذا أتوا رمانة المنبر القرعا مسحوها. فيه زيد بن الحباب صدوق كثير الخطأ وفيه أبو مودودة (مقبول) ويزيد بن عبد الملك بن قسيط والرواية التي بعدها عند مصحف ابن أبي شيبة تناقضها وهي أوثق منها.
- حديث: « **إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم** »[2] (موضوع) قاله ابن الجوزي في (الموضوعات 27/2) وفيه أيوب بن مدرك. قال ابن معين (كذاب) وقال الحافظ في (التلخيص 70/2) ضعيف.
- حديث « **ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن...** »[3].
- حديث: « **انتظار الفرج عبادة** »[4] **موضوع**. فيه عمرو بن حميد. قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان 1917)

---

(1) انظر كتابه صريح البيان ص 93، 96، 97، 99، 100، 103 .
(2) المقالات السنية 53 .
(3) المقالات السنية 113 .
(4) المقالات السنية 96 .

والذهبي في (ميزان الاعتدال 6356) « ذكره السليماني في عداد من يضع الحديث » وذكر أنموذجاً لموضوعاته وهو نفس الحديث « انتظار الفرج عبادة».

- حديث: « **أوحى الله إلى عيسى: آمن بمحمد، فلولاه ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار** »(1) صححه الحاكم (614/2) وتعقبه الذهبي فقال: « أظنه موضوعاً » وفيه عمرو بن أوس الأنصاري (قال الذهبي في الميزان 6330): « يُجهل حاله وأتى بخبر منكر» ثم ساق هذا الحديث. وأقرّ الحافظُ الذهبيَ على ذلك في (اللسان 408/4 ترجمة رقم 6248).
- حديث: « **من زار قبري وجبت له شفاعتي** »(2)، فإنه يحيلك إلى موضع الحديث لكنه لا يحكم عليه لأنه يعلم أنه لم يصح، فهذا الحديث مروي من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. وهو ضعيف وتجتمع فيه علل عديدة منها جهالة موسى بن هلال هذا. قال أبو حاتم: "مجهول" وقال العقيلي: "لا يُتابَع على حديثه" وقال ابن عدي: "أرجو أنه لا بأس به". قال الذهبي: هو صويلح الحديث، وأنكر ما عنده حديثه عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ρ : « من زار قبري وجبت له شفاعتي» كذا قاله الحافظ(3) وأشارا كلاهما وابن خزيمة وغيرهم إلى الاضطراب في الرواية عن عبد الله بن عمر أو عن عبيد الله بن عمر. ونقل عنه الحافظ قوله: « إن الثقة لا يروي هذا الخبر المنكر. ونقل عن العقيلي أنه لم يصح في هذا الباب شيء » ثم أكد الحافظ بنفسه أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وأن أصح شيء في هذا الباب هو حديث ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي حتى أرد عليه

---

(1) المقالات السنية 106 .
(2) صريح البيان 83 .
(3) لسان الميزان 158/6 ميزان الاعتدال 225/4 .

السلام)) (التلخيص الحبير 267/2)[1].

ومع ذلك يأبى الأحباش إلا تصحيح الحديث ولم يأخذوا بكلام الحافظ ابن حجر بل قدموا عليه هذه المرة السبكي الذي يدل كتابه (شفاء السقام) على مرتبة في الحديث[2].

- ومجرد تصحيح هذه الأحاديث الضعيفة إنما هو طعن في أئمة هذه الأمة منها الإمام مالك، فقد قال الحافظ في الفتح: « أما مالك فقد كان رحمه الله يكره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ρ »[3]. ونص عليه القرافي في الذخيرة والزبيدي في شرح الإحياء الذي صرح بأن دليل مالك قوله ρ : ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[4].

وهذا أعظم دليل على أن مالكاً لم تصح عنده أحاديث الحثّ على زيارة قبر النبي ρ إذ لو صحت لما تجرأ أن يقول: « أكره أن يقال زرت قبر النبي ».

---

(1) وقد تكلف السيوطي في تأويل الحديث وأتى له بمعان متناقضة بعيدة عن الصواب منها:

- أن تكون الروح كناية عن السمع وأن الله يردّ عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم.
- أن تكون الروح بمعنى الارتياح لا بمعنى روح الحياة.
- أن تكون الروح بمعنى الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة عليه.
- أن المراد بالروح هو الملك الذي وكل بقبره ρ يبلغه السلام، أي بعث إلي الملك الموكل يبلغني السلام .
- أن المراد بالروح: التفويض... ففوض الله أمر هذه الرحمة إلى النبي ρ فيصير معنى الحديث: "إلا فوض الله إليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولّى الدعاء بها بنفسي بأن أنطق بلفظ السلام".
- أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي ρ على أمته. (إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء ص260-264).

(2) مجلتهم منار "الهدى" 33/30 .

(3) إتحاف السادة المتقين للزبيدي 417/4 بغية الطالب 233 .

(4) فتح الباري 66/3 وانظر الذخيرة للقرافي 375/3 تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الإسلامي .

• حديث: « **من حج ولم يزرني فقد جفاني** »[1]. قال الذهبي: **موضوع** (ميزان الاعتدال رقم9095) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (217/2) واعترف الحبشي بوضعه ومع ذلك احتج به.

• أن ابن عمر خدرت رجله فقال (يا محمد) فيه محمد بن مصعب القرقسائي (ضعيف) وفيه الهيثم بن حنش (مجهول العين) وفيه أبو إسحاق السبيعي (مجهول وقد اختلط) وفيه غياث ابن إبراهيم (كذاب).

• قصة عثمان بن حنيف الملصقة بحديث الضرير: فيه شبيب بن سعيد.

• **اقرأوا على موتاكم يس** اجتمعت فيه ثلاث علل كما قال الحافظ (التلخيص 104/2).

• حديث: « **هي المانعة هي المنجية** » أي سورة تبارك[2]. فيه يحيى بن عمرو النكري رماه حماد بن زيد بالكذب وضعّفه أبو داود وذكر الذهبي من مناكيره هذا الحديث (الميزان رقم 9595).

• حديث: « **اقرؤوا يس على موتاكم** »[3] واحتج بتصحيح ابن حبان تاركاً وراءه تضعيف الحفاظ الآخرين. وأنت تعلم تساهل ابن حبان في التصحيح. وهذا الحديث قد اجتمعت فيه عللٌ عديدة كما بيّنه الحافظ ابن حجر في التلخيص، منها:

1 ـ جهالة أبي عثمان. 2 ـ جهالة أبيه. 3 ـ الاضطراب: فقد أعلّه ابن القطان بذلك. وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ولا يصح حديث في الباب[4].

فليس من خدمة الحديث تجاهل حقيقة ضعف الحديث لمجرد موافقة الحديث للهوى والمذهب. إذ من يفعل لا يجوز أن يشاع

---

(1) المقالات السنية 144 .

(2) المقالات السنية 117 .

(3) إظهار العقيدة السنية 210 .

(4) التلخيص الحبير 2/ 104 إرواء الغليل للألباني (688) .

عنه بأنه خادم الحديث وسلطان العلماء ومحدث العصر!

• حديث: « **يس قلب القرآن...**»[1]. وطرفه « البقرة سنام القرآن » (المسند 26/5) وهذا إسنادٌ ظاهر الضعف، وفي الإسناد ما يلي: « عن رجل عن أبيه »!! فمن هو هذا الرجل ومن هو أبوه؟ لعله أبو عثمان غير النهدي وأبوه كما في الحديث السالف وكلاهما مجهول الحال.

• حديث: « **ليهبطن عيسى بن مريم حكماً...**» احتج به الحبشي[2] وهو عند مسلم، ولكن الجزء الأخير منه (وليأتينّ قبري) عند الحاكم (595/2) صححها ووافقه الذهبي. وفيها ثلاث علل:

الأولى: جهالة عطاء قال عنه الذهبي (لا يُعرَف تفرّد عنه المقبري).

الثانية: عنعنة ابن إسحاق، فإنه مدلس مشهور بذلك.

الثالثة: الاختلاف عليه في إسناده كما بيّن ابن أبي حاتم في العلل (413/2) حيث سأل أبا زرعة عن سند الحديث فأشار عليه بالرواية الصحيحة التي ليس فيها الزيادة التي عند الحاكم (وليأتينّ قبري)[3]. وقد صدق ابن تيمية حين ضعّف رواية الحاكم.

• حديث: « **لا ينبغي للمطي أن تُعمَل** »[4] فيه شهر بن حوشب صدوق كثير الأوهام كما في التقريب (2830) خالف الروايات الأخرى الصحيحة.

• حديث: « **من صلى علي عند قبري سمعته** »[5]. **موضوع** كما قال ابن الجوزي في (الموضوعات 303/1). فيه محمد بن مروان: متهم بالكذب كما عند الحافظ في (التقريب 6284) وعند ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل رقم 364) كذاب متروك الحديث

---

(1) إظهار العقيدة السنية 210 .
(2) الدر المفيد 13 .
(3) لمزيد من التفصيل ارجع إلى السلسلة الضعيفة 647/3 .
(4) المقالات السنية 138 .
(5) المقالات 115 .

لا يُكتَب حديثه ألبتة.

- حديث « حياتي خير لكم تحدثون ويُحدَث لكم، ومماتي خير لكم تُعرَض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » ضعيف. فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوّاد، وروايته هذه شاذة لتفرده بهذه الزيادة على حديث (إن لله ملائكة سياحين). وهو متكلم فيه من قبل حفظه مع أنه من رجال مسلم. قال فيه ابن حبان في المجروحين (205/2): « منكر الحديث جداً يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير: فاستحق الترك ». وقال الحافظ في التقريب (4160): « صدوق يخطئ ».

ولذلك لما رواه الحافظ البزار قال: « لم نعرف آخره يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه» وإنما رواه النسائي(رقم 1282) من دون هذه الزيادة.

والحديث ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد 24/9) وقال: « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح » وهذه العبارة لا تفيد صحة الإسناد أو الحديث كما هو معروف عند أهل الحديث، فلا يجوز أن يقال: « صححه الهيثمي » فهذه تمويه وتلبيس على العوام، فإن صحة الحديث ليست بلازمة لصحة الإسناد، بل بينهما مراتب، فكم من سند صحيح رواته ثقات وهو شاذ أو معلل، وتعريف الحديث الصحيح عند المحدثين يتضمن أمرين مهمين: صحة الإسناد وانتفاء الشذوذ والعلة.

ولهذا قال الحافظ العراقي شيخ الهيثمي في (تخريج الأحياء 148/1): « إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعقّه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف ». وأصح طرقه حديث بكر بن عبد الله المزني وهو مرسل من أقسام الضعيف عند المحدثين.

فإن الملائكة حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا { **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } ولم يقل أحد بجواز سؤالهم من دون الله مع ثبوت استغفارهم للمؤمنين من القرآن، ولم يعلّم النبي ρ أصحابَه أن يسألوهم الاستغفار لهم مع أن الملائكة حاضرون أحياء.

- ثم إن دعاء النبي ρ من دون الله شرك. وإذا وقعت في الشرك حُرِمتَ شفاعة نبيك ρ فقد قال تعالى: **{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ }.**
- حديث « **إذا مات أحدكم فلا تحبسوه** »[1] **ضعيف جداً.** فيه يحيى بن عبد الله بن الضحاك وهو ضعيف ضعفه أبو حاتم.
- **أمرت بقتال الناكثين والقاسطين.** فيه حكيم بن جبير: يترك حديثه.
- **من سب علياً فقد سبني.** فيه أبو إسحاق السبيعي: اختلط بآخره.
- **أن معاوية أوصى ولده أن يقطع ابن الزبير إرباً.** فيه أبو مخنف لوط بن يحيى الكوفي: شيعي محترق.
- **أن معاوية كان يلبس الحرير** ويفترش في بيته جلود النمور. فيه بقية أحاديثه ليست نقية فكن منها على تقية. ويقبل إذا أمن تدليسه.
- أن معاوية قال بعد سماع حديث (النبوة ثلاثون) « **رضينا بالملك** » فيه علي بن زيد: ضعيف. أما حديث (النبوة ثلاثون) فهو صحيح وليس فيه هذه الزيادة.
- قول مالك « **بل هو وسيلتك ووسيلة أبيك** » فيه محمد بن حميد الرازي: ضعيف كثير المناكير ولم يدرك مالكاً.
- **أسألك بحق السائلين عليك.** (فيه عطية العوفي: كان يتشيع) وصرح المنذري والنووي بضعف الرواية.
- أن عبد الله بن عمر **كان يزيد في التشهد** « **وحده لا شريك له** » ويقول: **أنا زدتُها**[2] وهذا الحديث عند أبي داود برقم

(1) المقالات السنية 174 .

(2) صرح البيان 75 .

(971) غير أن من يراجع الحديث الذي يليه (973) فسيجد أن هذه الزيادة من كلام النبي ρ وليست من زيادة ابن عمر، فلمَ التلبيس والتمويه؟

- **لما اقترف آدم الخطيئة.** فيه عبد الرحمن الفهري. "واهٍ" ضعفه البيهقي في دلائل النبوة (489/5).
- **لا ربا بين مسلم وكافر حربي.** أرسله مكحول وهو مدلس ويروي عمن لم يسمع منهم.
- **أن النبي أتي ببرد قطري فوضعه** على يده. رواه أبو داود في مراسيله. والمراسيل لا تقوم بها حجة فضلاً عن أن يعارض بها ما هو أصح وأصرح منها كحديث عائشة عن البخاري (إني لا أصافح الناس).

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... قاله أبو طالب: خذوا عقيدتكم منه وتمسكوا بها.

وهل كان الصحابة يستسقون بوجهه؟ أم أن ذلك قولاً لأبي طالب تذكره صحابي ولم يثبت عن أحد من الصحابة فعله. بل تركوا التوسل بالنبي ρ وتوسلوا بالعباس بعد موته؟ لماذا لا تقولون الصحابة وهابيون؟

أساطير الأولين يرويها خادم علم الحديث
(القصص الكاذبة حول المولد)

ويكفي للمنصف أن يطلع على هذه الرسالة ليتعرف على حقيقة خدمة هذا الرجل لعلم الحديث وليتأكد أن من كان يركن إلى الضعيف والموضوع من الروايات ويستدل في مسائل العقيدة بالأقاصيص الواهية[1] لا يكون من أهل الحديث ولا من خدامه.

أسوق لك رواية المولد النبوي وما فيها من الأساطير لترى أن هواه يميل مع المكذوب الذي يرمي به الذهبي. يقول:

- « لما حملت آمنة برسول الله ρ كانت ترى الطيور عاكفة

(1) يحتج بالخرافات لتجويز الاستغاثة بغير الله (انظر مقالاته 49) .

عليها إجلالاً للذي في بطنها، وكانت إذا جاءت تستقي من بئر: يصعد الماء إليها إلى رأس البئر إجلالاً وإعظاماً لرسول الله ρ ».

- قالت: وكنت أسمع تسبيح الملائكة حولي. ثم أتاني ملك ومعه ورقة خضراء. فقال إنك قد حملت بسيد المرسلين[1].
- ولما مات عبد الله ضجت الملائكة إلى باريها وقالت: إلهنا يبقى نبيك وحبيبك يتيماً؟ قال تعالى: **اسكتوا يا ملائكتي**[2].
- قالت آمنة: لما كان أول شهر من شهوري، إذ دخل علي رجل حسن الوجه طيب الرائحة: وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: مرحباً مرحباً بك يا محمد.
- فلما كان في الشهر الثاني دخل علي رجل جليل القدر، وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا رسول الله. قلت له من أنت. قال: أنا شيث. أبشري يا آمنة. فقد حملتِ بالنبي الكريم والسيد العظيم. الضبُّ له يكلّم. والحجر له يسلّم. ثم انصرف.
- فلما كان في الشهر الثالث دخل عليَّ رجلٌ له سكينة ووقار وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا مزمِّل. قلت له: سيدي من أنت؟ قال أنا النبي إدريس. فقلت: وما تريد يا إدريس؟ قال: أبشري يا آمنة، فقد حملت بالنبي الرئيس.
- فلما كان في الشهر الرابع دخل عليّ رجلٌ أسمر مليحُ المنظر وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا صادق. السلام عليك يا صفوة الكريم الخالق. فقلت له سيدي من أنت؟ قال أنا نوح. فقلت وما تريد يا نوح؟ قال: أبشري يا آمنة: فقد حملتِ بالنبي الممنوح الذي ذكاؤه في الآفاق يفوح.
- فلما كان في الشهر الخامس دخل علي رجل حسنه مُكمَّل، ووجهه مُجمَّل، وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا زين المرسلين ويا إمام المتقين. قلت له سيدي من أنت؟ قال أنا

---

(1) كتابه المولد النبوي ص7 .

(2) بأي سند يروي هذا الهذيان؟ وهل يتصور أن يتكلم الله مع ملائكته بمثل هذه الطريقة .

نبي الله هود. قلت وما تريد يا هود. قال: أبشري يا آمنة فقد حملت بالنبي المسعود.

• فلما كان في الشهر السادس دخل علي رجل جليل المقدار كثير الأنوار وهو يشير بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا بغية المطلوب. فقلت له سيدي من أنت؟ قال أنا إبراهيم قلت: ما تريد يا إبراهيم: قال: أبشري يا آمنة: فقد حملت بالنبي الجليل والرسول الفضيل. ثم انصرف.

• فلما كان في الشهر السابع دخل عليّ رجل أملح ووجهه من البدر أصبح وهو يشير إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا صفوة الإله، السلام عليك يا عظيم الجاه، فقلت له: سيدي من أنت؟ قال: أنا أبوه إسماعيل الذبيح. فقلت له سيدي وما تريد؟ قال أبشري يا آمنة فقد حملت بالنبي المليح. صاحب النسب الصحيح واللسان الفصيح. ثم انصرف.

• فلما كان في الشهر الثامن دخل عليّ رجل طويل القامة مليح الهامة وهو يشير إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا إمام الأبرار، السلام عليك يا حبيب الملك الجبار، فقلت له: سيدي من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران. قلت وما تريد يا موسى؟ قال: أبشري يا آمنة. فقد حملت بمن ينزل عليه القرآن. ويكلمه الرحمن. ثم انصرف[1].

• فلما كان في الشهر التاسع دخل علي رجل لابس الصوف، وهو بالبادة موصوف. فأشار بيده إلى فؤادي ويقول: السلام عليك يا زين الخلائق. فقلت له: سيدي من أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم. فقلت وما تريد يا عيسى؟ قال أبشري يا آمنة: فقد حملت بالنبي الأكرم. وفي هذا الشهر تضعين محمداً ρ .

• قالت آمنة: وبقيت في المنزل وحيدة، إذ سمعتُ حركةً بين السماء والأرض[2]. ورأيت ملكاً عظيماً بيده ثلاثة أعلام. فنشر

---

(1) المولد النبوي 10 – 11 .

(2) المولد النبوي 12 – 13 .

الأول على مشرق الأرض. والثاني على مغربها. والثالث على البيت الحرام. فنظرت إلى ركن المنزل وقد ظهر منه أربع نساء، طوال كأنهن الأقمار. فقالت الأولى: أنا مريم بنت عمران. والتي على يسارك سارة. والتي تناديك من خلفك هاجر أم إسماعيل الذبيح. والتي أمامك آسيا امرأة فرعون. فتقدمت الأولى وقالت: أبشري يا آمنة، من مثلك وقد حملت بسيد أهل الأرض والسماء. ثم جلست بين يدي وقالت: ألق بنفسك علي وميلي بكليتك إلي.

- قالت آمنة: وفي تلك الساعة رأيت الشهب تتطاير يميناً وشمالاً، ورأيت المنزل قد اعتكر عليّ بأصوات مشتبهات، ولغات مختلفات، فأوحى الله تعالى إلى رضوان: يا رضوان زيِّن الجِنان، واهتز العرش طرباً، ومال الكرسي عجباً، وتجلى الملك الديان من غير حركة ولا انتقال[1].
- ثم إن الله تعالى أوحى إلى جبريل أن صُفَّ أقداح راح الشراب[2] وانشر نوافح المسك الذكية، وعطِّرِ الكونَ بالروائح الطيبة الزكية، وافرش سجادة القرب، وقيل يا مالك أغلق أبواب النيران، وصفِّدِ الشياطين.
- قالت آمنة: ولم يأخذني ما يأخذ النساء من الطلق، إلا أني أعرق عرقاً شديداً، كالمسك الأذفر لم أعهده قبل ذلك من نفسي، فشكوتُ العطش، فإذا بملك ناولني شربة من الفضة البيضاء، فيها شراب أحلى من العسل، فشربتها، فأضاء علي منها نور عظيم. فبينما أنا كذلك، إذا أنا بطائر عظيم أبيض قد دخل علي وأمرَّ بجانبة جناحيه على بطني، وقال: انزل يا نبي الله ρ . فأعانني عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة، فوضعت الحبيب

(1) أيعقل أن تنزه آمنة ربها عن الحركة كأنها كانت خبيرة بمذهب أرسطو؟ ثم يتحدث ابنها ρ عن علو الله ونزوله ومجيئه من غير أن ينزهه عن الحركة والانتقال. ثم يستأذن ربها بعد موتها أن يستغفر لها فيمنعه من ذلك كما في مسلم (977) .

(2) انظر كيف يفترون على الله الكذب. لمن يُوزع الشراب أعلى الملائكة الذي لا يأكلون ولا يشربون أم على أهل الأرض؟

محمداً[1]. فلما خرج مني خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب. وولد ρ مكحولاً مدهوناً مسروراً مختوناً.

- وحين وُلِدَ سارَعتْ إلى طلعته المباركة ثلاثة من الملائكة. مع أحدهم طست من الذهب، ومع الثاني إبريق من الذهب، ومع الثالث منديل من السندس الأخضر.

- قالت آمنة بنت وهب: فلما وضعت رسول الله ρ رأيته رافعاً رأسه إلى السماء، مشيراً بأصبعه، فاحتمله جبريل وطارت به الملائكة. ولفَّه ميكائيلُ في ثوب أبيض من الجنة وأعطاه إلى رضوان [الملك] يزُقُّهُ كما يزقُّ الطيرُ فرخَه[2]. فقال له رضوان: يكفيك يا حبيب الله فما بقي لنبي علم وحلم إلا أوتيتَه. وإذا منادٍ ينادي: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها. واعرضوه على موارد الأنبياء. وأعطوه صفوة آدم[3]. فقالت الطير نحن نكفله، وقالت الملائكة: نحن أحق به. وقالت الوحوش: نحن نرضعه. قال الله: أنا أولى بحبيبي ونبيي محمد ρ . فإني قد كتبت أن لا ترضعه إلا أمتي حليمة[4]. فأدارته إلى ثديها الأيسر فامتنع إلهاماً من الله تعالى وتحريكاً كأنه قد علم أن له في ذلك شريكاً[5].

* ثم قال بعد هذه الأكاذيب: « ليعلم المطالعون لهذا المولد أن أغلب الأحاديث المتعلقة بالمولد ليست صحيحة الأسانيد إذ لم يصح منها إلا القليل. وهناك كُتبٌ أُلِّفَتْ في المولد فيها الكذب الصريح ».

قلت: ومنها هذا الكتاب.

ولا أجد رداً على رواية الحبشي هذه إلا أن أنصحه بقراءة

---

(1) المولد النبوي 16 – 17 .
(2) المولد النبوي 19 .
(3) ذكر قبل ذلك أنه أعطي صفوة الله. وها هو يذكر الآن أنهم أعطوه صفوة آدم .
(4) المولد النبوي 20 .
(5) المولد النبوي 22 .

كتاب للسيوطي بعنوان « **تحذير الخواص من أكاذيب القُصّاص** ».

إن هذه الطريقة التي ينتهجها الحبشي وأهل الكلام الذين يطعنون في أحاديث الآحاد التي في مسلم والبخاري ويعتمدون الأخبار المكذوبة التي تؤيد مذهبهم وهواهم، إن هذا مصداق قوله ρ : ((يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم))[1].

فانظر فكيف يتهم الحبشي الذهبي بالتساهل في حين يروي صريح المكذوب والموضوع دفاعاً عن عقيدته. ورغبة وميلاً إلى خرافاته.

التبرك

قال الشاطبي: « وقد ترك ρ بعده أبا بكر وعمر وهما خير هذه الأمة وخير ممن يوصف الناس بعدهم بالأولياء ولم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح أن متبركاً تبرك به فهو إجماع منهم على ترك تلك الأشياء ».

قال: « فعلى هذا المأخذ لا يصح لمن بعده: الاقتداء به ρ في التبرك، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة »[2].

قال الحافظ ابن رجب: « وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ρ ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ρ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه». قال: « فهذه الأشياء فتنة للمعظِم والمعظّم لِما يُخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما

---

(1) رواه مسلم في مقدمته (7) .

(2) الاعتصام للشاطبي 9/2 .

يترقى إلى نوع من الشرك »[1].

وذكر السيوطي أن التبرك قد عمت به البلوى وطمت[2].

روى البخاري (5444) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ρ : «((إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم)).

قال أسيد بن حضير لأبي بكر رضي الله عنه: « ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر » وقالت عائشة رضي الله عنها لما تزوج النبي ρ جويرية بنت الحارث: « فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها »[3].

بركة الصالحين تكون بمجالستهم « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

عن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي ρ توضأ يوماً. فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم: ((ما يحملكم على هذا؟)) قالوا: حب الله ورسوله.

فقال: ((من سرَّه أن يحب الله ورسوله – أو يحبه الله ورسوله – فليصدُق حديثه إذا حدث، وليؤدّ أمانته إذا اؤتمن، وليُحسِن جوار من جاوره))[4].

وكان الصحابة في حداثة عهدهم بالإسلام رأوا المشركين يعلّقون سيوفهم عند شجرة يظنون البركة تحل بها، فقالوا للنبي ρ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: ((قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى { **اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } [الأعراف: 138] إنها السنن لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم))[5].

قال الحافظ: « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح

---

(1) الحِكم الجديرة بالإذاعة ص55 .

(2) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة 139/1 ط: الحلبي .

(3) رواه أحمد 277/6 بسند جيد .

(4) رواه الطبراني في معجميه وأشار المنذري إلى تحسينه وخرّجه الألباني في السلسلة الصحيحة (2998) .

(5) رواه الترمذي (2181) في الفتن بإسناد صحيح .

لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك » وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين. فلما مات منهم أحدٌ مثّلوا صورته وتمسحوا بها. فيعبدوها بتدريج الشيطان لهم[1].

كان ρ ينهى عن أن يُجصّص القبر وأن يقعد عليه وأن يُجصّص [وفي رواية] « وأن يكتب عليه »[2].

قال الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي الحنفي: « وأما اتخاذ المساجد فلِما فيه من التشبه باليهود واتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم، ولِمَا فيه من تعظيم الميت وشبه بعبادة الأصنام»[3].

وقال ابن قدامة: « لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صُوَرهم ومسحها والصلاة عندها »[4].

رأى عمر قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلّى فيه رسول الله، قال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض »[5].

« وبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ρ فأمرَ بها فقُطِعَتْ »[6].

---

(1) فتح الباري 8 : 688 – 669 .

(2) رواه مسلم رقم (970) .

(3) الكوكب الدري على جامع الترمذي ص 153 .

(4) المغني لابن قدامة 193/2 .

(5) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها 41 واللفظ له وابن أبي شيبة في المصنف 376/2 وقال الألباني "رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين، انظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص 49 ووفاء الوفا للسمهودي 1412/4 .

(6) قال الحافظ في الفتح (448/7) "إسناده صحيح" فخذوه أيها المقلدة حيث حافظ عليه نص .

• وعن ابن عمر قال: « رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله »[1] وقد بحث عنها أناس في زمن سعيد بن المسيب أثناء ذهابهم للحج فقال لهم سعيد: « حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ρ تحت الشجرة. قال: فما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها » وفي رواية: « فعميت علينا » وفي رواية: « ثم أُنسيتُها بعدُ فلم أعرفها ». قال سعيد للحجيج الباحثين عنها: « إن أصحاب محمد ρ لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟»[2].

قال الحافظ في الفتح: « وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: « كانت رحمة من الله"»[3].

حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي »[4]. وذكر الشيخ محمد بن درويش الحوت ضعف الحديث في (أسنى المطالب ص434).

استعرض الحافظ ابن حجر أحاديث الحث على زيارة قبر النبي ρ وضعّفها كلها وقال: «طرق هذا الحديث كلها ضعيفة »

---

(1) رواه البخاري رقم (2958) .

(2) رواه البخاري (4162) و(4163) و(4164) .

(3) فتح الباري 118/6 .

(4) صريح البيان 83 وهو حديث ضعيف وتجتمع فيه علل عديدة منها: جهالة موسى بن هلال. قال أبو حاتم: "مجهول" وقال العقيلي "لا يُتابع على حديثه" وقال ابن عدي "أرجو أنه لا بأس به". قال الذهبي "هو صويلح الحديث، وأنكر ما عنده حديثه عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ρ "من زار قبري وجبت له شفاعتي" وقال مثله الحافظ ابن حجر (لسان الميزان 158/6 وميزان الاعتدال 225/4) كلهم أشار إلى الاضطراب في الرواية عن عبد الله بن عمر أو عن عبيد الله بن عمر .

ونقل عن ابن خزيمة أنه لم يصح شيء في هذا الباب[1].

فقد نهى ابن عمر الذاهب إلى الطور وقال له: [دع الطور لا تأته] أما علمت أن النبي ρ قال: ((لا تشد الرحال إلا ثلاثة...))[2].

ولقي أبو هريرة بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال له: « من أي أقبلتَ؟ قال: من الطور حيث كلم الله موسى. فقال أبو هريرة: أما لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجتَ إليه، سمعت رسول الله ρ يقول: ((لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...)) »[3].

وذهب الجويني كما حكاه عنه النووي وابن حجر العسقلاني والزبيدي إلى تحريم شد الرحال إلى قبر النبي ρ [4].

وذكر السبكي أن الجويني كان ينقل عن شيخه الفتوى بمنع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة وأنه حرام، وهو الذي أشار إليه القاضي حسين والقاضي عياض في اختياره[5].

ونقل السبكي قول القاضي بأن وفاء النذر يلزم لمن نذر شد الرحال إلى المساجد الثلاث «بخلاف غيرها مما لا يلزم، ولا يلزم شد الرحال إليها لا لناذر ولا لمتطوع بهذا النهي إلا ما ألحقه محمد بن مسلمة من مسجد قباء »[6].

---

(1) التلخيص الحبير 267/2 وانظر تخريج العراقي لأحاديث من زار قبري في حاشية الإحياء 258/1 .

(2) أخرجه الطيالسي (1348) وأحمد في المسند 7/6 بإسناد صحيح والهيثمي في المجمع 4/4 والأزرقي في أخبار مكة ص 304 وابن أبي شيبة 65/4-67 .

(3) رواه مالك في الموطأ 108/1-109 والنسائي 114/3 وأحمد 7/6 والترمذي 362/2-364 والطيالسي (1348) والطبراني في الأوسط والطحاوي في مشكله 242/1 والفاكهي في أخبار مكة 97/2-98 .

(4) النووي على مسلم 106/9 و168 فتح الباري 65/3 إتحاف السادة المتقين 286/4 .

(5) شفاء السقام 121-122 .

(6) شفاء السقام 124 .

{ **وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** } [الأعراف: 29].

قال أحد الروافض: « وأما الإجماع عند أصحابنا الإمامية من صدر الإسلام إلى هذا العصر فإنهم لم يزالوا مطبقين على استحسان مشاهد الأئمة وتعظيمها.. وأن تقبيل القبر بعد الموت كتقبيل اليد في الحياة »[1].

وانتقد الطباطبائي الوهابيين لقولهم: لا يجوز بناء القبور وتشييدها فقال: « وقالت الإمامية: يجوز بناء القبور للأنبياء والأولياء وتشييدها لأنه من باب تعظيم شعائر الله »[2].

وقال محسن الأمين العاملي الشيعي: « ومنع الوهابية تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها من لمس وتقبيل لها ولأعتاب مشاهدها وتمسح بها وطواف حولها »[3].

ففي صحيح مسلم أن ابن مسعود قال: « إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدّث »[4].

روى أحمد والحاكم[5] « أن أبا أيوب الأنصاري وضع رأسه على قبر النبي ρ..». وقد احتج به الحبشي وسكت عن تخريجه واكتفى بأن قال: « رواه أحمد »[6].

وقد أوقف السبكي في (شفاء السقام ص152) جواز مس قبر النبي ρ على صحة هذا الحديث.

قال ابن وضاح محدّث الأندلس في (البدع والنهي عنها

---

(1) كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب ص 104 و118 لعلي نقي إبراهيم اللكنهوري ط: المطبعة الحيدرية بالنجف .

(2) البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية ص 41 لمحمد حسن موسوي الطباطبائي .

(3) كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب 429 ط: ابن زيدون دمشق 1346 .

(4) أخرجه مسلم رقم (7) .

(5) المسند 422/5 والمستدرك 515/4 .

(6) انظر صريح البيان 65 .

ص43): « وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ρ ما عدا قباءاً واحداً».

قال الإمام المازري: « عادة المتورعين أن لا يقولوا: قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت»[1].

قال الشافعي: « مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري »[2].

قال الشافعي: « وأكره أن يعظم مخلوق حتى يُجعَلَ قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس »[3].

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص 609): « ومنها المكان المشهور بالمشهد الحسيني بالقاهرة، إذ ليس الحسين رضي الله عنه مدفوناً به بالاتفاق، لأن القاهرة بناها عبد القاهر الفاطمي العبيدي، ودولتهم كانت في القرن الرابع، فلعل الفاطميين هم الذين عمروا المشهد الحسيني لأنهم عظّموا أهل البيت ونسبوا أنفسهم إلى الحسين وهم كاذبون ».

قال رسول الله ρ : ((لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر)) فقبر رسول الله ρ أفضل قبر على وجه الأرض ومع ذلك نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بهذا النهي. والعيد اسم للوقت والمكان الذي يعتاد الاجتماع فيه.

وعن ثابت بن الضحاك أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً بـ "بوانة" فأخبر النبي ρ بذلك فقال له: ((هل كان فيها وثن من أوثانهم؟)) فقالوا: لا. فقال: ((هل كان فيها عيد من أعيادهم؟)) قالوا: لا. قال ρ: ((أوف بنذرك))[4]. وفي الحديث فائدة: وهي أن أعياد المسلمين لا بد أن يكون لها أصل شرعي منصوص عليه.

وعن عائشة أن النبي ρ قال في مرض موته: ((لعن الله

---

(1) طبقات السبكي 241/6 محققة .

(2) فيض القدير 433/1 .

(3) انظر الأم 278/1 المهذب 139/1-140 روضة الطالبين 652/1 المجموع 266/5 و257/8 .

(4) رواه أبو داود رقم (3313) وأحمد 419/2 بإسناد حسن .

اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً)). قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً[1].

وقول عائشة يدل على السبب الذي من أجله دفنوا النبي ρ في بيته: وهو يسد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجداً. يؤكد ذلك قولهم في رواية أخرى: ((يحذر مثل الذي صنعوا)). وقد حذر ρ من ذلك فقال: ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)) (مسلم). فما خشي الصحابة قد وقع حيث تم إدخال قبره ρ في المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك لضرورة توسعة المسجد[2] من غير أن يكون هناك صحابي واحد وإنما أنكر هذا الفعل التابعي الجليل سعيد بن المسيب كما حكاه العلامة ابن كثير في (البداية والنهاية 75/9).

قال ابن الجوزي: « وكان الوليد بن عبد الملك قد أمر عمر بن عبد العزيز بهدم حُجَر رسول الله ρ بعد أن اشتراها من أهلها ليُدخلها في المسجد »[3].

وعن عروة قال: « نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ρ أن لا يُجعَل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه »[4].

وقد وسّع عمر بن الخطاب المسجد من الجهات الأخرى من غير أن يتعرض للحجرة أو يدخلها المسجد وقال: « لا سبيل إليها »[5] ومن هنا يظهر خطأ النووي رحمه الله حين قال في (شرح مسلم 14/5) بأن الصحابة أدخلوا بيوت أمهات المؤمنين إلى المسجد.

قال الحافظ ابن حجر: « وقول عائشة (لأبرزوا قبره) أي

---

(1) رواه البخاري (1330) .
(2) أكد ذلك الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 320/1 ط: دار الكتب العلمية .
(3) مثير العزم الساكن إلى أشرف المساكن 293/2 ط: دار الراية 1995 .
(4) وفاء الوفا للسمهودي 548/1 .
(5) طبقات ابن سعد 21/4 .

لكُشف ولم يُتخذ عليه الحائل، والمراد الدفن خارج بيته، وهذا ما قالته عائشة قبل أن يُوسَّع المسجد، ولهذا لما وُسِّع المسجد جُعِلَتْ حجرتُها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة ». قال الكرماني: « مفاد الحديث منع اتخاذ القبر مسجداً »[1].

ـ وقال الحافظ: « والمنع من ذلك إنما هو حال خشية أن يُصنع بالقبر كما صنع أولئك الذين لُعِنوا، وأما إذا أمِن ذلك فلا امتناع » قال: « وقد يقول بالمنع مطلقاً من يرى سد الذريعة وهو هنا متجهٌ قوي »[2]. وقد أخبر ρ ((أنهم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بَنَوا على قبره مسجداً، أولئك شرار الخلق عند الله)).

ـ وقال الحافظ العراقي: « فلو بنى مسجداً يقصد أن يُدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يُدفَن فيه لم يصح الشرط: لمخالفة وقفه مسجداً »[3].

واعتبر العلامة ملا علي القاري الحنفي « أن سبب لعنهم إما لأنهم كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم: وذلك هو الشرك الجلي، وإما لأنهم كانوا يتخذون الصلاة لله تعالى في مدافن الأنبياء وذلك هو الشرك الخفي »[4].

ـ وقوله: « إذا مات فيهم الرجل الصالح » واضح التحذير مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء وواضح التشابه بين ما فعله اليهود في صالحيهم وبين ما يفعله جاهليو هذه الأمة في أوليائهم. ولذلك علم النبي ρ أصحابه أن يهدموا القبور المرتفعة ويطمسوا الصور:

- فعن أبي الهياج الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ ؟ أمرني أن لا أدَعَ قبراً مشرفاً (أي مرتفعاً) إلا سوّيته (بالأرض) ولا تمثالاً إلا

---

(1) فتح الباري 200/3 .
(2) فتح الباري 208/3 .
(3) نقله المناوي في فيض القدير 274/5 وأقره .
(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 456/1 .

طمسته »[1].

وعن ثمامة بن شفي قال: « كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برُودُس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبر فسُوّي. ثم قال: سمعت رسول الله ρ يأمر بتسويتها »[2].

• وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال: « رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور، فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسُوّي »[3].

ولهذا روي عن عمرو بن شرحبيل أنه قال عند موته: « لا ترفعوا جدثي – يعني القبر - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك »[4].

• وعن أبي بردة قال: « أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي... ولا تجعلوا على قبري بناءً »[5].

• روى ابن جرير بإسناده عن مجاهد: { **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى** } [النجم: 19] قال: كان رجل صالح يلتُّ السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره[6].

---

(1) مسلم (969) والترمذي (1049) (وأبو داود (3218) والنسائي 88/4 وطعن الكوثري والغماري في هذا الحديث على عادتهما في الطعن في روايات البخاري ومسلم مع الاستماتة في الدفاع عن روايات موضوعة معلولة عند الطبراني وغيره. والحديث من رواية مسلم وقد تلقته الأمة بالقبول ولم ينتقده إمام معتبر. فلقد أعل الكوثري الحديث بعنعنة حبيب بن أبي ثابت. مع أن للحديث طرقاً أخرى ليس فيها حبيب. (انظر مسند أحمد 87/1 و89 و111 والطيالسي16). والحديث تلقته الأمة بالقبول ولم ينتقده إمام معتبر. وقد قرر علماء الأحناف أن الحديث الضعيف يحكم له بالصحة إذا تلقته الأمة بالقبول، وأن قبول تدليس من كان من ثقات القرون الثلاثة (انظر قواعد في علوم الحديث للتهانوي تحقبق أبي غدة 60).

(2) رواه مسلم رقم (968) 666/2 .

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف 138/4 قال الألباني: وسنده صحيح .

(4) رواه ابن سعد في طبقاته 108/6 بإسناد صحيح .

(5) رواه أحمد في المسند 397/4 قال الألباني "وسنده قوي" .

(6) تفسير القرطبي 66/17 تفسير الطبري مجلد 11 ج27 ص35 .

الشافعية

ذكر الشيخ الفاخوري أصنافاً من المحرمات منها « اتخاذ القبور مطافاً واستلام القبور باليد»[1].

قال محمد سعيد رمضان البوطي: « فإذا دنوت من القبر الشريف فإياك أن تلتصق بالشبابيك أو تتمسح بها كما يفعل كثير من الجهال فتلك بدعة... ثم استقبل القبلة ولا تتوهم أن في هذا سوء أدب مع رسول الله ρ وأن الدعاء ينبغي أن يكون مع استقبال القبر. فإن الدعاء خطاب لله عز وجل لا يجوز أن يُشرَك فيه غيرُه...»[2] قال: « ولا تلتفت إلى كثرة من قد تراهم من الجهال والمبتدعين »[3].

نهى الإمام الشافعي وأتباعه رحمهم الله عن تجصيص القبور والبناء عليها، قال النووي: «هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء »[4]. ونهى الشافعية عن رفعها والبناء عليها[5]. وعن الكتابة عليها وإضاءتها[6] واتخاذها مساجد[7] واستقبالها للدعاء والطواف بها وتقبيلها ومسحها باليد[8].

وروى النووي عن الشافعي أنه قال فيما يبنى على القبر: « رأيت من الولاة من يهدم ما بُنِيَ فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه

---

(1) الكفاية لذوي العناية 154 – 155 تحقيق أسامة السيد .

(2) ما أكثر تناقضات هذا الرجل فقد سمعت له أشرطة يجيز فيها الاستغاثة بغير الله ويتعسف لها الأدلة!

(3) فقه السيرة للبوطي 478 ط: دار الفكر. الطبعة الثامنة .

(4) المهذب 139/1 روضة الطالبين 652/1 المجموع 266/5 و257/8 السراج الوهاج 114/1 شرح مسلم للنووي 7/41-42 العقد الثمين 186 .

(5) الزواجر 195/1 .

(6) الزواجر 194/1 .

(7) شرح مسلم للنووي 11/5-14 الزواجر 194/1 .

(8) المجموع 257/8 وانظر 266/5 .

ذلك »[1].

موقف النووي من مس القبر

قال النووي: « ويُكره مسحه – قبر النبي ρ - باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ρ ، هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه »[2].

- قال: « وينبغي ألا يغترّ بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يُلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم ».

قال: « ولقد أحسن الشيخ الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله: اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين. ومن ظن أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع. وكيف يُبتغى الفضل في مخالفة الصواب؟!»[3]. انتهى.

وقال في المجموع: « وقال الإمام محمد بن مرزوق الزعفراني – وكان من الفقهاء المحققين – في كتابه (في الجنائز): ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله. قال: وعلى هذا مضت السنة. قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعاً ينبغي تجنب فعله ويُنهى فاعله. قال: فمن قصد السلام على ميت سلم عليه من قبل وجهه، وإذا

---

(1) المجموع 298/5 شرح مسلم للنووي 24/7 الجنائز باب (32). وانظر مواهب الجليل 65/3 .

(2) الزواجر عن اقتراف الكبائر 244/1 وحاشية الهيتمي على شرح الإيضاح في المناسك للنووي ص453 ط: دار الحديث: لبنان 1405 .

(3) الإيضاح في المناسك للنووي 161 وص453 ط: دار الحديث والمجموع 375/8 ونقله عنه السمهودي في وفاء الوفا 1402/4 .

أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة »[1]. قال الزبيدي: « ويستدبر القبر الشريف »[2] أي قبر النبي ρ عند زيارته.

ونقل النووي عن أبي موسى الأصفهاني في كتاب [آداب الزيارة]: « وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فإن ذلك من عادة النصارى. قال: وما ذكروه صحيح لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور ولأنه إذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنين الآخرين: فلأنْ لا يستحب مس القبور أولى والله أعلم »[3].

ـ وحكى الشيخ علاء الدين بن العطار – تلميذ النووي الملقب بـ "مختصر النووي" لكثرة ملازمته إياه – أنه لما توفي النووي أراد أهله أن يبنوا على ضريحه قبة، فرأته عمته في المنام وهو يقول لها: « قولي لهم لا يفعلوا ذلك وأن يهدموا كل شيء بنوه » فأنفذوا وصيته[4].

قال ابن حجر الهيتمي الشافعي: « وتجب المبادرة إلى هدم القبور المبني عليها المتخذة مساجد، وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرّ من مسجد الضرار لأنها أُسِّسَت على معصية رسول الله ρ »[5].

* ولم يفرق بين المقبرة المسبلة وغير المسبلة وبين قبور العلماء وغيرهم حتى قال في (شرح المنهاج 33): « وقد أفتى

---

(1) وقد زعم أحمد بن دحلان أن ما نقل عن أبي حنيفة أن استقبال القبلة أفضل [من استقبال قبر النبي ρ] غير صحيح. ويكذبه قول ابن حجر الهيتمي ي الجوهر المنظم "ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء" .

(2) إتحاف السادة المتقين 421/4 .

(3) المجموع شرح المهذب ص 311/5 .

(4) (تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين 197) ط: الصميعي .

(5) الزواجر عن اقتراف الكبائر 120/1-121 .

جمع بهدم كل ما بقرافة مصر من الأبنية حتى قبة الإمام الشافعي عليه الرحمة التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة »[1].

وفي نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي « يكره تقبيل القبر ومسحه »[2]. غير أنه استثنى ما إذا كان للتبرك بقبور الأولياء ودليله الشرعي « ما قاله الوالد » على حد قوله. وتعقب ابنُ حجر الهيتمي هذا الاستثناء وتعقب استنباط السيوطي تقبيل قبور الصالحين بتقبيل الحجر الأسود ولم يسلّم له هذا لأنه يؤدي إلى تعظيم القبور[3].

قال الحافظ ابن عبد البر: « لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام »[4].

واحتج في المهذب في النهي عن البناء على القبور بحديث: « لا تتخذوا قبري وثناً فإنما هلك بنو إسرائيل لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[5] واحتج بقول الشافعي: « وأكره أن يعظم مخلوق حتى يُجعَلَ قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس »[6]. وقال: «وأكره أن يُبنى على القبر مسجد أو يُصلّى عليه... وإن صلّى أجزأه وقد أساء »[7].

- وقال أبو شامة الشافعي: « لا يجوز أن يطاف بالقبر وحكى الحليمي عن بعض أهل العلم أنه نهى عن إلصاق البطن

---

(1) الفتاوى لابن حجر 18/2 .

(2) 34/3 ط: مؤسسة التاريخ العربية ودار إحياء التراث العربي 1992 .

(3) تحفة المنهاج بشرح المنهاج 173/3 – 174 .

(4) جامع بيان العلم وفضله 55/2 .

(5) لعله ليس حديثاً وإنما رواه بمعناه من حديثين .

(6) انظر الأم 278/1 المهذب 139/1-140 روضة الطالبين 652/1 المجموع 266/5 و257/8 معرفة السنن والآثار 207/3 والسراج الوهاج 114/1 شرح مسلم للنووي 37/7 و11/5-14 الزواجر 244/1 وانظر الإعلام بقواطع الإسلام .

(7) الأم 278/1 وانظر معرفة السنن والآثار للبيهقي 207/3 تحقيق سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية 1412 .

والظهر بجدار القبر ومسحه باليد وذكر أن ذلك من البدع »[1].

وجاء في المجموع للنووي والحاشية للبيجوري: « وكانوا يكرهون أن يضرب الرجل على القبر مظلة » واستدلا بما رواه البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى مظلة على قبر فأمر برفعها وقال: « دعوه؛ يُظله عمله »[2].

وجاء في حاشية البيجوري على ابن قاسم « ويكره تقبيل القبر واستلامه[3] ونقله عنه الإمام عبد الله بن محمد الجرداني الشافعي عن شرح البيجوري[4].

وروى البخاري في باب (ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور): ولما مات الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفِعَتْ، فسمعوا صائحاً يقول: « ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا ».

قال الحافظ: « مناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر. وقال ابن المنير: فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا »[5].

فقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع قال: « كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ρ فقال: السلام عليك يا رسول الله.. قال معمر: ما نعلم أحداً من أصحاب

---

(1) الباعث على إنكار البدع والحوادث 148 .

(2) رواه البخاري معلقاً في الجنائز (باب 81) وانظر المجموع 298/5 والفروع 272/2 حاشية البيجوري على ابن قاسم في شرحه على متن الزبد 491/1 تحقيق محمد شاهين دار الكتب العلمية .

(3) 488/1 تحقيق محمد شاهين ط: دار السلام 1990 .

(4) فتح العلام بشرح مرشد الأنام في الفقه على مذهب السادة الشافعية 313/3 ط: دار السلام 1990 .

(5) رواه البخاري معلقاً باب (61) من كتاب الجنائز (فتح الباري 200/3) .

النبي ρ فعل ذلك إلا ابن عمر »[1].

قال أبو حامد الغزالي: « ولا يمس قبراً ولا حجراً فإن ذلك من عادة النصارى » وقال أيضاً: « فإن المس والتقبيل للمشاهد من عادة اليهود والنصارى »[2]. علق المرتضى الزبيدي على ذلك في شرح الإحياء قائلاً: « ولا تنظر ما أكب عليه العامة الآن وقبل الآن من رفع أصواتهم عند دخولهم للزيارة وتراميهم على شباك الحجرة الشريفة وتقبيلهم إياه ». أضاف: «وقد ورد النهي عن ذلك فليحذر منه ». وكان قد علق على قول الغزالي (وليس من السنة أن يمسح الجدار ولا يمسه ولا أن يقبله) قال الزبيدي: « كما تقوله العامة » وفي موضع آخر قال: « وكل ذلك بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال كما قاله السبكي »[3].

وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: « الكبيرة الثالثة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السُّرُج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها **واستلامها** »[4].

وقال السمهودي في وفاء الوفا: « ويجتنب لمس الجدار وتقبيله » ونقل عن الغزالي أن هذا من عادة اليهود والنصارى[5].

وهل لفظ الكراهية يفيد التنزيه أو التحريم؟

أجاب الشيخ ابن حجر عن هذا السؤال قائلاً: « والقول بالكراهة التنزيهية غير صحيح إذ لا يُظَنُّ بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ρ لعنُ فاعله »[6].

قال تعالى: { **وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ** } وقوله

---

(1) مصنف عبد الرزاق حديث رقم (6724) تحقيق الأعظمي ط: منشورات المجلس العلمي .

(2) إحياء علوم الدين 1: 259 و 4: 491 .

(3) إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين 457/4 وانظر 418/4 وكذلك 364/10 – 365 .

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر 244/1 .

(5) وفاء الوفا 1402/4 .

(6) الزواجر عن اقتراف الكبائر 246/1 .

{ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا } وقول النبي ρ: ((إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)).

قال السبكي: « وإنما التمسح بالقبر وتقبيله والسجود عليه ونحو ذلك فإنما يفعله بعض الجهال ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك ويعلَّم آداب الزيارة »[1].

وقال في فتاويه: « ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به »[2].

ونقل قول ابن تيمية بأن الصحابة لم يكونوا يأتون قبره ρ للصلاة عنده ولا لمسح القبر ثم قال: « ونحن نقول إن من أدب الزيارة ذلك. ننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده »[3]. ونقل السبكي قول مالك: « ولا يمس القبر بيده »[4]. فخذه يا حبشي حيث نص عليه حافظك السبكي.

الهيتمي يتعقب السبكي

وبالرغم من ذلك فقد اعترض السبكي على حكاية النووي الإجماع على منع مس القبر النبوي وتقبيله ظناً منه صحة حديث أبي أيوب الأنصاري أنه وضع رأسه على قبر النبي ρ فقيل له: « أتدري ما تصنع؟ قال نعم. إني لم آت الحجر إنما جئت إلى رسول الله...» فقال السبكي: « فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر » وهذا دليل على أنه غير جازم بثبوت هذه القصة.

فتعقبه الهيتمي وردّ عليه قائلاً: « الحديث المذكور (يعني حديث أبي أيوب) "ضعيف". فما قاله النووي – أي حكايته الإجماع على النهي عن مس القبر – صحيح لا مطعن فيه »[5].

وقد كان القبر مسنماً كما عند البخاري معلقاً (1390) مسوّى

---

(1) شفاء السقام 130 .
(2) فتاوى السبكي 289/1 .
(3) شفاء السقام 152 ط: منشورات دار الآفاق الجديدة – لبنان .
(4) شفاء السقام 155 .
(5) حاشية الإيضاح ص 219 .

بالأرض غير مرتفع: وقد نهى أن يُبنى على القبر وبعث ρ عليّاً أن لا يدع قبراً مرتفعاً إلا سوّاه بالأرض كما عند مسلم[1].

وقال البغوي: « يكره أن يضرب على القبر مظلة لأن عمر رضي الله عنه رأى مظلة على قبر فأمر برفعها وقال دعوه: يظلّه عمله »[2]. وصرح البيضاوي بأن اليهود والنصارى كانوا يتوجهون إلى قبور صلحائهم بالصلاة والدعاء[3].

الحنفية

وأما السادة الأحناف فقد نهوا عن تجصيص القبر وتطيينه واتخاذه مسجداً. نص عليه محمد صاحب أبي حنيفة في كتابه الآثار قائلاً: « ونكره أن يجصص القبر أو يطين أو يجعل عنده مسجداً أو يكتب عليه ونكره الآجرّ أن يُبنى به أو يدخل القبر وهو قول أبي حنيفة »[4].

قال الكاساني في بدائع الصنائع (320/1): « وكره أبو حنيفة البناء على القبر، والكراهة إذا أطلقت فهي للتحريم. وقد صرح بالتحريم ابن الملك من الأحناف ».

وجاء في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر 313/1) النهي عن الدعاء عند القبور[5].

وقد علق الشيخ ملا علي القاري الحنفي على قول مالك في رواية ابن وهب « ويدنو ويسلم ولا يمس القبر » فقال: « لأن ذلك من عادة النصارى »[6].

---

(1) مسلم (969) الترمذي (1049) أبو داود (3218) النسائي 88/4 .

(2) المجموع شرح المهذب 266/5 .

(3) حاشية سنن النسائي 42/2 .

(4) الآثار 191/2 لمحمد بن الحسن الشيباني تحقيق الأفغاني والبحر الرائق 209/2 وانظر جنائز البدائع (320/1).

(5) وانظر حاشية ابن عابدين على الرد المحتار 439/2 البحر الرائق 298/2 روح المعاني للآلوسي الحنفي 313/17 مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر 313/1 .

(6) شرح الشفا 152/2 ط: دار الكتب العلمية – لبنان .

وفي الفتاوى الهندية (265/1): « ولا يضع يده على جدار التربة » أي عند زيارة قبر النبي ρ .

وذكر محمد علاء الدين الحصكفي أن الذي يفعله العوام من تقديم النذور إلى شرائح الأولياء باطل وحرام بالإجماع[1].

وشرح ابن عابدين قوله هذا فقال: « كأن يقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك كذا. وعلل سبب بطلان ذلك أن هذا المنذور لميت ». قال: «**والميت لا يملك**»[2].

وقد أخذ شاه ولي الله الدهلوي الهندي الحنفي يستنكر ما وقع فيه أهل زمانه من مشابهة المشركين حيث « يذهبون إلى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعاً من الشرك » وفي الحديث ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل))[3] ووافقه على هذا الاستنكار الإمام إسماعيل الدهلوي[4].

وقال الطحطاوي الحنفي[5]: في حاشيته على مراقي الفلاح ما نصه[6]: « ولا يستلم القبر ولا يقبّله، فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يُعهَد الاستلام إلا للحجر الأسود والركن اليماني خاصة ».

الحنابلة

قال ابن قدامة في المغني: « ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ρ ولا تقبيله قال أحمد: ما أعرف هذا. قال ابن الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ρ يقومون من

---

(1) الدر المختار مع رد المحتار 439/2 .
(2) رد المحتار على الدر المختار 449/2 .
(3) الفوز الكبير في أصول التفسي 17 ط: مجلة الأزهر .
(4) تقوية الإيمان 23 – 24 رسالة التوحيد 41 – 44 .
(5) أحمد بن محمد بن إسماعيل توفي سنة 1231 .
(6) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح 340 ط: دار الإيمان دمشق – بيروت .

ناحية فيسلمون »[1].

وأوصى أبو هريرة أن لا يوضع على قبره فسطاط فقال: « لا تضعوا على قبري فسطاطاً»[2] وأوصى سعيد بن المسيب الوصية نفسها[3].

قال علي رضي الله أنه قال لأبي الهياج الأسدي: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته. ولا قبراً مشرفاً (أي مرتفعاً) إلا سويته (بالأرض) »[4].

وكان أحمد ينهى عن البناء على القبور ويقول: « رأيت الأئمة يأمرون بهدم ما يُبنى[5]. وكان أحمد يرى بطلان الصلاة في المساجد المبنية على القبور.

وفي غاية المنتهى[6] لمرعي بن يوسف الحنبلي « كره رفع قبر فوق شبر وتجصيصه وتقبيله... وكره أحمد الفسطاط والخيمة على القبر. ونقل عن ابن القيم: يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أُسِّسَت على معصية الرسول.. قال: وحرم إسراج القبور وكذا طواف بها وجعل مسجد عليها وبينها وتتعين إزالته ».

ونص السيوطي في حسن المحاضرة على أنه لما عزم الظاهر بيبرس على هدم ما في القرافة من البناء استشار العلماء فكتبوا إليه أنه يجب على ولي الأمر أن يهدم ذلك كله ولم يختلف في ذلك أحد منهم.

قال: « فهذا إجماع من هؤلاء العلماء المتأخرين فكيف يجوز البناء فيها؟ فعلى هذا فكل من فعل هذا فقد خالفهم »[7].

- وروى القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل أنه قيل له: «

---

(1) المغني 559/3 الفروع 573/2 وفاء الوفا 1403/4 .
(2) كشاف المقنع 139/2 .
(3) رواه أحمد 474/2 وابن سعد في طبقاته 142/5 .
(4) مسلم (969) والترمذي (1049) وأبو داود (3218) والنسائي 88/4 .
(5) كشفا القناع 139/2 .
(6) 269 – 270 ط: المؤسسة السعيدية – الرياض .
(7) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 141/1 .

قبر النبي ρ يُمَسّ ويُتَمسّح به؟ قال: ما أعرف هذا.

قيل له: فالمنبر؟ قال: نعم قد جاء فيه.

وقيل له: إن من أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون ويقومون ناحية فيسلمون.

قال: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل ».

- علّق القاضي قائلاً: « وهذه الرواية تدل على أنه ليس بسنة وضع اليد على القبر ». وذكر القاضي بأن طريقة التقرب إلى الله تقف على التوقيف، واحتج بقول عمر للحجر الأسود « ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك »[1].

- وذكر الحافظ ابن رجب في ترجمة أبي محمد التميمي أحد مشاهير علماء الحنابلة أن الخليفة المطيع لله آنذاك أنفذ بمال عظيم ليبني قبة على قبر أحمد بن حنبل. فقال له جدي وأبو بكر بن عبد العزيز: أليس تريد أن تتقرب إلى الله تعالى بذلك؟ فقال: بلى. فقالا له: إن مذهبه أن لا يبنى عليه شيء. فقال: تصدقوا بالمال على ما ترونه. فقالا له: بل تصدق به على من تريد أنت. فتصدق به »[2].

وأما ما يروى عن أحمد من أنه كان لا يرى بأساً بتقبيل القبر النبوي. ثم إن الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكر أن بعض أصحاب أحمد قد استبعدوا ذلك[3].

وشكك ابن حجر الهيتمي في هذه الرواية عن أحمد أيضاً، وذكر أن بعض أصحاب أحمد استبعدوا ذلك. وقرينة ذلك ما رواه عنه الأثرم من أنه سئل عن جواز لمس قبر النبي ρ والتمسح به فقال: ما أعرف هذا[4].

قال: ويؤيد ذلك ما جاء في مغني الحنابلة: « من أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر ولا تقبيله » وجاء سبب هذا النهي في

---

(1) كتاب الروايتين والوجهين 1/ 214 – 215 .

(2) طبقات الحنابلة 2م251 ط: دار المعرفة .

(3) فتح الباري 475/3 . وفاء الوفا 1404/4 .

(4) حاشية لهيتمي على شرح الإيضاح في المناسك 454 .

المغني « لأن فيه إفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام ولأن الصلاة عند القبور أشبه بتعظيم الأصنام بالسجود ولأن ابتداء عبادة الأصنام كان في تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها »[1]. قال ابن حجر الهيتمي: **فتعارضت الروايتان عن أحمد.**

- قال صاحب كشاف القناع: « ويكره تقبيله والطواف به لأن ذلك كله من البدع والاستشفاء بالتربة من الأسقام، ويحرم إسراجها واتخاذ المساجد عليها لأنه يشبه تعظيم الأصنام»[2].
- وفي الإنصاف للمرداوي الحنبلي قال: « قال أحمد: أهل العلم كانوا لا يمسونه » قال المرداوي: ولا يستحب التمسح بالقبر على الصحيح من المذهب »[3].
- وجاء في (المبدع)[4] « ولا يتمسح بالقبر. وقيل يجوز، وقيل يكره لأن القُرَبَ تُتلقى من التوقيف ولم ترد به سنة وقال ابن عقيل: أبرأ إلى الله تعالى منه ».

وجاء في (المغني 506/2): « ويكره رفع القبر والبناء عليه وتجصيصه ». وجاء النص بتحريم اتخاذ القبور مساجد في (شرح المنتهى 353/1).

- وفي كتاب الفروع[5] « يكره تقبيل القبور والطواف بها... ولا يكفيهم ذلك (أي العوام والجهال) حتى يقولوا للميت: بالسر الذي بينك وبين الله... وأي شيء من الله يسمى سراً بينه وبين خلقه... واستشفوا بالتربة من الأسقام: فهذا يقول جِمالي قد جربت. وهذا يقول: أرضي قد أجدبت. كأنهم يخاطبون حياً ويَدعون إلهاً

---

(1) نفس المصدر والصفحة. وكلام صاحب المغني إنما يفهم منه عدم الجواز لا مجرد الكراهة (المغني 507/2-508 ط: مكتبة الرياض الحديثة 1981 .

(2) كشاف القناع 140/2 – 141 .

(3) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف 53/4 ط: ابن تيمية – القاهرة .

(4) 258/3 و 284 ط: المكتب الإسلامي 1980 .

(5) الفروع 274/2 .

».

- وصرح السمهودي بأن الشافعي ومالك وأحمد قد أنكروا وضع اليد على القبر أشد الإنكار. وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلاً وضع يده على قبر النبي ρ فنهاه وقال: « ما كنا نعرف هذا على عهد النبي ρ ».

قال: « وفي تحفة ابن عساكر: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس، ولا أن يقبله ولا يطوف به كما يفعله الجهال بل يكره ذلك ولا يجوز. قال: والوقوف من بُعد أقرب إلى الاحترام ».

وقال ابن جماعة في منسكه: ورأيت حاشيةً على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين بن خياط اليمني: ومما أحدث في دولة الملك الأشرف سُمِّرَت أبواب الدرابزين... قصدوا (أي العلماء) تنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدي، فإن كثيراً من جُهّال العرب وغيرهم يلصقون ظهورهم بصندوق القبر الشريف وجداره قاصدين بذلك التبرك: والخير كله في استعمال الأدب[1].

قال ابن جماعة: وقال السروجي الحنفي: لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمسه بيده.

وقال الزعفراني في كتابه: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تُنكَرُ شرعاً.

وحكى الجزيري في (الفقه على المذاهب الأربعة 552/1) قول عامة أهل الفقه: « ولا يطوف بالقبر ولا يقبل حجراً ولا عتبة ولا خشباً ولا يطلب من المزور شيئاً ».

المالكية

قال الحافظ في الفتح: « أما مالك فقد كان رحمه الله يكره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ρ ». ونص عليه القرافي في

---

(1) وفاء الوفاء 616/2 .

الذخيرة[1]. وسئل عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ρ فقال مالك: « إن كان أراد القبر فلا يأته، وإن أراد المسجد فليته » ثم احتج بحديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث »[2].

بل حكى النووي عنه أنه كان يكره الوقوف عند قبر النبي كلما دخل وخرج مستنبطاً ذلك من حديث يحتج به الأحباش « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد »[3]؟

وقال المرتضى الزبيدي إن سبب قول النبي ρ ((لا تجعلوا قبري عيداً)) هو قول النبي ρ : ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[4].

وفي الشفاء للقاضي عياض عن مالك قال: « لا أرى أن يقف عند قبر النبي ρ ولكن يسلم ويمضي » وروى ابن وهب عنه أنه قال: « ويدنو ويسلم ولا يمس القبر » قال الشيخ ملا علي القاري الحنفي معلقاً: « لأن ذلك من عادة النصارى »[5].

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه المدخل: « قال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ρ ... لا يمس القبر بيده[6]. ووصف من يطوفون بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة ويتمسح به ويقبله بالجهال الذين لا علم عندهم وصرح بأن ذلك كله من البدع: « لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له ρ »[7].

ونص القرافي في الذخيرة (381/3) على أن التقبيل والاستلام خاصان بالكعبة.

---

(1) فتح الباري 66/3 وانظر الذخيرة للقرافي 375/3 تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الإسلامي .
(2) انظر المدونة 86/2 .
(3) فتح الباري 66/3 وانظر الذخيرة للقرافي 375/3 تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الإسلامي والإيضاح للنووي 464 ط: دار الحديث .
(4) إتحاف السادة المتقين للزبيدي 417/4 بغية الطالب 233 .
(5) شرح الشفا 152/2 .
(6) المدخل 261/1 ط: دار الفكر .
(7) المدخل 1/ 256 – 257 .

وقال القاضي عياض[1] في الشفاء ما نصه: « ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف طويلاً عنده »[2]. انتهى مما نقله السمهودي. وقال نحوه الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض واصفاً من يقبلون قبور الأولياء بالعوام[3].

وصرح محمد بن وضاح المالكي بأن مالك بن أنس وغيره من **علماء** المدينة كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار بالمدينة ما عدا قباءً وأحداً. قال: « لأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر، إذ هو ذريعة إلى اتخاذها أعياداً وإلى التشبه بأهل الكتاب ».

وقال العلامة زروق المالكي في شرح رسالة القيرواني: « من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين... والتمسح بالقبر عند الزيارة وهو من فعل النصارى وحمل تراب القبر تبركاً به: وكل ذلك ممنوع بل يحرم »[4]. كذا قال في حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر سيدي خليل[5].

وقال مالك: « وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء، فقيل له إن أناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر فيسلمون ويدْعون ساعة. فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره ذلك إلا لمن أتى من سفر أو أراده... ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا

---

(1) قال عنه السبكي في شفاء السقام (ص 155) "ناهيك به – يعني القاضي عياض – نبلاً وجلالة وثقة وأمانة وعلماً مجمعاً عليه .

(2) وفاء الوفاء 1402/4 – 1404 .

(3) نسيم الرياض 337/3 ط: الأزهرية، مصر، 1326 .

(4) شرح رسالة القيرواني 289/1 ط: الجمالية بمصر عام 1332 هـ .

(5) 219/2 ط: دار الفكر 1978 .

ما أصلح أولها »[1].

وقال ابن الحاج: « ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي: ومن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً »[2].

وقال ابن الحاج المالكي: « فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله وذلك كله من البدع لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له ρ . وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب. ولأجل هذا كره علماؤنا التمسح بجدار الكعبة أو بجدار المسجد إلى غير ذلك مما يتبرك به سداً لهذا الباب لأن صفة التعظيم موقوفة عليه ρ : فكل ما عظّمه رسول الله ρ نعظّمه ونتبعه. فتعظيم المسجد: الصلاة فيه لا تقبيله والتمسح بجدرانه... وتعظيم الولي: اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به... وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[3].

وجاء في المدونة ما نصه: « قال مالك: أكره تجصيص القبور والبناء عليها[4]. قال سحنون: « فهذه آثار في تسويتها فكيف بمن يريد أن يبني عليها ». وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (425/1) ما نصه: « ويجب هدم القباب.. ويحرم البناء على القبر ».

ونهى المالكية عن جملة من وسائل الشرك كتجصيص القبور ورفعها واتخاذها مساجد والصلاة عليها وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة[5].

---

(1) المدخل لابن الحاج 262/1 ورواه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد 10/23 .

(2) المدخل لابن الحاج 262/1 .

(3) المدخل لابن الحاج 263/1 .

(4) المدونة الكبرى 189/1 ط: دار صادر – لبنان .

(5) الكافي لابن عبد البر 283/1 والتمهيد 167/1-168 و25/5 و45 و383/6 تنوير المقالة 39/3-40 الثمر الداني 230-231 تفسير القرطبي 379/10-380 شرح موطأ مالك للزرقاني 233/4 وانظر 224/1 شرح

قال القرطبي المالكي ما نصه: « فاتخاذ المساجد على القبور ممنوع لا يجوز... قال علماؤنا – أي المالكية – يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد...» قال: « وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويُزال فإن فيه تشبهاً بمن كان يعظّم القبور ويعبدها. وهو حرام »[1].

أضاف القرطبي: « التمسك بسد الذرائع وحمايتها وهو مذهب مالك وأصحابه ودلّ على هذا الأصل الكتاب والسنة » ثم ذكر حديث عائشة: « أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا [لرسول الله ρ] كنيسة بالحبشة فيها تصاوير فقال رسول الله ρ : ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)).

قال: « قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها، فحذر النبي ρ من مثل ذلك وسدّ الذرائع المؤدية إلى ذلك فقال: ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد)) وقال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد))[2].

روى عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة أن علي بن الحسين رضي الله عنه رأى رجلاً يأتي فرجة كانت عند قبر النبي

الزرقاني لمختصر خليل 93/3 التاج والإكليل لمختصر خليل 498/1 على هامش مواهب الجليل المنتقى 306/1-307 و195/7 مقدمة ابن رشد 174 التحرير والتنوير 248/17 رسالة الشرك للميلي ص268 مختصر خليل 130/3.

(1) تفسير القرطبي المسمى جامع الأحكام 247/10 تفسير سورة الكهف آية (21) .

(2) الجامع لأحكام القرآن 41/2 .

ρ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: « ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي – يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه – عن رسول الله ρ قال: ((لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وسلموا علي فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم)) قال السخاوي: « وهو حديث حسن »[1].

قال يحيى بن معين: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ρ . رواه أبو الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه والحافظ الذهبي أن ابن عمر كان يكره مس قبر النبي ρ [2].

وإنما أوضح ابن كثير عقيدته من التبرك بالقبور حين تعقب ابن خلكان الذي قال في ترجمة الخضر بن نصر: « قبره يزار، وقد زرته غير مرة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به » فقال ابن كثير متعقباً: « وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور »[3].

أن ابن عمر الذي كان يتحرى الأماكن التي كان يصلي فيها النبي ρ كان ينهى عن مس قبر النبي ρ كما رواه الحافظ الذهبي[4].

ورأى أبوه عمر رضي الله عنه حين رأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسو الله. قال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض. « وحين بلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ρ أمرَ بها فقُطِعَتْ

---

(1) قاله في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص228 ط: مكتبة المؤيد. وذكره البخاري في التاريخ الكبير 3/2-289 وانظر مصنف عبد الرزاق رقم (6694) ومصنف أبن أبي شيبة 375/2 .
(2) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "رجال ثقات" (سير أعلام النبلاء 373/12) .
(3) البداية والنهاية 287/12 .
(4) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "رجاله ثقات" (سير أعلام النبلاء 373/12) .

».[1]

وأن ما فعله عمر وأقره الصحابة عليه هو الصواب لا سيما وهو الخليفة الراشد الذي أمرنا رسول الله ρ باتباعه فقال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)).

ورحم الله الحافظ الحكمي إذ قال:

ومن على القبر سراجاً … أو ابتنى على الضريح
فإنه مجدد جهاراً … لسنن اليهود والنصارى
كم حذر المختار عن ذا … فاعله كما روى أهل
بل قد نهى عن ارتفاع … وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر … بأن يُسوّى: هكذا صح
وحذر الأمة عن إطرائه … فغرهم إبليس باستجرائه
فخالفوه جهرة وارتكبوا … ما قد نهى عنه ولم
فانظر إليهم قد غلوا … ورفعوا بناءها وشادوا
وللقناديل عليها أوقدوا … وكم لواء فوقها قد عقدوا
والتمسوا الحاجات من … واتخذوا إلههم هواهم
قد صادهم إبليس في … بل بعضهم صار من
فليت شعري: من أباح … وأورط الأمة في المهالك
فيا شديد الطول والإنعام … إليك نشكو محنة الإسلام

مسألة البدعة في الدين

---

(1) تقديم تخريجهما وانظر قول الحافظ في الفتح (448/7) إسناده صحيح .

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة: 3] وقال ابن الماجشون: « سمعت مالكاً يقول: « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ρ خان الرسالة، لأن الله يقول: **{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا }** فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها »[1].

قال رسول الله ρ : ((ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه))[2].

وقال: ((إنه لم يكن نبيٌ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على ما يعلمه خيراً لهم، وينذرهم ما يعلمه شراً لهم))[3].

وقال: ((من أحدث في أمرنا[4] ما ليس منه فهو رد »[5] وفي رواية: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[6].

وقال ρ : ((إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة))[7].

وكان أحمد يقول: « الداعية إلى البدعة لا توبة له، فأما من ليس بداعية فتوبته مقبولة »[8].

قال سفيان الثوري: « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية: المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها »[9].

قال الحافظ ابن رجب: « فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي، لأن المبتدع مفتر على الله مخالف لأمر رسول

---

(1) رواه ابن الماجشون وهو مشهورٌ من قول مالك (الاعتصام 1: 49) .
(2) أخرجه الشافعي في الرسالة 87 و93 والأم 289/7 و299 والبيهقي 76/7 والبغدادي في الفقيه والمتفقه 93/1 بسند حسن لغيره .
(3) مسلم (1844) .
(4) أي في ديننا هذا .
(5) متفق عليه .
(6) أخرجه مسلم.
(7) رواه الطبراني في الأوسط (4360) .
(8) طبقات الحنابلة 305/2 .
(9) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة 132/1 .

الله لأجل هواه »[1].

قال الشاطبي في تعريف البدعة بأنها: « عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد في السلوك عليها المبالغة في التعبد »[2].

قال الأشعري: « **ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها** »[3].

ورأى سعيد بن المسيّب رجلاً يصلي بعد الفجر أكثر من ركعتين يُكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه فقال الرجل: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟ فقال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة »[4].

اعتبر أبو شامة رفع الناس أيديهم عند دعاء خطيب الجمعة بدعة قديمة، وأن قراءة القرآن بالألحان على الجنائز من البدع[5].

وعن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما فقال: الحمد لله والسلام على رسوله. فقال ابن عمر: « وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علّمنا رسول الله ρ، علّمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال »[6].

وقال ρ : ((قد تركتكم على [المحجة] البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل

---

(1) الحكم الجديرة بالإذاعة ص 40 .

(2) الاعتصام للشاطبي 37 تحقيق الشيخ سليم الهلالي .

(3) تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر 161 .

(4) رواه البيهقي في السنن الكبرى 466/2 والخطيب في الفقيه والمتفقه 147/1 والدارمي 116/1 بسند صحيح.

(5) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة 126 و138-143 .

(6) رواه الترمذي (2738) والحاكم 265/4 والمزي في تهذيب الكمال 553/6 بسند حسن .

محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[1].

و(كل) عند أهل العربية من ألفاظ العموم.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[2].

البدع كلها مذمومة

قال الشاطبي: « إن كل بدعة وإن قلّتْ: تشريعٌ زائد، أو تغييرٌ للأصل الصحيح... ثم إن المبتدع قد نـزّل نفسه منزلة المضاهي، لأن الشارع وضع الشرائع وألـزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المتفرد بذلك... وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صيّر نفسه نظيراً مضاهياً للشارع، حيث شرّع مع الشارع »[3].

وفي الخبر: « ما أحدث قوم بدعة إلا رُفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة » قال الحافظ في الفتح: « أخرجه أحمد في المسند بسند جيد »[4].

قال حسان بن عطية: « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة »[5]. بل يسلبه الله الورع.

قال الأوزاعي: « ما ابتدع رجل بدعة إلا سُلِب الورع »[6].

---

(1) رواه اللالكائي 1: 22 وابن ماجه (43) والحاكم 96/1 وأحمد 126/4 قال الألباني إسناده صحيح (سلسلة رقم 937) .

(2) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (رقم 126) والبيهقي في المدخل إلى السنة (191) بسند صحيح والسيوطي في صون المنطق والكلام 43 وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث 21 .

(3) الاعتصام 61/1 وما بعدها: تحقيق رشيد رضا .

(4) فتح الباري 253/13 بينما ضعفه شيخنا الألباني في المشكاة رقم (187) وإذا كان كل ما ينص على صحته الحافظ يكون صحيحاً يصير الحديث حجة عليكم. وأما تضعيفكم للحديث فإنكم تنقضون به قاعدة (وخذه حيث حافظ عليه نص) .

(5) رواه الدارمي 1: 45 بإسناد صحيح .

(6) سير أعلام النبلاء 125/7 .

البدعة وردت في الشرع على مورد الذم

قال عبد الله بن عمر: « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[1].

وقال عبد الله بن مسعود: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم »[2].

وقال حذيفة: « كل عبادة لم يتعبّدها رسول الله فلا تَعَبَّدُها »[3]. وقال: « إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر »[4].

الاحتجاج بقول عمر "نعمت البدعة"

قال شيخ الحنفية ملا علي قاري في شرح الفقه الأكبر أن قول عمر "نعمت البدعة" إنما هو باعتبار إحيائها أو سبب الاجتماع عليها بعدما كان الناس ينفردون بها، مع أنه ρ قال: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين »[5].

وقد أقر السبكي بهذه الحقيقة المهمة فقال: « ولم نعلم أحداً من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين أطلق على شيء مما فعل الخلفاء الراشدون بدعة مطلقاً »[6].

قال النبي ρ : ((إن الله فرض صيام رمضان، وسننتُ لكم قيامه))[7]. وقد روى البخاري ومسلم اجتماع الصحابة وراء

---

(1) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة رقم (126) .

(2) رواه الطبراني والدارمي 1: 69 بإسناد جيد واللالكائي 1: 90 وأحمد 1: 139 والبيهقي في الاعتقاد 232 وقال الهيثمي [رجاله رجال الصحيح] "مجمع الزوائد 181/1" .

(3) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة 19 تحقيق إبرهيم رمضان ط: دار الفكر اللبناني .

(4) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة 86/1 .

(5) شرح الفقه الأكبر 60 .

(6) فتاوى السبكي 107/2 .

(7) رواه أحمد 191/1 والنسائي 155/4 وصحح أحمد شاكر إسناده في تحقيقه للسند 127/3 .

النبي ρ على صلاة التراويح[1].

قال العلامة اللكنوي: « والأمر إذا دار بين الكراهة والإباحة ينبغي الإفتاء بالمنع لأن دفع مضرة أولى من جلب منفعة »[2].

وبهذا الأصل يتحتم ترك هذه البدع المروجة.

{ وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ }.

نص الحافظ ابن رجب على أن كلام عمر متعلق بالبدعة اللغوية لا الشرعية: « ومراده رضي الله عنه أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت ولكن له أصل في الشريعة يُرجَع إليه »[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « البدعة في عرف الشريعة مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحد على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً »[4]. وأن المعنى الشرعي للبدعة يختص بما هو مذموم فقط[5].

قال الشاطبي عن تقسيم ابن عبد السلام وتلميذه القرافي للبدعة: « إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدع أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخبر فيها، فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين ». ثم انتهى الشاطبي إلى أن تقسيم القرافي للبدعة يتعارض مع قوله في نفس

---

(1) كتاب التراويح باب فضل من قام رمضان رقم (2010 و2013) ومسلم رقم (178) .

(2) انظر البحر الرائق لابن نجيم 165/2 السعاية شرح الوقاية 265/2 ضياء النور 131 وأصول السنة 91 .

(3) جامع العلوم والحكم 233 .

(4) فتح الباري 252/13-254 .

(5) فتح الباري 13: 278 .

الموضع بأن الخير كله في الاتباع وأن الشر كله في الابتداع[1].

قال الشافعي: « من استحسن فقد شرَّع »[2].

وقال الشافعي: « إنما الاستحسان تلذذ، ولو جاز الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل الإيمان، ولجاز أن يشرع في الدين في كل باب، وأن يُخرج الإنسان لنفسه شرعاً جديداً »[3].

وقال: « إذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ρ فاضربوا بقولي عرض الحائط ».

وصرح الحافظ ابن حجر أن: « البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً »[4] قال: « فيَشمل لغةً ما يُحمَد ويُذمُّ، ويختص في عُرف أهل الشرع بما يُذَمُّ »[5]. وهو قول ابن حجر الهيتمي أيضاً نفسه[6].

قال حسان بن عطية: « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة »[7]. وقال ابن مسعود: « لو تركتم سنة نبيكم لضللتم »[8].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } [النور: 21]. ولذا قال الحافظ ابن حجر: « إن الذي يُحدث البدعة قد يتهاون بها لِخِفّة أمرها في أوّل الأمر ولا يشعر بما يترتب عليها

---

(1) الاعتصام 190/1 - 191 – 192 تحقيق سليم الهلالي .

(2) انظر المنخول للغزالي ص374 والمحلي في جمع الجوامع 395/2 ومغيث الخلق للجويني 32 .

(3) عن كتابه "الرسالة" فصل "إبطال الاستحسان" وانظر كتابه الأم 294/7 – 298 .

(4) فتح الباري 252/13 – 254 .

(5) فتح الباري 13: 278 .

(6) فتاوى ابن حجر 280 .

(7) رواه الدارمي 1: 45 بإسناد صحيح .

(8) رواه مسلم (654) في المساجد .

من المفسدة »[1].

قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ρ والاقتداء بهم وترك البدع. وكل بدعة فهي ضلالة. وترك المراء والجدل والخصومات في الدين»[2].

ذكر الشاطبي أن أهل العربية يحكون أن علي بن أبي طالب أشار على عمر بوضع شيء في النحو حين سمع عربياً قارئاً يقول: **{ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُه }** هكذا بالجر[3]. وهذا داخل في مطلب تحسين القراءة وإتقانها وتجنب وقوع الخطأ في قراءة القرآن.

لم يقر النبي ρ البراء بن عازب على خطئه في الدعاء: « آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت » قال البراء: « فجعلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت. فقال ρ : ((لا، وبنبيك الذي أرسلت)) » (البخاري 6311).

ولم يقر النبي ρ عثمان بن مظعون على التبتل وسماه رهبنة، ويم يقر الصحابة على اتخاذ ذات الأنواط.

استدلاله بابتداع الطرق الصوفية

{ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }.

أعراض المسلمين سببه التدين المشوه

قال ابن كثير: « ومن لم تَسَعْهُ طريقة رسول الله ρ وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسّع الله عليه »[4].

قال النبي ρ : ((هكذا الوضوء. فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم وتعدى)).

---

(1) فتح الباري 302/13 .

(2) طبقات الحنابلة 241/1 .

(3) الاعتصام للشاطبي 198/1 .

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 619/4 .

ولقد قال نبيل الشريف الحبشي في أحد أشرطته (مجالس الهدى 909/9): « إذا رفعتَ من الركوع فقل (ربنا لك الحمد) ولا تقل (ربنا ولك الحمد والشكر) لأن لفظ (والشكر) لم يرد في السنة هذه الزيادة ». وهذا ما نقوله لكم.

نص الحافظ ابن حجر على أن الصلاة على النبي ρ ليست من الأذان لا لغةً ولا شرعاً[1] وذم ابن الجوزي فعلها[2] وذكر الشعراني أنها أُحدِثَتْ أيام الفاطميين الروافض[3].

وجزم السيوطي بأن الصلاة على النبي بعد العطاس بدعة مذمومة[4].

{ فَمَا اخْتَلَفُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } [الجاثية: 17].

الاحتجاج ببدع الرهبانية

{ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } قال ابن الجوزي والتزموا الزهد والانقطاع عن النساء واعتزال الخلق وذلك جهلاً منهم لكنهم لم يلتزموا بما قطعوه على أنفسهم[5].

{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ }.

قال ρ : ((لا تكونوا كرهبانية النصارى))[6].

قال: « وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام »[7].

قال لعثمان بن مظعون: « يا عثمان إني لم أبعث بالرهبانية وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة » وفي رواية: « إن

---

(1) فتح الباري 92/2 .
(2) تلبيس إبليس 146 .
(3) نقلاً عن الإبداع في مضار الابتداع للشيخ محفوظ 175 .
(4) انظر الحاوي للفتاوي 338/1 .
(5) زاد المسير 176/8 – 177 .
(6) رواه البيهقي في السنن 78/7 بسند حسن وله شواهد .
(7) رواه أحمد 82/3 بإسناد صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة 82/3) .

الرهبانية لم تُكتَب علينا: أفما لك أسوةٌ فيَّ »[1]؟
وقال ρ : ((الرهبانية لم تُكتَب علينا)).

من سن في الاسلام سنة حسنة

قال ρ : ((من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها...))[2].

قال النبي ρ : ((فمن رغب عن سنتي فليس مني)).

عن جرير بن عبد الله البجلي أنه دخل على النبي ρ قوم مجتابو النمار متقلدو السيوف عامتهم من [قبيلة] «مُضَر» فتغير وجه النبي ρ بسبب ما رآهم عليه من الفاقة والحاجة الظاهرة في ملابسهم الممزقة فصعد المنبر وحث على الصدقة « فجاء رجلٌ من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه أن تعجز عن حملها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس، حتى رأيت كَومَيْن من طعام وثياب » فتهلل وجه النبي حين رأى تتابع الناس في الصدقة بعدما شجعهم ذاك الرجل الأنصاري. فقال الرسول حينئذ: ((من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده))[3].

قال ابن مسعود: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم »[4].

وقال: « ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم »[5].

قال الشيخ أحمد الرفاعي: « إياكم ومحدثات الأمور، قال رسول الله ρ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).

---

(1) وهذه الروايات حسنة الإسناد انظر سلسلة الصحيحة 385/4 .
(2) صريح البيان 74 .
(3) مسلم (1017) النسائي 75/5 .
(4) رواه الطبراني والدارمي 1: 69 بإسناد جيد واللالكائي في اعتقاد أهل السنة 1: 90 وأحمد 1: 90 وقال الهيثمي 181/1: [رجاله رجال الصحيح] "مجمع الزوائد 181/1" .
(5) رواه مسلم (654) في المساجد .

اطلبوا الله بمتابعة رسول الله ρ وإياكم وسلوك طريق الهدى بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم ».
وقال: « بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ لأنه لم ينقل له كيف أكله رسول الله ρ . ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلّط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا ورزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم »[1].

وقال: « لو عبد العابد ربه خمسمائة عام بطريقة غير شرعية، فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم الله له يوم القيامة وزنا، وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه »[2].

الاحتجاج ببدعة المولد النبوي

ذكر الإمام أبو شامة الشافعي: « أن أول من أحدث المولد بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا، وبه اقتدى ملك إربل »[3].
وهو رجل صوفي ليس فصلاً بين المتنازعَيْن.

بل قد ذكرت كتب التاريخ أن أول المروجين لبدعة المولد هم الفاطميون الباطنيون الروافض الذين دسوا في مساجد المسلمين سموماً كثيراً ونشروا بدع المولد وغيرها[4].

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني[5]:

---

(1) الفجر المنير 21 البرهان المؤيد 3 و20 و57 و65 المعارف المحمدية 13 قلادة الجواهر 220 إرشاد المسلمين 41 و62 الكليات الأحمدية 77 ترياق المحبين 10 .

(2) كتاب البرهان المؤيد 4 وكتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 4 وللكتابين قبول عند سائر الرفاعية ويعترفون بصحة نسبتهما إليه.

(3) الباعث على إنكار البدع والحوادث 34 .

(4) الخطط المقريزية 432 و490 صبح الأعشى للقلقشندي 498/3 .

(5) وقد شهد أئمة أهل العلم بفضل الفاكهاني فقال السيوطي في حسن المحضرة (195/1) وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب (186): "كان فقيهاً فاضلاً متفنناً في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب، صالحاً عظيماً" وأثنى عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر

« لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا يُنقل عملُهُ عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين: بل هو بدعة أحدثها البطالون... وهو ليس بواجب إجماعاً ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة ولا التابعون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن سُئلتُ عنه »[1].

وقد ساق السيوطي فتوى الفاكهاني بكاملها، ونقلها الشيخ عدوي المالكي في حاشيته على مختصر الشيخ خليل المالكي (168/8) حيث قال في مبحث الوصية: « أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني في عمل المولد أن عمل المولد مكروه » وتلقاه عن العدوي بالقبول الشيخ محمد عليش في فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (171/1).

وورد في الحاوي (196/1) والزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية (140/1): « أن أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ».

ومع اعتراف السيوطي أن المولد بدعة إلا أنه يراه بدعة حسنة لاشتماله على أشياء حسنة. ولكننا نسأل السيوطي: كيف فاتت هذه الحسنة سلفنا الذين كانوا أسبق إلى الخير وأكثر توفيقاً إليه منا؟!

ولهذا خالفه ابن الحاج في المدخل حيث رأى أنه بدعة مخالفة للسلف بالرغم من هذه الأشياء الحسنة فقال في المدخل (11/2):

« هو بدعة في الدين وزيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب... لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله ρ... ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم ». وكلامه

الكامنة (254/3) وأثنى عليه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاءة (153/14) .

(1) المورد في عمل المولد 20 – 22 ط: مكتبة المعارف. وانظر الحاوي للفتاوي 190/1 – 192 رسالة: حسن المقصد في عمل المولد .

دليل على أن ما تركه الصحابة فلترك النبي ρ إياه فمن استحب فعل ما تركه الرسول ρ وأصحابه فقد خالفه.

وإذا وقع الاختلاف في المولد بين أهل العلم وكانت مخالفة المخالف للمولد معتبرة فإننا نرد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ρ .

ونقل محمد الصالحي الشامي – تلميذ السيوطي – عن السخاوي في فتاويه « عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعد »[1]. كذا الشيخ ملا علي قاري الحنفي في المورد الروي في المولد النبوي (ص 24).

وتعقب فيه السخاوي في التبر المسبوك في ذيل السلوك (ص 14) « وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر: فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر » فقال الشيخ ملا: «قلت: مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب » (ص 29).

وقد منعوا صيام يوم المولد واستقبحوه لأنه عيد عندهم ويوم العيد لا صيام فيه[2]، سئل ρ عن صيام يوم الاثنين فقال: ((ذاك يوم بُعثتُ فيه ووُلِدتُ فيه))[3].

الاحتجاج بالاختلاف حول تحديد يوم مولده ρ

قال الحبشي: « اختلف في عام ولادته ρ والأكثر أنه عام الفيل. قال ابن عبد البر: ولد بعد قدوم الفيل بشهر. وقيل بأربعين يوماً وقيل بخمسين يوماً »[4]. فاقتصر على أنه: « ولد الرسول الأعظم يوم الاثنين عام الفيل في شهر ربيع الأول...».

يفرقون بين الله ورسله

---

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 439/1 .

(2) انظر مواهب الجليل شرح مختصر خليل 406/2 .

(3) رواه مسلم رقم (1162) .

(4) الروائح الزكية في مولد خير البرية 28 وهذا الكتاب جعلون بديلاً عن كتاب آخر لشيخهم وهو كتاب (المولد الشريف) الذي أخفوه بعد أن كشفت فيه الخرافات والأكاذيب التي حواها .

{ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ }.

وأما تحديد تاريخ اليوم الذي ولد فيه ρ فالخلاف فيه كثير:

قال ابن كثير: « قيل لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. قاله ابن عبد البر في الاستيعاب. وقيل لثمان خلون منه، حكاه الحميدي عن ابن حزم. ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطعوا به. ورجحه ابن دحية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير ». قال القسطلاني في المواهب اللدنية: « وهو اختيار أكثر أهل الحديث... وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة...»[1]. ونقل الحلبي في «إنسان العيون» أن ابن دحية نص على أنه لا يصح تاريخ غيره.

وقيل لعشر خلون منه، نقله ابن دحية في كتابه[2] انتهى. ورجح الدمياطي في كتابه السيرة رواية أبي جعفر محمد الباقر أن مولده ρ كان لعشر خلون من شهر ربيع الأول.

وقيل أن الراجح رواية ودراية « أنه في اليوم التاسع كما في الاستيعاب والتنوير ونتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، وفي تحقيق مولد النبي ρ عند مقالات الكوثري »[3].

وحكى الحافظ ابن حجر: « أن وفاته ρ كانت يوم الاثنين بلا خلاف. وكان في الثاني عشر من ربيع الأول كما عند ابن إسحاق والجمهور »[4].

قال الشيخ الفاكهاني في «المورد في عمل المولد»: « إن الشهر الذي ولد فيه رسول الله ρ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه ».

وقال ابن الحاج في المدخل: « العجب العجيب كيف يعملون بالمغاني والفرح والسرور لأجل مولده ρ في هذا الشهر الكريم

---

(1) المواهب اللدنية 131 – 132 .

(2) انظر كتاب السيرة النبوية لابن هشام 198/1 – 201 .

(3) السيرة النبوية مجتزأة من تاريخ الإسلام للذهبي ص 7 تحقيق حسام الدين القدسي ط: دار الكتب العلمية 1982 .

(4) ذكره الحافظ (الفتح 129/8 (4427) البداية والنهاية 255/5 .

وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل إلى كرامة ربه وفجعت الأمة وأصيبت بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب، فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير... فانظر في هذا الشهر الكريم والحالة هذه كيف يلعبون فيه ويرقصون ولا يبكون ولا يحزنون... مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان أيضاً بدعة وإن كان الحزن عليه ρ واجباً على كل مسلم... إنما وقع الذكر لهذا الفصل لكونهم فعلوا الطرب الذي للنفوس راحة وهو اللعب والرقص والدف والشبابة... ولو قال قائل أنا أعمل المولد للفرح والسرور ولولادته ρ ثم أعمل يوماً آخر للمأتم والحزن والبكاء عليه فالجواب أن من عمل طعاماً بنية المولد ليس إلا، وجمع الأخوان فإن ذلك بدعة، هذا: وهو فعل واحد. فكيف إذا كرر ذلك مرتين: مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد به البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع[1].

وذكر ابن الحاج: « أنه لو خلا المولد وسلم من كل المفاسد المركبة فهو بدعة بنفس نيته لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع: فيسعنا ما وسعهم ».

وقال مفتي الديار المصرية الشيخُ محمد بخيت المطيعي في كتابه «أحسن الكلام» الذي طبعته مؤسسة الكتب الثقافية الحبشية. فأفتى جواباً على سؤال ورد إليه في حكم المولد النبوي ما يلي:

« إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون وأولهم المعز لدين الله. توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة 361هـ ودخل القاهرة في رمضان فابتدعوا ستة موالد. المولد النبوي ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش... وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة

---

(1) المدخل لابن الحاد 2/ 16 – 17 .

المذكورة قبل. بعد أن كاد الناس ينسونها... إنما أحدث المولد النبوي في مدينة إربل على الوجه الذي وصف فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك. فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبي محمد عبد الله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية. وما كانت عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية. وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام من قبل الفاطميين »[1].

ثم تحدث عن تفاصيل البدع التي كان يرتكبها ملك إربل: « كان ينصب قباباً من الخشب كل أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة وقعد في كل طبقة جوق من الأغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى زينوا فيها جوقاً وتُعطل معايشَ الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم... ويسمع غناهم...

وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة في ثاني عشرة لأجل الاختلاف الذي فيه. فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان. ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة. فإذا كان ليلة المولد عمل السماعات ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير[2]... تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل... ».

ولم يطق الشيخ محمد بخيت المطيعي بعد ذكر هذه الطقوس الشاذة أن يخفي نفوره منها، حتى صرح بتحريمها قائلاً: « وأنت

---

(1) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام 57 – 66 ط: مؤسسة الكتب الثقافية 1988 .

(2) وهل هذا إلا تقليد النصارى في طقوسهم؟ أمل تر النصارى كيف يحملون الشموع في احتفالاتهم في الكنائس؟.

إذا علمتَ ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين (ملك إربل) في المولد النبوي جزمتَ بأنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل »[1].

قال ابن حجر المكي الهيتمي بنفس التفريق في بدعة الوقوف عند ذكر مولده ρ فقال في الفتاوى الحديثية (58) ما نصه: « ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ρ ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ρ فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص ».

مولدكم كميلادهم

يامن ترتكبون سنن من كان قبلكم

قال النبي ρ : ((لتتَّبِعُنَّ سنن من كان قبلكم)) قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: ((فمن)). أي من غيرهم.

التقويم بالهجرة لا بالميلاد

لقد ابتدأ عمر رضي الله عنه التقويم السنوي من حدث الهجرة ولم يبدأه من مولد النبي ρ.

شبهة: وأما الاحتجاج بتأليف السيوطي كتاباً بعنوان « حسن المقصد في عمل المولد ». فالسيوطي كغيره من البشر غير معصوم يخطئ ويصيب، وهو مع جلالته وتبحره في العلم فإنه لا يخلو من غرائب انتقده عليها كثيرون أبرزهم الشيخ ملا علي قاري. وقد انتقده الغماري في (المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص 6) فقال: « يورد – أي السيوطي – الحديث الموضوع الذي في نفس متنه ما يدل دلالة واضحة على وضعه... » كما فعل في حديث جابر « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر » انتهى.

ويأتي بغرائب كقوله: « قد بشر النبي ρ بالإمام أبي حنيفة »، في حديث « لو كان العلم بالثريا » وزعم فيما حكاه عن ابن المبارك أن أبا حنيفة صلى خمساً وأربعين سنة على وضوء واحد

(1) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام 66 .

وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة[1].

شبهة: وأما الاحتجاج برؤية أبي لهب في المنام وقد سقي وهو في النار بسب عتقه لثويبة لأنها أرضعت النبي ρ .

شبهة: واحتجوا بما جاء في البخاري « قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها فأرضعت النبي ρ فلما مات أبو لهب أُريه بعضُ أهل بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة »[2].

وقد صرح الحافظ ابن حجر في الفتح (145/9): « بأن هذا الخبر مرسل، وأنه مخالف لظاهر القرآن، أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، والخبر رؤية منامية فلا حجة فيه ». وأوضح الحافظ في الإصابة (250/4) بأن إعتاق أبي لهب لثويبة كان بعد الإرضاع بزمن بعيد.

خادم الحديث يدعي أن دحية حافظ

ويحتج الحبشي بأبي الخطاب بن دحية الذي عمل لملك إربل كتاباً بعنوان «التنوير في مولد السراج المنير» ويزعم أنه حافظ من حفاظ أهل الحديث[3]، وزعم أتباعه أن ابن دحية كان محمود السيرة والسريرة (مجلة منار الهدى 34/38). أما حكمهم على السريرة فهذا افتراء على الله فإن الله هو الذي يعلم السريرة.

وأما السيرة: فقد أجمع أهل العلم على الطعن في ابن دحية ورميه بالكذب وعظائم الأمور.

قال الذهبي: « كان معروفاً بالمجازفة والدعاوى العريضة. وقال الحافظ الضياء: لقيته ولم تعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة. زاد ابن النجار: « كثير الوقيعة في السلف الصالح خبيث اللسان أحمق شديد الكبر قليل النظر في أمور الدين متهاوناً... رأيت الناس مجتمعين على كذبه وضعفه وادعائه

---

(1) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة 294 (ضمن الرسائل التسع) .

(2) رواه البخاري 5101 .

(3)243/5 .

سماع ما لم يسمع » وقال في العبر: « ليس بالقوي ضعفه جماعة وله تصانيف ودعاوٍ مدحضة وعبارات مقعرة مبغضة »[1].

وقال الحافظ ابن حجر عن ابن النجار: « أنه لما دخل ابن دحية أكرمه ملكها فوضع سجادة للصلاة وقبّلها وقال: صليت على هذه السجادة كذا وكذا ألف ركعة وختمت القرآن في جوف الكعبة مرات. وفي آخر النهار جاء رجل فسأل عن ابن دحية وأخبرهم أنه – أي ابن دحية – قد اشترى منه السجادة أول هذا النهار. فسقط من أعين الناس » انتهى.

قال ابن خلكان: صنف لملك إربل كتاباً في المولد ومدحه بقصيدة ثم تبين أنها في ديوان الأسعد بن مماتي. وقال ابن نقطة: « كان يدعي أشياء لا حقيقة لها ». ونقل عن أبي القاسم بن عبد السلام قال: « أقام عندنا ابن دحية فكان يقول: أحفظ صحيح مسلم والترمذي. قال: فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت عليه حديثاً من الترمذي فقال: ليس بصحيح. وآخر فقال لا أعرفه. ولم يعرف منها شيئاً » كذلك وصفه السيوطي بأنه « كان مجازفاً في النقل مع الدعاوى العريضة »[2].

وقال لحافظ ابن كثير: « تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب »[3].

فأين أمانتك العلمية يا حبشي؟ لماذا تغش الناس في دينهم وترفع من شأن كذاب شهد عليه نقاد الحديث وأصحاب الجرح والتعديل بالكذب وخبث اللسان وسوء الحال؟ أكلّ ذلك التشغيب والتشويش منك لنشر بدعك التي تدافع عنها يا من أفتيت بإيمان من يسجدون للأصنام وبكفر من ينهون عن البدعة وعن

---

(1) ميزان الاعتدال 188/3 تذكرة الحفاظ 1421/4 العبر في خبر من غبر 217/3 .

(2) وانظر ترجمة الحافظ ابن حجر له في لسان الميزان 336/4 – 342 ترجمة رقم 6037/1686 طبقات الحفاظ 501 ترجمة رقم (1102) .

(3) البداية والنهاية 144/13-145 وفيات الأعيان 69/1 .

الاستغاثة بغير الله.

الأكاذيب والمبالغات في الموالد

ومن المبالغات والأكاذيب حول مولده ρ زعموا أن النبي ρ قال: « من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً » قال الشيخ ملا علي قاري في المورد الروي: « قال الحافظ العراقي لا يثبت شيء في هذا كله ». وقد ذكر الحافظ ابن حجر من أسباب طعن أهل العلم بالحاكم روايته أحاديث واهية مثل حديث أن النبي ρ ولد مسروراً مختوناً ثم قوله: وقد تواتر هذا[1].

ومن المبالغات التي تحدث في الاحتفال بمولده ρ أنهم يقومون عند ذكر ولادته كما أشار إلى ذلك أحمد بن زيني دحلان في كتابه (السيرة النبوية والآثار المحمدية 24/1) ووصل الأمر ببعضهم إلى تكفير تارك القيام كما بينه الشيخ محمد علي بن حسي المالكي في تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية 277/4).

ولقد قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي: « جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه ρ أن يقوموا تعظيماً له ρ وهذا القيام بدعة لا أصل لها » (السيرة الحلبية 415/1).

وقال ابن حجر المكي الهيتمي في الفتاوى الحديثية (58) ما نصه: « ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ρ ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ρ فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص ».

الاحتفال بموالد الأولياء

إنه لم يقتصر الأمر على مولد النبي ρ وإنما تلاه احتفالات

---

(1) لسان الميزان 263/5 ترجمة رقم (8598) .

بموالد غير النبي ρ كالاحتفال بمولد البدوي والشاذلي والجيلاني وغيرهم. ويحضر مولده ملايين البشر ويتوافد الشيوخ من أنحاء العالم للاحتفال به. وزعم الأحباش أن جماعة سعوا في إبطال هذا المولد فانتقم الله منهم فمنهم من عزله السلطان ونفاه، ومنهم من وضعت السلاسل في يديه ومنهم من أهين ونكل به وضُرِب في مجلس السلطان بعد أن كان وجيهاً من وجهائه[1].

القول في أبوي النبي ρ

وفي مجلة الأحباش وتحت عنوان « **والدا النبي ρ ناجيان** » قال نبيل الشريف: « قال العلماء إن أم الرسول ρ كانت عارفة بالله وأن والديه ρ ناجيان في الآخرة، **ويحتمل** أنهما التقيا ببعض أتباع سيدنا عيسى المسلمين فتعلموا منهم الإسلام »[2].

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت البيوتي رحمه الله عن حديث نجاة أبوي النبي ρ : «قال ابن كثير: حديث منكر جداً »[3].

ونقل السيوطي عن ابن دحية الذي يصفه الحبشي بالحافظ أن الحديث في إيمان أمه ρ وأبيه «موضوع» يردّه القرآن العظيم: قال تعالى: { **وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ** }، وقال: { **فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ** }، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة[4].

وقد رجح عامة الأشاعرة نجاة أبوي النبي ρ منهم البيجوري[5] الذي احتج لذلك بالحديث المكذوب « أن رسول الله ρ سأل ربه أن يُحيي له أبويه فأحياهما فأسلما ثم ماتا»[6]. وهو حديث مكذوب، ومع ذلك قال البيجوري المنحرف: « ولعل هذا الحديث صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف ». وهو قول منه

---

(1) مجلة منار الهدى 18/35 – 19 .
(2) مجلة منار "الهدى" 27/16 – 28 .
(3) كتاب أسنى المطالب 51 .
(4) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين 212 – 213 .
(5) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص29 ط: دار الكتب العلمية .
(6) حكم عليه السيوطي بأنه موضوع كما في اللآلئ الموضوعة 267/1 .

سخيف[1].

ينسبون الظلم إلى الله

وهذا مناقض للمناظرة المشهورة التي جرت بين أبي الحسن الأشعري وبين الجبائي والتي يحتج بها الأشاعرة دائماً وفيها: أنه سأله عن ثلاثة إخوة:

أحدهما كان مؤمناً والثاني كافراً والثالث كان صغيراً.

فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات وأما الكافر ففي الدركات وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد فهل يؤذن له؟

قال الجبائي: لا لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات.

قال الأشعري: فإن قال الصغير: التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

قال الجبائي: يقول الباري: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم. فراعيت مصلحتك.

قال الأشعري: فيصيح أخوه الكافر وأهل النار جميعاً: أفلا راعيت مصلحتنا وأمتنا صغاراً قبل أن نكبر ونعصي؟

وهنا أكمل المناظرة ضد من ينتسبون إلى الأشعري فيقال لهم: وهنا صاح أهل الكفر فقالوا: أفلا أحييتنا ثانية كما أحييت أبوي نبيك فنؤمن كما آمنوا؟

أوردت ذلك لتعلم أن هؤلاء ينسبون بهذا التحيز الظلم إلى الله تعالى.

قال العلامة الحنفي ملا علي قاري تعليقاً على قول أبي حنيفة: « ووالدا رسول الله ρ ماتا على الكفر »[2]. قال: « هذا رد على

---

(1) وأسخف منه قوله: « من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق » جوهرة التوحيد 153 .

(2) الفقه اكبر 130 ط: دهلي 1314 .

من قال: إنهما ماتا على الإيمان، أو ماتا على الكفر ثم أحياهما الله تعالى فماتا في مقام الإيقان، وقد أفردت لهذه المسألة رسالة مستقلة »[1].

وقد احتج في رسالته هذه بعبارة أبي حنيفة قائلاً: « ثم هذه المسالة لو لم تكن في الجملة من المسائل الاعتقادية لما ذكرها الإمام المعظم المعتبر في ختم فقهه الأكبر »[2].

وذكر ابن حزم في كتاب (الدرة فيما يجب اعتقاده ص298): « وفي أهل بيته ρ من لا تناله الشفاعة لأنه يخلد في النار كأبويه عليه السلام ».

قال البيهقي بعد أن سرد جملة من الأحاديث تدل على أن أبويه ماتا على الكفر: « وكيف لا يكون أبواه وجدّه بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم ρ »[3].

وقال في السنن الكبرى: « وأبواه كانا مشركين »[4]. واحتج بحديث « إن أبي وأباك في النار ».

قال النووي في شرح هذا الحديث: « فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين »[5].

قال الشيخ ملا علي قاري: « والعجب من الشيخ جلال الدين السيوطي – مع إحاطته بهذه الآثار التي كادت أن تكون متواترة في الأخبار – أنه عدل عن متابعة هذه الحجة وموافقة سائر الأئمة وأورد أدلة واهية في نظر الفضلاء المعتبرين، مستدلاً بحديث ضعيف.. أن النبي ρ قال: « ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فآمنت بي، وردّها الله عز وجل » قال: « وهذا الحديث

---

(1) أدلة معتقد أبي حنيفة ص 40 .
(2) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام 141 .
(3) دلائل النبوة 192/1 – 193 .
(4) السنن الكبرى 190/7 .
(5) شرح مسلم 79/3 .

ضعيف باتفاق المحدّثين كما اعترف به السيوطي »[1].

ثم أبدى تعجبه من ابن حجر المكي الذي صحح الحديث وأن ذلك منه عيب قبيح مسقط للعدالة لأن السيوطي ذكر الاتفاق على ضعف الحديث ونقل ابن كثير عن ابن دحية أنه قال: «هذا الحديث موضوع يردّه القرآن والإجماع »[2].

قلت: فكيف إذا علم احتجاج السيوطي بغيره من الروايات الواهية مثل حديث: « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب » وتعليقه بعد ذلك: « أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ ». ومع اعترافه بضعف الحديث فإنه زعم أن الحديث يتقوى بكثرة طرقه[3].

ثم احتج بحديث آخر وهو « أن الله أحيا لي أمي فآمنت بي » (المقامة السندسية 141). قال الذهبي: « لا أدري من ذا الحيوان الكذاب فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له »[4].

ويزداد العجب من السيوطي اعترافه بضعف حديث: « سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها » ومع ذلك احتج بما زعمه ابن شاهين من أن هذا الحديث ناسخ للحديث الذي عند مسلم: ((استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي))[5].

وأكد الشيخ ملا أن هذا الحديث من وضع الرافضة وموضوع على أصولهم الباطلة الذين نسبوا الحديث إلى عائشة تبعيداً عن الظن بوضعهم[6]. وهذا عين ما قاله أبو حيان في (البحر المحيط

---

(1) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ρ ص 85 ط: مكتبة الغرباء الأثرية .

(2) أدلة معتقد أبي حنيفة 87 – 88 وانظر تفسير ابن كثير 408/2 .

(3) مسالك الحنفاء في والدي المصطفى ص 24 – 25 (ضمن الرسائل التسع) .

(4) ميزان الاعتدال 684/2 .

(5) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين ص 202 ضمن الرسائل التسع .

(6) أدلة معتقد أبي حنيفة 90 و132 .

47/7) من أن الرافضة هم الذين زعموا أن أبوي النبي مؤمنان مستدلين بقوله تعالى: { **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** }.

وكان الهيتمي يميل بعصبية لا عن علم إلى قول من زعم أن الله أحيا أبوي النبي ρ حتى أسلما[1]، ومعتمده في ذلك الأحاديث غير الصحيحة المخالفة للصحيحة مثل قول النبي ρ : ((استأذنتُ ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي))[2] وقوله لرجل: ((إن أبي وأباك في النار))[3].

وبعد أن تعقب الشيخ ملا علي قاري ما جاء عند الطبري (232/30) عن ابن عباس في قوله تعالى: { **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** }، وفي سنده الحكم بن ظُهير الفزاري، قال يحيى بن معين «ليس بثقة» وقال مرة «ليس بشيء، تركوه» وقال البخاري: « منكر الحديث »[4]. انتهى إلى « أن هذه المسألة من الاعتقاديات التي لا بد لها من الأدلة اليقينية لا من الفروع الفقهية التي تغلب على مدارها القواعد الظنية. وأنه لم يقل بهذه المقالة إلا جمع من المقلدين كابن شاهين والخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن المنيّر »[5].

وقد وصف الشيخُ ملا علي قاري السيوطيَ بأنه: « حاطب ليل وخاطب ويل: فتارة يقول إنهما مؤمنان من أصلهما فإنهما من أهل الفترة، وأخرى يقول إنهما كانا كافرين لكنهما أحياهما الله وآمنا، ومرة يقول: ما كانا مؤمنين وما كانا كافرين بل كانا في مرتبة المجانين جاهلين، فيمتحنان يوم القيامة، وبالظن يحكم أنهما ناجيان »[6].

---

(1) الزواجر 33/1 .
(2) رواه مسلم (976) .
(3) رواه مسلم (203) باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين .
(4) ميزان الاعتدال 571/1 .
(5) أدلة معتقد أبي حنيفة 133 .
(6) أدلة معتقد أبي حنيفة 133 .

وتعجب من موقف السيوطي والفخر الرازي اللذين اختارا أن أبوي إبراهيم ρ كانا مؤمنين وأن (آزر) الذي ذكره القرآن ليس أبا إبراهيم وإنما عمه ونسبهما لذلك إلى البدعة واصفاً استدلال السيوطي بالاستدلال السقوطي. وهذا تحريف لكلام الله { **يَا أَبَتِ** }.

وقد خالف السخاوي قول السيوطي بنجاة أبوي النبي ρ كما نص عليه الصيادي في قلادة الجواهر (ص 422).

وقد نص المرتضى الزبيدي على أن العديد من العلماء المعاصرين للسيوطي وممن جاءوا بعده ردوا عليه ثم قال "والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفياً وإثباتاً"[1]. ولو كان في المسألة علم صريح لما شك الزبيدي وتوقف.

الرفاعيون ميالون للتشيع

وبهذا تعلم أن الأحباش أصحاب الطريقة الرفاعية يستدرجون المسلمين بعقائدهم نحو التشيع. فالصيادي الرفاعي المعظم عند الأحباش كتب رسالة سماها (السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب) و(الكنز المطلسم) ذكر فيهما أن أهل البيت كلهم مطهرون وأنهم كلهم في الجنة. وأن أبوي النبي ρ من أهل الجنة، وأن من رماهم بالنقص يكون مؤذياً لرسول الله ρ وبالتالي يكون مقتحماً للكفر[2]. ونقل عن الشيخ كمال الدين الحنفي أن من قال بأنهما في النار فهو ملعون. ولذلك إذا ذكر الصيادي أم النبي ρ قال «رضي الله عنها» وإذا ذكر أباه وصفه بـ «المعظم»[3].

وقد وافقه الشيعة فصنفوا رسائل عديدة في إيمان أبي طالب منها (مؤمن أهل البيت) للخنيزي و(إيمان أبي طالب) للمفيد

---

(1) إتحاف السادة المتقين 440/8 .

(2) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد 4-5 ط: مصطفى أفندي 1307 وانظر النجوم الزواهر 48 لأحمد الرجيبي الحسيني ط: دار الحرية بغداد سنة 1980 .

(3) ضوء الشمس 112/1 .

و(شيخ الأبطح) للحر العاملي قال فيها: « إن الشيعة الإمامية يقولون بإسلام أبي طالب وأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام »[1].

وأما اعتبار الصيادي ذلك انتقاصاً للنبي ρ فالنبي هو الذي قال: ((أبي في النار)) فإن كان ذلك قلة أدب فقد نسبوا هذه الصفة للنبي ρ من حيث لا يشعرون.

وأما من تعمد بذلك إيذاء النبي ρ فإنه يُمنع من ذكر ذلك. كيف لا وقد كان منافق يُكثر من قراءة: { **عَبَسَ وَتَوَلَّى** }، فتوعده عمر على ذلك. وأنه لما تعرض أناس لأبي جهل بعد موته نهاهم النبي ρ عن سب الأموات لأنهم قد أفضوا إلى ما أفضوا إليه.

كيف يحبونه وهم يكذبونه!

وتعجب ممن يدّعون محبته ρ وهم يكذبونه، يقول لهم أبي في النار فيقولون له ρ : بل قولنا هو الصحيح: إن أباك وأمك في الجنة!

ولكن، ليست هذه المرة الأولى التي يكذب فيها هؤلاء القوم نبيهم من حيث لا يشعرون:

فقد كذبوه حين قال لهم (كل بدعة ضلالة) فقالوا: ليس كل بدعة ضلالة.

وشهد للجارية بالإيمان حين قالت: إن الله في السماء فقالوا: من أصول الكفر اعتقاد أن الله في السماء:

وقال ρ : ((ينزل الله)) فقالوا: لا ينزل، بل ينزل الملك بأمره وليس الله.

وقال: ((إذا سألت فاسأل الله)) فقالوا: إذا سألت فلا تسأل الله فقط. اسأل معه البدوي والرفاعي والجيلاني.

وقال: ((سلوا الله لي الوسيلة)) فقالوا: سلوا النبي ρ الوسيلة. وهكذا لم يوافقوا قول نبيهم ρ.

---

(1) الأعلام للزركلي 166/4 .

فتأمل!

الصوفية

اعترف الزبيدي بمقام وحدة الوجود عند الصوفية فقال معلقًا على كلام للغزالي: « وفيه تلويح إلى مقام وحدة الوجود عند الصوفية »[1].

موقف ابن الجوزي من التصوف والصوفية

قال ابن الجوزي: « قد لبّس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم: والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل، فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل » (تلبيس إبليس 384).

قال: « فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف » (تلبيس 165).

« وسموا علمهم علم الباطن، وعلم الشريعة: العلم الظاهر » (تلبيس 164).

وأفضل كلمة عن التصوف ما رواه ابن الجوزي عن رويم: « لا تشتغل بترّهات الصوفية » (تلبيس 189).

وقال: « وكأن هؤلاء القوم [الصوفية] ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ρ نعوذ بالله من تلبيس إبليس » (تلبيس إبليس 310). واعتبر أن البدع دخلت من الرهبنة حيث أخذ المتزهدون الصوفية عن الرهبان طريق التقشف.

وكان ابن الجوزي يصفهم بالحمقى ويدعو عليهم فيقول طهّر الله الأرض منهم وأعان العلماء عليهم فإن أكثر الحمقى معهم[2].

قال: « ولما قلّ علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال

---

(1) إتحاف السادة المتقين 498/9 .

(2) صيد الخاطر 225 – 226 .

ما لا يحل.. وكان الصالح منهم نادرًا، ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخنا » ثم روى عن وكيع حدثنا سفيان يقول سمعت عاصمًا يقول: « ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث» (تلبيس إبليس 371-372).

ثم وصفهم ابن الجوزي بأنهم زنادقة وقال: « ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة » (تلبيس إبليس 374).

وروى عن شيخه ابن عقيل قوله: « نصيحتي إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين » (تلبيس إبليس 375).

وذكر أن وسوسة الشيطان بلغت بالصوفية حتى صار الواحد منهم يتخايل له وسوسة فيقول: « حدثني قلبي عن ربي » وحتى صار أبو يزيد البسطامي يقول: « مساكين [أي أهل الحديث] أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » (تلبيس إبليس 321 – 322).

روى عن الشافعي قوله وروى عنه قوله: « أُسّسَ التصوّفُ على الكسل » (تلبيس إبليس 320).

وروى قوله: « لو أن رجلاً تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يومًا فعاد إليه عقله أبدًا » **(تلبيس إبليس لابن الجوزي 371).**

قال ابن الجوزي: « وجاء عبد الكريم بن هوازن القشيري وصنف لهم كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء [أي في الله] والقبض والبسط والجمع والتفرقة والصحو والمحو والسُّكْر والشرب والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والحقيقة والشريعة وغير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء » (تلبيس إبليس 165).

قال مجاهد: "السبل: البدع والشبهات"[1].

(1) فتح المبين لابن حجر الهيتمي 109 .

لباس الصوفية

وانتقد ابن الجوزي هذه المرقعة التي تقلدها الصوفية وجعلوها علامة على التصوف وجعلوا لها إسنادًا ينتهي إلى علي ومنه إلى رسول الله ρ . فقال: « وقرروا أن هذه المرقعة لا تُلبَس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسنادًا متصلاً كله كذب ومحال » (تلبيس إبليس 191).

قال النضر بن شميل لبعض الصوفية: « تبيع جبتك الصوف؟ فقال: إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد »؟ (تلبيس إبليس 198).

وقال بأن هذا النوع من اللباس صار لباس شهرة. ثم يقول بعد ذلك: « فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء » (تلبيس إبليس 202).

قال: « ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي ρ لبس الصوف. قال: فأما لبس رسول الله ρ الصوف فقد كان يلبسه في بعض الأوقات، لم يكن لبسه شهرة عند العرب [بمعنى لا يلبسه كشعار ديني مثل إزار ورداء الحج] وأما ما يروى في فضل لبسه فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء » ثم ذكر أن فرقد السبخي جاء إلى حماد بن أبي سليمان بالبصرة وعليه ثوب صوف فقال له: « ضع عنك نصرانيتك هذه » (تلبيس إبليس 194-196). وجاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف فقال له أبو العالية: « إنما هذه ثياب الرهبان ».

ويصف ابن الجوزي الصوفية بأنهم كانوا يطلبون المال من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس (آكل أموال الناس ظلماً) « وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة » (تلبيس إبليس) 175).

وحكى ابن الجوزي انتشار صحبة الصغار والوقوع في غرامهم كما قال: « وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي

يصيد بها الصوفية حتى روى عن يوسف بن الحسين الرازي أن آفة الصوفية في صحبة الأحداث » (تلبيس إبليس 276).

موقف أحمد من الحارث المحاسبي

وروى ابن الجوزي أن أحمد بن حنبل سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له: « لا أرى لك أن تجالسهم. وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي فقال إياك وكتبه هذه الكتب كتب بدع وضلالات... قال: وتكلم الحارث بن المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات فيها، ولم يُصَلّ عليه إلا أربع أنفس » وقاله الذهبي والخطيب[1].

قال ابن الجوزي: « وأما كلام المحاسبي إن الله نهى عباده عن جمع المال وأن رسول الله ρ نهى أمته عن جمع المال: خطأ يدل على الجهل بالعلم » (تلبيس إبليس 179).

قال: « وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور » (تلبيس إبليس 173).

حكايات الصوفية

يعجب من حكايات الصوفية كقول أبي يزيد فيما رواه عنه الغزالي: « دعوت نفسي إلى الله فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة: فوفت لي بذلك » وقال معلقًا: « فهذه حالة مذمومة لا يستحسنها إلا الجهال » (تلبيس إبليس 210 وانظر ص217).

ويزداد تعجب ابن الجوزي مرات ومرات من عجائب الآراء وقصص القوم التي يوردها الغزالي عن الصوفية ويقول: « عجبت لأبي حامد الغزالي كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم...» (تلبيس إبليس 213).

---

(1) تلبيس إبليس 167 مناقب أحمد لابن الجوزي 186 سير أعلام النبلاء 327/11 تاريخ بغداد 215/8-216.

هذه الطرق هي السُّبُل، قد ابتدعت في دين الله أذكاراً وأوراداً وطقوساً ما أنزل الله بها من سلطان.

موقف ابن الجوزي من ضرب الصوفية بالدفوف

قال: « وأما الضرب الدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا. فكيف لو رأوا هذه »؟

قال: « وقد ادّعى قوم منهم [الصوفية] أن هذا السماع قربة إلى الله فقال الجنيد: تنزل رحمة الله على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن: عند الأكل وعند المذاكرة وعند السماع » (تلبيس إبليس 249). قال ابن الجوزي: « وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرًا » (تلبيس إبليس 250).

قال: « وكان الحسن البصري يقول: ليس الدف من سنة المرسلين في شيء ». وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: « من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ρ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس ».

قال ابن الجوزي: « قال أحمد أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل ».

قال ابن الجوزي: « وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء ... وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فإنه قال: كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم » (انظر تلبيس إبليس 239).

وذكر من احتجاجاتهم الاحتجاج على جواز الغناء بسماع النبي ρ للشعر (تلبيس 240).

وروى عن شيخه ابن عقيل أنه قال: « أن مشايخ هذه الطائفة [الصوفية] كلما وقفت طباعهم حداها الحادي إلى الله بالأناشيد فقال: لا كرامة لهذا القائل. إنما تحدي القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ρ : { **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**

}... وأنتم [أيها الصوفية] زنادقة في زي عُبّاد » (تلبيس إبليس 246).

قال ابن الجوزي: « واعلم أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب: وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع » (تلبيس إبليس 252).

قال ابن الجوزي: « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوىً » (تلبيس إبليس 247).

وتساءل ابن الجوزي: « أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال ». قال: «والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة » (تلبيس إبليس 257 – 258).

رؤية النبي ρ يقظة شطحة صوفية

حكى الحافظ ذلك في الفتح حيث حكى ادعاء أقوام من الصوفية رؤية النبي ρ يقظة واعتبر ذلك مشكلاً عظيماً[1].

ونقل الحافظ إنكار القاضي ابن العربي تلميذ أبي حامد الغزالي على من قال بذلك، قائلاً: « شذ بعض الصالحين فزعم أنها – أي الرؤية – تقع بعيني الرأس حقيقة. وقال القرطبي صاحب المفهم: « وهذا القول يُدرَكُ فساده بأوائل العقول. ويلزم من ذلك :

أن يخلو قبره ρ من جسده. وهذا مقبول عندهم. فقد ذكر السيوطي عن ابن المسيب أنه قال: « ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين يومًا ». وعن النبي ρ أنه قال: « أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث »[2].

وأن يزار مجرد القبر ويسلم على غائب.

---

(1) فتح الباري 385/12 .

(2) الحاوي للفتاوي 264/2 .

قال: وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل[1].

وذكر المناوي تنبيهًا من الصوفية أنهم قالوا: « إن الرؤية الصحيحة أن يرى النبي ρ بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآها بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه، وحصول الجزم في نفس الرائي بأنه رأى النبي غير حجة »[2].

وقد أنكر ابن الجوزي على أبي الفتح الطوسي الذي ادعى أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ρ في اليقظة وعد هذا من منكراته[3].

ووصف ابنُ الجوزي أحمد الغزالي (أخا أبي حامد) أنه كان آية من آيات الله في الكذب حيث كان يزعم أنه يرى رسول الله ρ في اليقظة لا في النوم وأنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله ρ في اليقظة لا في المنام[4].

بل زعم الرفاعية أن الشيخ أحمد الأزرق ابن الشيخ منصور كان يصافح النبي ρ خمس مرات[5].

حكي عن أبي العباس المرسي أنه قال: « والله لو غاب عني رسول الله ρ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين »[6].

ويذكر السيوطي أنه كانت لأبي العباس المرسي وصلة بالنبي دائمة. إذا سلم على النبي رد السلام عليه ويجاوبه إذا تحدث معه[7].

---

(1) فتح الباري 384/12-385 وانظر إتحاف السادة المتقين 429/10 .

(2) إتحاف السادة المتقين 429/10 .

(3) حكاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية 196/12 .

(4) كتاب القصاص والمذكرين 156 ط: دار أمية .

(5) سواد العينين في مناقب أبي العلمين 53 هذبه جمال صقر الحبشي وهذا التهذيب مؤامرة يراد بها حذف كثير من الخرافات والشركيات .

(6) طبقات الشعراني 2: 14 قلادة الجواهر للصيادي الرفاعي 281 وانظر كتاب كشف الأسرار لتنوير الأفكار لمصطفى نجا ص 103 .

(7) الحاوي للفتاوي 260/2 .

زعم النابلسي أنه رأى النبي ρ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: « تقع ثلاثا »[1]! مع أن الذي صح عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ρ كان يحتسبها واحدة[2].

قال ابن الحاج في المدخل (ص 302-304): « ليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن من يرى النبي ρ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه ينتبه من نومه فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله ρ وعلى قواعد السلف الصالح ».

قال الحافظ أبو زرعة العراقي: « لو أخبر صادق عن النبي ρ في النوم بحكم شرعي مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده »[3].

وقال السخاوي: « لم يصل إلينا ذلك – أي وقع الرؤية يقظة – عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه ρ حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه » وذكر السخاوي أن دعوى ذلك إنما تنقل عن المتصوفة وأن من مصنفاتها المحتوية على عباراتها في ذلك (توثيق عرى الإسلام للبارزي) و(بهجة النفوس) لأبي محمد عبد الله بن أبي جمرة و(روض الرياحين) لليافعي. و(رسالة الشيخ صفي الدين بن أبي منصور) نقله القسطلاني عن السخاوي في المواهب اللدنية (295/5).

وذكر البدر بن حسن الأهدل في مسألة الرؤية له أن من تواتر الأخبار عنهم من المتصوفة بدعوى رؤية النبي ρ بعد موته في اليقظة إنما يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف

---

(1) جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن 236 .

(2) رواه مسلم (1472) وأبو داود (2199).

(3) طرح التثريب 215/8 شرح حديث رؤيا الرجل الصالح .

لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة وأن رواة تلك الأخبار من المتصوفة يغلطون فيها كثيرًا قلما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به، وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى منامًا أو في غيبة حس فيظنه يقظة. وقد يرى خيالاً أو نورًا فيظنه الرسول، وقد يلبس عليه الشيطان: فيجب التحرز في هذا الباب.

وجزم البدر بن حسن الأهدل بأن القول برؤيته ρ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره، ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب » (ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية 298/5-299).

وقد استحسن ملا علي قاري في جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذي (238/2) كلامه ثم قال: « إنه – أي ما ادعاء المتصوفة من رؤية النبي ρ في اليقظة بعد موته – لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه ρ من أمر ونهي وإثبات ونفي من المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعًا كما لا يجوز بما يقع حال المنام ولو كان الرائي من أكابر الأنام. وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية » انتهى كلام علي قاري.

وفيه فائدة: حكايته الإجماع على عدم جواز العمل بما يدعي من يزعم أنه رأى النبي ρ في اليقظة أنه سمعه منه من أمر أو نهي أو إثبات أو نفي. وفي حكايته الإجماع على ذلك: الرد على قول الزرقاني في شرح المواهب اللدنية 29/7: « لو رآه يقظة – أي بعد موته ρ - وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابيًّا وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به. قاله شيخنا ».

كما أن في حكايته الإجماع على ذلك الرد على دعوى السيوطي تلقي تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي ρ يقظة، وعلى دعواه أن النبي ρ قال له: « يا شيخ الحديث

وأنه أخبره بأنه من أهل الجنة » من غير عذاب يسبق.

فائدة حول رؤيته ρ في المنام

قول النبي ρ : ((من رآني فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بي)) ورواية ((**لا يستطيع** أن يتمثل بي)) كان السلف الصالح كابن سيرين وابن عباس إذا جاءهم رجل وقال رأيت رسول الله في المنام يدنونه منهم ويقولون: « صف لنا الذي رأيته » فإن كان الوصف مطابقاً لما علموه من صفة النبي ρ قالوا: « رأيته » وإن لم يكن كذلك قالوا: « لم تره »[1].

قال الحافظ: « وقوله **((لا يستطيع أن يتمثل بي))** يشير إلى أن الله تعالى وإن أمكن الشيطان من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يُمَكّنه من التصور في صورة النبي ρ . وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: « إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها »[2].

من هي الفرقة الناجية؟

وصف الأشعري الإمام أحمد أنه: « الإمام الكامل... الذي أبان الله به الحق وأظهر به السنة »[2]. ذم الشيخ عبد القادر الجيلاني الأشاعرة وقرن تأويلاتهم بتأويلات المعتزلة[3].

الحبشي وأتباعه يعزفون على وتر الكثرة

وكثيرًا ما يدق الحبشي على وتر الكثرة فيقول: « إن الأشعرية الذين هم أهل السنة يبلغ تعدادهم مئات الملايين، أما من خالفهم فهم قلة قليلة بالنسبة إليهم، وأن في إندونيسيا وحدها أكثر

---

(1) رواهما الحافظ في الفتح بإسنادين جيدين 12: 384 .
(2) فتح الباري 12 : 386 .
(2) تبيين كذب المفتري .
(3) انظر الغنية 54 و56 و58 .

من مئة مليون كلهم أشعريون »[1].

الحجة الدامغة

قال أسامة السيد: « قال لي شخص: لماذا أنتم أيها الأحباش كل المجموعات الدينية ضدكم فهل تظنون أنفسكم على حق بمفردكم وهُم أهل الباطل بمجموعهم؟ فقلت له: إن الكثرة ليست مقياس الحق، لا سيما إن من تستكثر بهم مئات الملايين من المقلدة الذين لا يعرفون حقيقة المذهب الأشعري بل هم من المقلدة العوام. بل الجمهرة الغالبة للمسلمين تؤمن بهذا الدين بإجمال ولا تعرف المداخل الكلامية والقضايا العقلية التي يعتمدها أهل الكلام. فقد قال الفضيل بن عياض: « لا يغرنك كثرة الهاكين »[2].

قال الحافظ ابن عساكر: « قد يقول قائل: إن أكثر الناس لا يقتدون بالأشعري ولا يرون مذهبه **وهم السواد الأعظم**: والجواب أنه لا عبرة بكثرة العوام ولا التفات إلى الجهال الأغتام وإنما الاعتبار بأرباب العلم والاقتداء بأصحاب البصيرة والفهم وأولئك في أصحابه أكثر ممن سواهم ولهم الفضل على من عداهم، على أن الله عز وجل قال: { **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ** } وقال: { **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** } وقال الفضيل بن عياض: « لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها ولا تغترنّ بكثرة **الهالكين** »[3].

قال تعالى عن نوح: { **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ** }.

وقال: { **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** } { **لا يُؤْمِنُونَ** } { **مُعْرِضُونَ** } { **لا يَشْكُرُونَ** } { **بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ** } { **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** } { **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا** } { **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** } { **فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** } { **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** } { **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي**

---

(1) منار الهدى (!) عدد 8 ص45 .
(2) مجلة منار «الهدى» 74/25 .
(3) تبيين كذب المفتري ص 331 .

الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }.

وقد قالت عائشة للنبي ρ : « أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم إذا كثر الخبث)) »[1]. ولما قيل له: « أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ (كثير) ولكنكم غثاء كغثاء السيل ». وقال: ((بدأ الدين غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)). قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ فقال: ((ناس صالحون (قليل) في ناس سوء (كثير) من (يعصيهم) (أكثر) ممن يطيعهم)).

قال الغزالي: « إيمان العوام أثبت من عقيدة علماء الكلام المهلهلة المتزعزعة التي تهزها رياح الشبهات مرة هكذا ومرة هكذا »[2].

حديث ((إن أمتي لا تجمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم)) فهذا الحديث والله أعلم ضعيف. في سنده أبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي: « وقد جاء الحديث بطرق كلها فيها نظر ». وقال الزبيدي في الإتحاف (141/8) « وفي السند مجهول ».

أورد له المرتضى الزبيدي زيادة فيها: « قالوا: ما السواد الأعظم؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي »[3].

والجويني رد هذا الحديث بحجة أنه خبر آحاد ويؤوله بأن يحتمل أن يكون معناه: « أن أمته ρ لا ترتد إلى قيام الساعة » ثم قال: « ولا حاصل لمن يقول قد تلقته الأمة بالقبول » ولا ننسى أن حديث الآحاد عندهم يبقى ظنيًا يحتمل الكذب وإن تلقته الأمة بالقبول وأجمع على تلقيه أهل العلم كما حكاه عن ابن فورك في أحد قوليه والقاضي ولم يعقب عليه[4].

---

(1) رواه البخاري (7059) ومسلم (2880) .
(2) إحياء علوم الدين 94/1 والمنقذ من الضلال 17 للغزالي .
(3) إتحاف السادة المتقين 265/1 .
(4) البرهان 379/1 .

قال ابن حجر الهيتمي في فتاويه: « ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه: ليس الجماعة بكثرة الناس، من كان معه الحق فهو الجماعة وإن كان واحدًا ».

وقد قال عمرو بن ميمون: « سمعت عبد الله بن مسعود يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة. وقال لي: تدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك ».

وقد اشتد نكير أبي المظفر السمعاني على أهل الكلام وسخر من طريقتهم وأكد أنهم يكفّرون من خالف طريقهم من الناس وهم السواد الأعظم[1]. « فالمصابون بداء علم الكلام شرذمة قليلون ليسوا شيئًا »[2].

قال أبو شامة: « حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيرًا، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ρ وأصحابه، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم » وقال نعيم بن حماد: « إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك. فإنك أنت الجماعة حينئذ »[3].

وجاء في الميزان للشعراني « ولذا كان سفيان الثوري يقول: المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدًا ».

وكان ابن المبارك يصف من اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة بالجماعة، فتراه إذا سئل عن الجماعة قال: « أبو بكر وعمر. فإذا قيل له قد مات أبو بكر وعمر قال: أبو حمزة السكري جماعة. قال الترمذي: أبو حمزة هو محمد بن

---

(1) فتح الباري 507/13 .
(2) فتح الباري 507/13 .
(3) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد السنة رقم 160 والبدع والحوادث لأبي شامة ص 29-28 .

ميمون وكان شيخًا صالحًا وإنما قال هذا في حياته عندنا »[1].

قال النبي ρ : ((لا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين ويعبدون الأوثان))[2].

بشرى سارة للأشاعرة

جاء في مجلة منار الأحباش ما يلي: « بشرى سارة للأشاعرة » قالوا: « روى الإمام أحمد بسند صحيح عن الرسول ρ أنه قال: « لتُفتَحنّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » فتحقق هذا الحديث عندما فتحها السلطان محمد الفاتح رحمه الله تعالى وكان أشعريًا يُحبّ الأشاعرة والصوفية »[3].

بشرى غير سارة للأشاعرة

تراجع الجويني والغزالي والرازي عن مذهب التأويل الأشعري وكان يبكي الجويني على فراش الموت وهو يقول: « يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام ».

وكتب الغزالي قبل موته رسالة بعنوان « إلجام العوام عن علم الكلام » ثم يحرم على الناس تأويل صفات الله الذي تميز به الأشاعرة بعد المعتزلة؟

خدعة أخرى

ويعزف هؤلاء أيضًا على وتر آخر عجيب جدًا دعوتهم الناس إلى اعتناق مذهب الأشعري لمجرد أنه يصل نسبه إلى أبي موسى الأشعري الصحابي وهو أن النبي ρ أثنى على أبي موسى الأشعري وأن آية { **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** } قال ρ هم قوم هذا[4].

---

(1) الترمذي رقم 2167 .

(2) رواه أبو داود بإسناد صحيح رقم (3072) .

(3) منار الهدى 32/35 .

(4) مجلة منار الهدى 23/26 .

الأشعري أحال الناس إلى التمسك بمنهج الإمام أحمد فيما رواه عنه الحافظ ابن عساكر أنه قال: « ونحن بما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالفه مجانبون »[1].

ومع أن رسول الله ρ أثنى على أهل اليمن فقد خرج من اليمن أئمة ضلال مثل عبد الله بن سبأ الذي هو أصل انشقاق المسلمين إلى سنة وشيعة إلى يومنا هذا، وكذلك الأسود العنسي مدعي النبوة. ثم لا زالت الآية { **لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** } سنة ماضية سواء في أهل اليمن أو غيرهم. وما أكثر ما يحتج الشيعة بنصوص يدعون بها الناس إلى التشيع مثل « لو كان العلم معلقًا في الثريا لتناوله رجال من فارس ».

قال السبكي: « ولو لم يكن له إلا الحسنتان العظيمتان، وهما: فتح بيت المقدس، وإبادة الفاطميين، وقد علم الناس سيرتهم كيف كانت، وسبّهم للصحابة وفعالهم القبيحة التي لا تعد ولا تحصى من عدم مبالاتهم بأمور الدين وقلة نظرهم إلا في فساد المسلمين »[2].

وكتب ابن الجوزي كتابًا بعنوان (النصر على مصر) أوجب فيه على المسلمين قتال القرامطة وأنهم مرتدون.

كان صلاح الدين أشعريًا ولكن لم يكن الأشعري أشعريًا بل هو حنبلي العقيدة باعتراف كبار أئمة الأشاعرة وأبرزهم السبكي.

نموذج من التعصب المذهبي
تحريم استدبار قبر الشافعي

وقد ابتلي صلاح الدين بمشايخ قمة في التعصب أمثال الخبوشاني. ذكر السبكي أنه: «دخل يومًا القاضي الفاضل وزير السلطان لزيارة الشافعي، فوجده – الخبوشاني شيخ صلاح الدين – يلقي الدرس على كرسي ضيق، فجلس وجنبه إلى القبر، فصاح الشيخ فيه، قم، قم، ظهرك إلى الإمام؟ فقال الفاضل: إن كنت

---

(1) تبيين كذب المفتري 158 وانظر طبقات الشافعية للسبكي 99/3 .
(2) طبقات السبكي 21/7 محققة .

مستدبره بقالبي فأنا مستقبله بقلبي، فصاح فيه أخرى وقال: ما تُعُبِّدنا بهذا. فخرج وهو لا يعقل »[1].

يجب نبش قبور مثبتي صفات الله

قال: « وأخذ الخبوشاني في بناء الضريح الشريف (ضريح الشافعي) وكان ابن الكيزاني رجل من المشبهة مدفونًا عند الشافعي رضي الله عنه فقال الخبوشاني: لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد. وجعل ينبش جثته ويرمي عظامه وعظام الموتى الذين حوله من أتباعه، وتعصبت المشبهة عليهم، ولم يبال بهم »[2].

ثم إن صلاح الدين لم يكن ماتريديًا فبطل ما تزعمونه من كون الماتريدية من أهل الحق. ولو كانوا على الحق لانتمى إليهم صلاح الدين ولنشر مذهبهم كما نشر مذهب الأشعرية.

كيف انتشر المذهب الأشعري

وكان الأشاعرة ينشرون مذهبهم عن طريق الإرهاب الفكري والإلزام بالكفر والردة والتشبيه والتجسيم ولا يتورعون عن الافتراء على خصومهم، فقد حرضوا السلطان ألب أرسلان على شيخ الإسلام الهروي وزعموا أنه مجسم وأنه كان يعبد صنمًا في محرابه. ولكن الله أبطل كيدهم[3].

ولم يكن الأشاعرة يدعون إلى مذهبهم بالحكمة والموعظة والبرهان ولكنهم كانوا يتسلطون على المخالف ويلجأون إلى التعلق بالسلاطين حماية لعقيدته الباطلة، ويتسببون في كثير من الفتن، فقد سجل التاريخ استنجادهم واحتماءهم بالعبيديين الباطنيين لتثبيت عقائدهم والتخلص من خصومهم كما فعل القشيري يوم فتنة بغداد حين صاح هو وأصحابه « يا منصور »

---

(1) طبقات السبكي 15/7 – 17 محققة .
(2) نفس المصدر .
(3) الذيل على طبقات الحنابلة 54/1 – 55 .

يعنون العبيدي الباطني صاحب مصر [1].

الوهابية وهل نجد اليمامة قرن الشيطان

قال رسول الله ρ : ((رأس الكفر قِبَل المشرق))[2].

وقال ابن عمر: قال « سمعت رسول الله ρ يشير بيده نحو المشرق ويقول: ((ها إن الفتنة هاهنا)) »[3].

وقال سالم بن عبد الله بن عمر: « **يا أهل العراق** ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ρ يقول: ((إن الفتنة تجيء من هاهنا)) وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان »[4].

روى أبو نعيم في الحلية عن توبة العنبري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر أن رسول الله ρ قال: ((اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا)) فرددها ثلاث مرات، فقال الرجل: يا رسول الله يا رسول الله: وفي عراقنا؟[5] (وفي رواية عند الطبراني في الكبير 1/201/3) وفي عراقنا؟ فقال رسول الله ρ : ((بها الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان))[6].

وفي رواية عند الطبراني في الأوسط: « وفي مشرقنا فقال: من هناك قرن الشيطان وبه تسعة أعشار [الشر] الكفر وبه الداء العضال ».

ولذا روى مالك في الموطأ (الفتنة هاهنا من حديث يطلع قرن

---

(1) الذّيل على طبقات الحنابلة 1 / 19 – 20 .
(2) مسلم رقم (52) والبخاري (3301).
(3) مسلم رقم (2905).
(4) مسلم رقم (2905).
(5) وهذا يفسر الرواية الأخرى (ونجدنا) كما عند أحمد 118/2 .
(6) رواه الطبراني في الكبير (13422) وأبو نعيم في الحلية 133/6 والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق من طرق عن توبة العنبري عن سالم بن عبد الله عن أبيه. قال الألباني إسناده صحيح على شرط الشيخين (سلسلة الصحيحة 2246 و2494) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد 305/3) رجاله ثقات .

الشيطان) ثم روى أنه لما أراد عمر الخروج إلى العراق قال له كعب الأحبار: « لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين. فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن، وبها الداء العضال »[1].

قال الخطابي: « نجد من جهة المشرق، ومن كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي جهة أهل المشرق »[2].

عن يسير بن عمرو قال: « سألت سهل بن حنيف: هل سمعتَ رسول الله ρ يذكر هؤلاء الخوارج؟ قال: سمعته: وأشار بيده نحو المشرق: ((يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) »[3].

وعند البخاري أن يسير بن عمرو سأل سهلاً: « هل سمعت النبي ρ يقول في الخوارج شيئًا؟ قال: سمعته يقول: وأهوى بيده قِبَل العراق ((يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية)) » (البخاري 6934).

وكذلك عند أحمد في المسند 486/3.

وأكدت الرواية في مسلم أنهم في المشرق « يتيه قوم قِبَل المشرق محلقة رؤوسهم » (مسلم 1068). وهذه الرواية مدرجة عند مسلم تحت باب (باب الخوارج شر الخلق والخليقة).

ماذا فهم الصحابة من أحاديث نجد؟

وقد وصفهم رسول الله ρ بأنهم شرار الخلق وأن علامتهم التحليق كما قال: « يتيه قوم قِبَل المشرق محلقة رؤوسهم » (مسلم 750/2 رقم 1068).

سئل سهل بن حنيف: هل سمعت النبي ρ يذكر الخوارج؟ قال: سمعته. (وأشار بيده نحو المشرق) قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم

---

(1) رواه مالك في الموطأ 975/2 كتاب الاستئذان: باب ما جاء في المشرق ورواه أبو نعيم في الحلية 23/6 وانظر إتحاف السادة المتقين671/9 .
(2) فتح الباري 47/13 .
(3) رواه ابن أبي شيبة في السنة بإسناد صحيح 440/2 .

لا يعدو تراقيهم » (مسلم 750/2 رقم 1068).

قال أبو سعيد الخدري رضي الله: « فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ρ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه » (مسلم 745/2 رقم 1065). قال أبو سعيد: « وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق » (مسلم 745/2 رقم 1065).

ماذا فهم شراح الحديث

وفي البخاري: ((يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) قال الحافظ: « تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج » ونعود للحديث « قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق » قال الحافظ: « قال الكرماني: الخوارج اتخذوا [تحليق الرأس] ديدنًا فصار شعارًا لهم وعُرفوا به »[(1)].

وقال الكرماني في شرحه على البخاري: « هي الأرض المرتفعة من تهامة إلى العراق »[(2)].

ونقل نص الخطابي والداوودي وغيرهما أن نجد هي العراق[(3)].

قال أبو هريرة: « مازلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ρ يقول فيهم: ((هم أشد على أمتي على الدجال)) قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ρ : ((هذه صدقات قومنا)). وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل)) » (رواه البخاري رقم 2543، 219/2).

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تلميذ زاهد الكوثري: « فأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فهو إمام الدعوة غير منازع، وقد كان داعية إلى الله تعالى وقام بالدعوة بحاله ومقاله وعلمه وقلمه، وما كنت في كل حين إلا مقدراً فضله

---

(1) رواه البخاري (7562) وانظر فتح الباري 536/13 – 537 .

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني 168/24 .

(3) فتح الباري 47/13 .

وعلمه وقيامه بالدعوة إلى الله تعالى، تلك الدعوة التي أعطت أطيب الثمرات في إعلاء كلمة الله تعالى وتصفية العقيدة من الشوائب والخرافات، والتي تتجلى آثارها في نشر العلم وكثرة العلماء. وانتشار المعاهد العلمية التي هي من أثر من آثار دعوته الخيّرة كما تتجلى آثارها في مؤازرة الإسلام والمسلمين »[1].

فالعراق هي الجهة التي أشار النبي ρ إليها وفهمها الصحابة هكذا. وشرّاح أحاديث (نجد قرن الشيطان) تحدثوا عن فتنة الخوارج بالعراق، ثم هذا الذي فهمتموه لم يقله حتى سلفكم من الأشاعرة كالسبكي وغيره: من أئمتكم في تفسير هذا الحديث؟ نحن نأتيكم بصريح اسم العراق من البخاري ومن شرحه للحافظ.

ثناء النبي ρ على بني تميم

ـ وإذا كان الأحباش يحتجون بثناء النبي ρ على قبيلة الأشعريين دليلاً على وجوب الأخذ بعقيدة الأشعري ودليلاً على ثناء شخص بعينه: فقد أثنى النبي ρ على بني تميم – ومحمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم[2].

قال أبو هريرة: « ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ρ يقول فيهم: هم أشد على أمتي على الدجال: قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ρ :هذه صدقات قومنا. وكانت سبيّة منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل » (رواه البخاري رقم 2543 219/2).

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تلميذ زاهد الكوثري: « فأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فهو إمام الدعوة غير منازع، وقد كان داعية إلى الله تعالى وقام بالدعوة بحاله ومقاله وعلمه وقلمه، وما كنت في كل حين إلا مقدرًا فضله

---

(1) كلمات في كشف أباطيل وافتراءات 23 .

(2) وهي القبيلة التي قاتلت مع خالد بن الوليد بني حنيفة أيام مسيلمة وأبلوا بلاءً حسنًا .

وعلمه وقيامه بالدعوة إلى الله تعالى، تلك الدعوة التي أعطت أطيب الثمرات في إعلاء كلمة الله تعالى وتصفية العقيدة من الشوائب والخرافات، والتي تتجلى آثارها في نشر العلم وكثرة العلماء. وانتشار المعاهد العلمية التي هي من أثر من آثار دعوته الخيّرة كما تتجلى آثارها في مؤازرة الإسلام والمسلمين »[1].

أحمد بن زيني دحلان

رجل حاقد كذاب مفتر ومخرف وليس (مفتي):

كتبت في دحلان مؤلفات بعنوان:

تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان للشيخ صالح الشثري.

صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان للشيخ علامة الهند محمد بشير السهسواني.

الحق المبين في الرد على اللهابية المبتدعين: للشيخ عبد الكريم فخر الدين.

وحقده على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وراءه كوامن أخرى.

فالدحلان من أهل الغلو في الدين الذين بالغوا في إطراء النبي ρ وتعظيمه حداً يجاوز المشروع. حتى قال فيه شيئاً صرح الحبشي بأنه كفر.

فقد صرح بأزلية النور المحمدي ρ وأن النبي ρ كان نبيًّا قبل وجود آدم بخلاف باقي الأنبياء فإنهم لم يكونوا أنبياء إلا في حال نبوتهم. قال: « فنور النبي لم يزل قائمًا به. حتى إن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم لأن نور محمد كان ظاهرًا على جبهته » (السيرة النبوية والآثار المحمدية 286/2).

مع أن الأحباش صرحوا بأنه من الكفر قول إن محمدًا خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال: { **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ** } (منار الهدى 25/34).

---

(1) كلمات في كشف أباطيل وافتراءات 23 .

فهل يحكم الأحباش بكفر دحلان؟

وزعم أن النبي ρ هو الممدّ لكل إنسان على الأرض. فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الأنبياء.

وزعم أن عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووحد الله بل الأدلة تثبت أنه كان على الحنيفية والتوحيد (السيرة النبوية 12/1 و34) وأن آباء النبي ρ وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر بل كانوا كلهم مسلمين (السيرة النبوية 18/1).

قال: « وجرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذِكر وضعه ρ يقومون تعظيماً له » (السيرة النبوية والآثار المحمدية 24/1).

فبهذا ترى أخي أن الدافع لمعارضة محمد بن عبد الوهاب هو الغلو في الدين ودعوة ابن عبد الوهاب مبنية على الانضباط بضابط الشرع وميزانه من غير غلو ولا إفراط، وهذا ما كان يوصي به النبي ρ دائماً، وهل أهلك المجوس إلا التعظيم، فقد عظموا الله ونزهوه عن أن يخلق الشر حتى جعلوا للشر خالقاً آخر.

وهو مكثر من الكذب ومن أكاذيبه على النبي ρ زعمه أن النبي هذا المزعوم سيخرج في ثاني عشر قرناً في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور: لا يزال يلعق يكثر في زمانه الهرج والمرج، يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم مفخراً، وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه من أكاذيب أحمد بن زيني دحلان (الدرر السنية في الرد على الوهابية ص55).

قال: « والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة » (الدرر السنية في الرد على الوهابية ص50). غير أنه تناقض في كتابه (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام 229) فقال: « وكان – ابن عبد الوهاب – يضمر في نفسه دعوى النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لفعل ».

- كيف كوشف ابن دحلان هذا بما في نفس ابن عبد الوهاب وأي جور وانحراف أعظم من هذا وهو اتهام لشخص بأنه يضمر

في نفسه النبوة؟

نماذج من انحرافه

قال دحلان في كتابه (الدرر السنية في الرد على الوهابية): « روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا إلى قبر رسول الله ρ فاجعلوا منه كوّة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. ففعلوا... فمُطِروا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق ».

وهذا تدليس وكذب، والصواب (سنن الدارمي) وليس صحيح الدارمي، فإن الدارمي لم يجمع ما صح فقط. قال مغلطاي: إن جماعة أطلقوا على مسند الدارمي بكونه صحيحاً... فتعقبهم ابن حجر بقوله: « إني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه ».

وإنما أراد الدحلان باستعمال عبارة (صحيحه) إيهام الناس أن الرواية صحيحة.

قال دحلان: « وفي صحيح البخاري أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ρ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر. قال ρ : ((لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟)) فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله: كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه رسول الله ρ ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان حراماً لأنكر ولم يطلب إنشاده.

أولاً: عزا دحلان هذه الرواية إلى البخاري وليست فيه. وهي تناسبه لأن فيها أن النبي ρ سمع بيت شعر وأقره.

ثانياً: الرواية عن البخاري (1008) هي من قول ابن عمر: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ρ يستسقي:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وجاء في آخر الرواية: « والشاعر أبو طالب » فهل شحت

بكم الأدلة حتى اضطررتم إلى تلقي العقيدة من أبي طالب. ألم يعد عنده (قال الله قال الرسول)؟.

أرأيت هذا المفتري كيف يكذب ليثبت أن النبي ρ سمع بيت الشعر ولم ينكره لكن الله فضح كذبه، فالرواية الأولى عند البيهقي وفيها مسلم الملائي وهو ضعيف.

فثبت أن الدحلان محرف ومخرف ولا تنفع من يتصف بهاتين الصفتين رتبة (مفتي).

قال دحلان: وروى النووي في الأذكار « أن النبي ρ أمر أن يقول العبد: اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل ومحمد ρ أجرني من النار » ولفظه عند النووي فيه اختلاف عما نقله.

ثم نقل عن ابن علان [شارح الأذكار] أنه قال: « خُصّ هؤلاء بالذكر... للتوسل بهم في الدعاء: وإلا: ... فهو سبحانه رب جميع المخلوقات فافهم ذلك أنه من التوسل المشروع » اهـ.

وهذا اختلاق وكذب من دحلان على شارح الأذكار ابن علان. ونضع بين يديك لفظ كلام ابن علان: « إنما خصهم بالذكر وإن كان تعالى رب كل شيء بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة، وكبير الشأن دون ما يُستحقر ويستصغر فيقال له سبحانه: رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، ورب الملائكة ورب المستشرقين ورب المغربين ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة، وعظمة القدرة والملك، ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر، فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنازير، وشبهها على سبيل الإفراد وإنما يقال خالق المخلوقات، وحينئذ تدخل هذه في العموم ».

فأنت ترى ابن علان بريء من هذه الإضافة التي نسبها إليه ابن دحلان.

تحريف آخر من دحلان

وقول دحلان روى النووي [أن النبي أمر] ليس موجوداً في لفظ النووي وإنما اللفظ هكذا: « عن عامر بن أسامة عن أبيه

رضي الله عنه أنه صلى ركعتي الفجر، وأن رسول الله ρ صلى قريباً منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس: اللهم رب جبرائيل... ».

أرأيت كيف يبدل دحلان ويغير من لفظ الحديث؟

يقول دحلان: « وكذا من أدلة التوسل: مرثية صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ρ فإنها رثته بعد وفاته ρ بأبيات فيها قولها:

ألا يا رسول الله أنت　　　وكنت بنا براً ولم تك جافياً

لقد أجرى دحلان تحريفاً في هذا البيت من الشعر. ولقد رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد 39/9) في باب وداعه ρ قال: روى الطبراني بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال: قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ρ :

ألا يا رسول الله **كنت**　　　وكنت بنا براً ولم تك جافياً

وهذا ذكره محب الدين الطبري في "ذخائر العقبى في مناقب القربى" [كنت رجاءنا] وليس [أنت رجاءنا].

هكذا حرّف دحلان بيت الشعر ليقول للناس إن الرسول ρ رجاؤنا في حياته وبعد مماته.

ثم سند هذا البيت فيه انقطاع بين عروة وبين صفية جدته. فقد ولد سنة 29 كما في التهذيب ونحوه أي بعد وفاته ρ بتسع عشرة سنة. ولما كانت مرثية صفية عقب وفاته ρ فتكون ولادته بعد القصيدة بتسع عشرة سنة، وصفية ماتت سنة 20 أي قبل ولادة عروة بتسع سنين. ولهذا فإن عروة لم يدرك جدته صفية، وإن روايته عن أبيه الزبير مرسلة فكيف عن أم أبيه فإنها أيضاً منقطعة ومرسلة.

وزعم دحلان صحة رواية بلال « كان رسول الله إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله... اللهم أسألك بحق السائلين عليك» الحديث. دحلان أن إسناده صحيح. وكيف يصح وقد قال النووي في (الأذكار 58) والحافظ في الأبكار "حديث ضعيف، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي: متفق على ضعفه، وأنه منكر

الحديث ».

يقول في كتابه (السيرة النبوية والآثار المحمدية 12/1 و44): « أن المحققين على أن عبد المطلب ناج لأنه معذور بعدم إدراكه البعثة ». وكذلك يثبت إسلام أبوي النبي ρ والرسول ρ قد صرح بأن أباه في النار وأن الله لم يأذن له أن يزور قبر أمه.

زعم دحلان أن ابن جماعة نقل عن أبي حنيفة استحباب استقبال القبر. قال السهسواني: «راجعت منسك ابن جماعة فلم أجد فيه أثراً لهذا النقل ولعله من أكاذيب صاحب الرسالة » أي دحلان. (صيانة الإنسان 271).

قال دحلان: « قال في المواهب: ورحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجى من بطن السفينة

وما ضرت النار الخليل ومن أجله نال الفداء ذبيح

وقال:

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأنى فرار الخلق إلا إلى

قال دحلان: « وفي صحيح البخاري أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ρ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ρ : لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام ثمال اليتامى عصمة

وهو قد خلط روايتين ببعضهما فأما مجيء الأعرابي فليس عند البخاري وإنما رواه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي وهو متروك. فيه مسلم الملائي قال الحافظ في (التقريب 6641) (ضعيف) (التوصل 301). وأين هذا من قول الله تعالى: { **فَفِرُّوا إِلَى اللَّـهِ** } ثم يأتي قوم ويقرون هذا الشعر الشنيع وقد نقله متعصب متقدم وهو السبكي (شفاء الأسقام 170).

ومن خيانته للأمانة العلمية قوله: « وصح عن بلال بن

الحارث رضي الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة، فصار يقول: وامحمداه، وامحمداه ».
وهذه خيانة للأمانة العلمية وغش للسامعين لاسيما العوام منهم، فكان يجب عليه من باب أدب المناظرة أن يبين لخصمه وجه صحة هذا الأثر الذي يحتج به.
قال الشافعي رحمه الله: « مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري »[1]. فكم يحمل دحلان هذا من أفاع ليسمم بها هذه الأمة فإن كتبه محشوة بالأحاديث الموضوعة ناهيك عن الضعيفة، وقد راجعت كتبه ككتاب السيرة النبوية والآثار المحمدية وكذلك كتبه في الرد على الوهابية حشاها بالأحاديث الباطلة.
ومن كانت هكذا جعبته فليس له عند الله لقب مفتي وإنما هو كذاب. قال رسول الله: ((من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)).
قال دحلان: « وعند غير البخاري أنه ρ قال: أخوف ما أخاف على أمتي رجل متؤول للقرآن يضعه في غير موضعه ».
ولفظ الحديث يا مفتي مكة هكذا: ((أكثر ما أخاف على أمتي...)) في سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو متروك الحديث.

القول في أبوي النبي ρ

وفي مجلة الأحباش وتحت عنوان **"والدا النبي ρ ناجيان"** قال نبيل الشريف: « قال العلماء أن أم الرسول ρ كانت عارفة بالله وأن والديه ρ ناجيان في الآخرة، **ويحتمل** أنهما التقيا ببعض أتباع سيدنا عيسى المسلمين فتعلموا منهم الإسلام »[2].
قال الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي رحمه الله عن

(1) فيض القدير 433/1 .
(2) مجلة منار "الهدى" 16/27-28 .

حديث نجاة أبوي النبي ρ : «قال ابن كثير: حديث منكر جداً »[1].
ونقل السيوطي عن ابن دحية الذي يصفه الحبشي بالحافظ أن الحديث في إيمان أمه ρ وأبيه "موضوع" يرده القرآن العظيم: قال تعالى: { **وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ** }، وقال: { **فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ** }، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة[2].
وقد رجح عامة الأشاعرة نجاة أبوي النبي ρ منهم البيجوري[3] الذي احتج لذلك بالحديث المكذوب: « أن رسول الله ρ سأل ربه أن يُحيي له أبويه فأحياهما فأسلما ثم ماتا»[4]. ومع ذلك قال البيجوري المنحرف: « ولعل هذا الحديث صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف ». وهو قول منه سخيف[5].

ينسبون الظلم إلى الله

وهذا مناقض للمناظرة المشهورة التي جرت بين أبي الحسن الأشعري وبين الجبائي والتي يحتج بها الأشاعرة دائماً وفيها: أنه سأله عن ثلاثة إخوة:
أحدهما كان مؤمناً والثاني كافراً والثالث كان صغيراً.
فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات وأما الكافر ففي الدركات وأما الصغير فمن أهل السلامة.
فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد فهل يؤذن له؟
قال الجبائي: لا لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات.
قال الأشعري: فإن قال الصغير: التقصير ليس مني فإنك ما

---

(1) كتاب أسنى المطالب 51 .
(2) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين 212-213 .
(3) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص29 ط: دار الكتب العلمية .
(4) حكم عليه السيوطي بأنه موضوع كما في اللآلئ الموضوعة 267/1 .
(5) وأسخف منه قوله "من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق" جوهرة التوحيد 153 .

أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

قال الجبائي: يقول الباري: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم. فراعيت مصلحتك.

قال الأشعري: فيصيح أخوه الكافر وأهل النار جميعاً: أفلا راعيت مصلحتنا وأمتنا صغاراً قبل أن نكبر ونعصي؟

وهنا أكمل المناظرة ضد من ينتسبون إلى الأشعري فيقال لهم: وهنا صاح أهل الكفر فقالوا: أفلا أحييتنا ثانية كما أحييت أبوي نبيك فنؤمن كما آمنوا؟

أوردت ذلك لتعلم أن هؤلاء ينسبون بهذا التحيز الظلم إلى الله تعالى.

قال العلامة الحنفي ملا علي قاري تعليقاً على قول أبي حنيفة: « ووالدا رسول الله ρ ماتا على الكفر »[1]. قال: « هذا رد على من قال: إنهما ماتا على الإيمان، أو ماتا على الكفر ثم أحياهما الله تعالى فماتا في مقام الإيقان، وقد أفردت لهذه المسألة رسالة مستقلة »[2].

وقد احتج في رسالته هذه بعبارة أبي حنيفة قائلاً: « ثم هذه المسالة لو لم تكن في الجملة من المسائل الاعتقادية لما ذكرها الإمام المعظم المعتبر في ختم فقهه الأكبر »[3].

وذكر ابن حزم في كتاب (الدرة فيما يجب اعتقاده ص298): « وفي أهل بيته ρ من لا تناله الشفاعة لأنه يخلد في النار كأبويه عليه السلام ».

قال البيهقي بعد أن سرد جملة من الأحاديث تدل على أن أبويه ماتا على الكفر: « وكيف لا يكون أبواه وجدّه بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى

---

(1) الفقه اكبر 130 ط: دهلي 1314 .

(2) أدلة معتقد أبي حنيفة ص 40 .

(3) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام 141 .

ابن مريم ρ »[1].

وقال في السنن الكبرى: « وأبواه كانا مشركين »[2]. واحتج بحديث « إن أبي وأباك في النار ».

قال النووي في شرح هذا الحديث: « فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين »[3].

قال الشيخ ملا علي قاري: « والعجب من الشيخ جلال الدين السيوطي – مع إحاطته بهذه الآثار التي كادت أن تكون متواترة في الأخبار – أنه عدل عن متابعة هذه الحجة وموافقة سائر الأئمة وأورد أدلة واهية في نظر الفضلاء المعتبرين، مستدلاً بحديث ضعيف.. أن النبي ρ قال: « ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فآمنت بي، وردّها الله عز وجل » قال: « وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدّثين كما اعترف به السيوطي »[4].

ثم أبدى تعجبه من ابن حجر المكي الذي صحح الحديث وأن ذلك منه عيب قبيح مسقط للعدالة لأن السيوطي ذكر الاتفاق على ضعف الحديث ونقل ابن كثير عن ابن دحية أنه قال: «هذا الحديث موضوع يردّه القرآن والإجماع »[5].

قلت: فكيف إذا علم احتجاج السيوطي بغيره من الروايات الواهية مثل حديث: « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب » وتعليقه بعد ذلك: « أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ ». ومع اعترافه بضعف الحديث فإنه زعم أن الحديث يتقوى بكثرة طرقه[6].

---

(1) دلائل النبوة 192/1 – 193 .

(2) السنن الكبرى 190/7 .

(3) شرح مسلم 79/3 .

(4) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ρ ص 85 ط: مكتبة الغرباء الأثرية .

(5) أدلة معتقد أبي حنيفة 87 – 88 وانظر تفسير ابن كثير 408/2 .

(6) مسالك الحنفاء في والدي المصطفى ص 24 – 25 (ضمن الرسائل التسع) .

ثم احتج بحديث آخر وهو « أن الله أحيا لي أمي فآمنت بي » (المقامة السندسية 141). قال الذهبي: « لا أدري من ذا الحيوان الكذاب فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له »[1].

ويزداد العجب من السيوطي اعترافه بضعف حديث: « سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها » ومع ذلك احتج بما زعمه ابن شاهين من أن هذا الحديث ناسخ للحديث الذي عند مسلم: ((استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي))[2].

وأكد الشيخ ملا أن هذا الحديث من وضع الرافضة وموضوع على أصولهم الباطلة الذين نسبوا الحديث إلى عائشة تبعيداً عن الظن بوضعهم[3]. وهذا عين ما قاله أبو حيان في (البحر المحيط 47/7) من أن الرافضة هم الذين زعموا أن أبوي النبي مؤمنان مستدلين بقوله تعالى: { **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** } [الشّعراء 219].

وكان الهيتمي يميل بعصبية لا عن علم إلى قول من زعم أن الله أحيا أبوي النبي ρ حتى أسلما[4]، ومعتمده في ذلك الأحاديث غير الصحيحة المخالفة للصحيحة مثل قول النبي ρ : ((استأذنتُ ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي))[5] وقوله لرجل: ((إن أبي وأباك في النار))[6].

وبعد أن تعقب الشيخ ملا علي قاري ما جاء عند الطبري (232/30) عن ابن عباس في قوله تعالى: { **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** }، وفي سنده الحكم بن ظُهير الفزاري، قال يحيى بن

---

(1) ميزان الاعتدال 684/2 .

(2) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين ص 202 ضمن الرسائل التسع .

(3) أدلة معتقد أبي حنيفة 90 و132 .

(4) الزواجر 33/1 .

(5) رواه مسلم (976) .

(6) رواه مسلم (203) باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين .

معين «ليس بثقة» وقال مرة «ليس بشيء، تركوه» وقال البخاري: « منكر الحديث »[1]. انتهى إلى « أن هذه المسألة من الاعتقاديات التي لا بد لها من الأدلة اليقينية لا من الفروع الفقهية التي تغلب على مدارها القواعد الظنية. وأنه لم يقل بهذه المقالة إلا جمع من المقلدين كابن شاهين والخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن المنيّر »[2].

وقد وصف الشيخُ ملا علي قاري السيوطيَ بأنه: « حاطب ليل وخاطب ويل: فتارة يقول إنهما مؤمنان من أصلهما فإنهما من أهل الفترة، وأخرى يقول إنهما كانا كافرين لكنهما أحياهما الله وآمنا، ومرة يقول: ما كانا مؤمنين وما كانا كافرين بل كانا في مرتبة المجانين جاهلين، فيمتحنان يوم القيامة، وبالظن يحكم أنهما ناجيان »[3].

وتعجب من موقف السيوطي والفخر الرازي اللذين اختارا أن أبوي إبراهيم ρ كانا مؤمنين وأن (آزر) الذي ذكره القرآن ليس أبا إبراهيم وإنما عمه ونسبهما لذلك إلى البدعة واصفاً استدلال السيوطي بالاستدلال السقوطي. وهذا تحريف لكلام الله { **يَا أَبتِ** }.

وقد خالف السخاوي قول السيوطي بنجاة أبوي النبي ρ كما نص عليه الصيادي في قلادة الجواهر (ص 422).

وقد نص المرتضى الزبيدي على أن العديد من العلماء المعاصرين للسيوطي وممن جاءوا بعده ردوا عليه ثم قال "والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفياً وإثباتاً"[4]. ولو كان في المسألة علم صريح لما شك الزبيدي وتوقف.

الرفاعيون ميالون للتشيع

---

(1) ميزان الاعتدال 571/1 .
(2) أدلة معتقد أبي حنيفة 133 .
(3) أدلة معتقد أبي حنيفة 133 .
(4) إتحاف السادة المتقين 440/8 .

وبهذا تعلم أن الأحباش أصحاب الطريقة الرفاعية يستدرجون المسلمين بعقائدهم نحو التشيع. فالصيادي الرفاعي المعظم عند الأحباش كتب رسالة سماها (السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب) و(الكنز المطلسم) ذكر فيهما أن أهل البيت كلهم مطهرون وأنهم كلهم في الجنة. وأن أبوي النبي ρ من أهل الجنة، وأن من رماهم بالنقص يكون مؤذياً لرسول الله ρ وبالتالي يكون مقتحماً للكفر[1]. ونقل عن الشيخ كمال الدين الحنفي أن من قال بأنهما في النار فهو ملعون. ولذلك إذا ذكر الصيادي أم النبي ρ قال «رضي الله عنها» وإذا ذكر أباه وصفه بـ »المعظم«[2].

وقد وافقه الشيعة فصنفوا رسائل عديدة في إيمان أبي طالب منها (مؤمن أهل البيت) للخنيزي و(إيمان أبي طالب) للمفيد و(شيخ الأبطح) للحر العاملي قال فيها: « إن الشيعة الإمامية يقولون بإسلام أبي طالب وأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام »[3].

وأما اعتبار الصيادي ذلك انتقاصاً للنبي ρ فالنبي هو الذي قال: ((أبي في النار)) فإن كان ذلك قلة أدب فقد نسبوا هذه الصفة للنبي ρ من حيث لا يشعرون.

وأما من تعمد بذلك إيذاء النبي ρ فإنه يُمنع من ذكر ذلك. كيف لا وقد كان منافق يُكثر من قراءة: { **عَبَسَ وَتَوَلَّى** }، فتوعده عمر على ذلك. وأنه لما تعرض أناس لأبي جهل بعد موته نهاهم النبي ρ عن سب الأموات لأنهم قد أفضوا إلى ما أفضوا إليه.

كيف يحبونه وهم يكذبونه!

وتعجب ممن يدّعون محبته ρ وهم يكذبونه، يقول لهم أبي في

---

(1) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد 4-5 ط: مصطفى أفندي 1307 وانظر النجوم الزواهر 48 لأحمد الرجيبي الحسيني ط: دار الحرية بغداد سنة 1980 .

(2) ضوء الشمس 112/1 .

(3) الأعلام للزركلي 166/4 .

النار فيقولون له ρ : بل قولنا هو الصحيح: إن أباك وأمك في الجنة!

ولكن، ليست هذه المرة الأولى التي يكذب فيها هؤلاء القوم نبيهم من حيث لا يشعرون:

فقد كذبوه حين قال لهم (كل بدعة ضلالة) فقالوا: ليس كل بدعة ضلالة.

وشهد للجارية بالإيمان حين قالت: إن الله في السماء فقالوا: من أصول الكفر اعتقاد أن الله في السماء:

وقال ρ : ((ينزل الله)) فقالوا: لا ينزل، بل ينزل الملك بأمره وليس الله.

وقال: ((إذا سألت فاسأل الله)) فقالوا: إذا سألت فلا تسأل الله فقط. اسأل معه البدوي والرفاعي والجيلاني.

وقال: ((سلوا الله لي الوسيلة)) فقالوا: سلوا النبي ρ الوسيلة. وهكذا لم يوافقوا قول نبيهم ρ.

فتأمل!

عقيدة أبي الحسن الأشعري

أعلن أبو الحسن الشعري أن: « **مذهب أهل السنة والجماعة عدم التأويل**، وأنهم يثبتون لله اليدين والعينين والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك »[1].

قال: « وأهل السنة والحديث يؤمنون أن الله نور كما قال تعالى: { **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** }[2].

وصرح بأن: « وأهل السنة والحديث يثبتون لله اليدين والعينين والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك...» إلى أن قال: « وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب »[3].

---

(1) مقالات الإسلاميين 291.
(2) مقالات الإسلاميين 211.
(3) مقالات الإسلاميين 291.

اعتراف السبكي برجوع الأشعري إلى مذهب أحمد

وقد أكد السبكي هذا الأمر وهو أن الشيخ الأشعري رجع إلى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه «أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل » قال السبكي: هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه[1].

ونقل الحافظ ابن عساكر عنه هذه الجملة[2]. ثم نقل قول الأشعري « فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون».

فبادر الأشعري إلى سرد عقيدته المخالفة لما أورده عن المعتزلة من قبل من أقوال المعتزلة وغيرهم. واثبت لله الاستواء لا الاستيلاء.

نقل الأشعري تأويلات المعتزلة كقولهم: { **اسْتَوَى** } أي استولى على سبيل الإنكار لا الاستحسان. ويدل عليه قوله: « فإن قيل: قد أنكرتم قول المعتزلة »[3].

قال الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال: « **فسلك أبو الحسن طريقًا وسطًا بينهما** »[4].

وسرد الذهبي عقيدة الأشعري وخروجه عن التأويل الذي كان عليه المعتزلة، وقول الذهبي هذا دليل على أن المعتزلة كانوا ينفون الصفات بطريقة التأويل[5].

مراحل الأشعري الفكرية

---

(1) طبقات الشافعية 99/3 أو 236/4 محققة .
(2) تبيين كذب المفتري 150 .
(3) تبيين كذب المفتري 157-158 .
(4) تبيين كذب المفتري ص 150 .
(5) سير أعلام النبلاء 18 : 284 .

ونقل المرتضى الزبيدي عن ابن كثير بيان مراحل أبي الحسن الفكرية وهي على ثلاث:

الأولى: حال الاعتزال التي رجع عنها.

الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق. وهذه الطريقة اتبع فيها عبدَ الله بن سعيد بن كلاب[1].

الثالثة: إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه، جريًا على منهاج السلف، وهذا ما يظهر في كتابه الإبانة[2].

حول كتاب الإبانة للأشعري

استدرك ابن عساكر على ابن فورك مصنفات أخرى للأشعري فاتته مثل رسالة الأشعري إلى أهل الثغر ورسالة الحث على البحث[3]. فلماذا لا تكون رسالة الإبانة من بينها؟.

توثيق ابن عساكر والبيهقي والسبكي كتاب الابانة :

وقد أثبت الحافظ البيهقي[4] صحة نسبته إليه.

وألف الحافظ بن عساكر كتاب (تبيين كذب المفتري فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) نقل فيه فصولاً من كتاب الإبانة للأشعري ثم أكد أن الأشاعرة القدامى لا يزالون يعتقدون في كتاب الإبانة أشد الاعتقاد[5].

ووصف السبكي كتاب التبيين بأنه الكتاب الذي يعتمد على نقله الأشاعرة[6].

---

(1) الخطط للمقريزي 3: 308 .
(2) إتحاف السادة المتقين 2: 4 .
(3) تبيين كذب المفتري 136 .
(4) الاعتقاد 96 و109 .
(5) تبيين كذب المفتري 152 – 158 .
(6) طبقات السبكي 133/1 محققة .

واحتج ابن عذبة بن الحنفية بالكتاب[1].

وصرح أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (توفي 605هـ) « أن كتاب الإبانة هو آخر ما استقر عليه أمر الأشعري فيما كان يعتقده »[2]. وذكر عن إمام القراء أبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي أن الأشعري صنف الإبانة في بغداد لما دخلها[3].

وصرح ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب 303/2) أن كتاب الإبانة هو آخر ما ألفه الأشعري. ويعتمد عليه أصحابه في الذب عنه ضد من يطعن فيه.

وكان المعتزلة يقولون: نؤمن بهذه الصفات لكننا نعتقد أن ظاهرها غير مراد[4].

ونقل أبو الحسن الأشعري تأويلاتهم كقولهم: « نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره »[5].

وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله أن الله: « يقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط وله يدان وكلتا يديه يمين وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، وأنه بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك[6].

وأن النبي ρ شهد بإسلام الجارية لما قال لها: ((أين الله؟ فأشارت إلى السماء))، وأن عرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش ودونه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وأن

---

(1) الروضة البهية 53 .

(2) ذكر ذلك في رسالة ألفها بعنوان رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ص 107 تحقيق الفقيهي .

(3) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ص 115 .

(4) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص 19 .

(5) مقالات الإسلاميين 291 تبيين كذب المفتري 150 .

(6) الغنية لطالبي الحق 54-55 .

للعرش حد يعلمه الله[1]. وأنه ينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو [أي علو المنزلة] والرفعة كما قالت الأشعرية ، ولا على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة[2]. وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعت المعتزلة والأشعرية »[3].

قال الأشعري: « وقالت المعتزلة: **{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }**، يعني استولى »[4].

وقال في رسالته إلى أهل الثغر: « **وليس استواء الله استيلاءً كما قال أهل القدر** »[5] وأهل القدر هم المعتزلة.

وقال أبو منصور البغدادي: « زعمتِ المعتزلةُ أن استوى بمعنى استولى » مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على   من غير سيف ولا دم

قال: « وهذا تأويل باطل »، وهو قول ابن حزم[6].

3 ـ تطابقهم على تأويل النزول

قال أبو الحسن الأشعري: « وقالت المعتزلة: نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره[7].

وحكى البيهقي أن أبا الحسن الأشعري كان يذهب إلى أن الاستواء من صفات الفعل لله، وأن الله فعل فعلاً سماه الاستواء،

---

(1) الغنية لطالبي الحق 56 .
(2) صار هذا القول قول عامة الأشعرية اليوم .
(3) الغنية لطالبي الحق 56 – 57 .
(4) مقالات الإسلاميين 157 و211 التبيين لابن عساكر 150 وانظر رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة 216/1 وشرح الأصول الخمسة 226 ومتشابه القرآن 72 للقاضي عبد الجبار.
(5) ص 233 – 234.
(6) أصول الدين 112 الفِصَل 123/2.
(7) مقالات الإسلاميين 291 وانظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر 150.

وأن (ثم) تفيد التراخي وأن التراخي إنما يكون في الأفعال[1].

أبو الحسن الأشعري والبيهقي والبخاري والحافظ ابن عساكر والكرماني قائلون بقيام الحوادث بالرب كما نص عليه الحافظ في الفتح[2].

واعترف ابن فورك بأن المتأخرين من الأشاعرة ذهبوا إلى تأويل الاستواء بالقهر والغلبة خلاف قول الأشعري والمتقدمين من أصحابه[3].

قال الأشعري: « وقالت المعتزلة: يد الله بمعنى نعمة الله ». وقال أبو منصور البغدادي: «وقالت المعتزلة يد الله معناه: قدرة الله قال: وقولهم باطل »[4] وقال: « وقال **القدرية**[5] يد الله أي قدرته » وقولهم باطل، قال: « وزعم الجُبَّائي من المعتزلة أن يد الله بمعنى النعمة » وهذا خطأ[6].

أما الماتريدية والأشاعرة فقد ذهبوا إلى نفس تأويل المعتزلة كالرازي والأيجي والجويني وشُرَّاح الجوهرة[7].

وهو تأويل بشر المريسي حيث قال: « بأن نزول الله عبارة عن نزول أمره أو نزول رحمته»[8].

قال الأشعري في الإبانة والجويني وابن خزيمة أن فرعون «

---

(1) الأسماء والصفات 152/2.

(2) فتح الباري 439/13 .

(3) الأسماء والصفات 152/2-153.

(4) مقالات الإسلاميين 157 و167 و211 و195 و218 و291 الإبانة 59 تبيين كذب المفتري 150 وأصول الدين 110 وانظر شرح الأصول الخمسة 228 ومتشابه القرآن 231 للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

(5) والقدرية هم المعتزلة.

(6) أصول الدين 110 و111 .

(7) أساس التقديس 162 و166 ومشكل الحديث 98 – 99 والمواقف 298 والإرشاد 155 وجوهرة التوحيد 93 .

(8) انظر رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد 20 وشرح الأصول الخمسة 229 متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي 121.

كذَّب موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السماوات »[1].

ذكر الأشعري أن الجبائي – من المعتزلة – « لا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية، فإن وُجِد في القرآن ما يثبت الفوقية فهو مؤول بالقهر والاستيلاء وأن الله مستول على العباد »[2].

فقد قال الحافظ ابن حجر: « **تنبيه:** وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبَّه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] إلى آخره »[3].

وهذه الرواية أجلُّ عندهم من قوله تعالى: { **أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** }. وهذه الرواية المكذوبة كانت من أعظم ما يحتج به المعتزلة، وذكر الأشعري احتجاج المعتزلة بها وأنها من جملة مقالاتهم[4].

وترتب على هذا الاختلاف: خلاف في صفة الحكمة لله تعالى فهي أزلية بمعنى الإتقان والإحكام كما عند الماتريدي وليست كذلك عند الأشعري[5].

حكمي في الأشعرية

ذكر السيوطي قول مالك: « أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[6].

قال مالك: « لا تجوز شهادة أهل البدع » وذكر حافظ المغرب وفقيهها ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية أبي بكر بن

---

(1) الإبانة 106 رسالة في إثبات الاستواء والفوقية 177/1 ضمن المنيرية والتوحيد لابن خزيمة 114 .
(2) مقالات الإسلاميين 532.
(3) فتح الباري 289/6.
(4) مقالات الإسلاميين 157 .
(5) اللمع للأشعري 38 نظم الفرائد 28 .
(6) ذكره السيوطي في صون المنطق 57 .

خويزمنداد أنه قال معلقًا على قول مالك **(لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء)** قال: « أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، **فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريًا كان أو غير أشعري** ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَر ويؤدّب على بدعته »[1].

وروى السيوطي من طريق أبي عبد الله الحاكم قال: « سمعت أبا زيد الفقيه المروزي يقول: أتيت أبا الحسن الأشعري بالبصرة فأخذت عنه شيئًا من الكلام فرأيت من ليلتي في المنام كأني عميت فقصصتها على المعبر فقال: إنك تأخذ علمًا تضل به فأمسكت عن الأشعري، فرآني في الطريق فقال لي: يا أبا زيد، أما تأنف أن ترجع إلى خراسان عالمًا بالفروع جاهلاً بالأصول، فقصصت عليه الرؤيا فقال: أكتمها على ههنا »[2].

وانتقد ابنُ الجوزي أبا الحسن الأشعري لأنه فتح على الناس بابًا أدى إلى النزاع على العقائد والاختلاف، فتارة قال بقول المعتزلة وتارة يزعم أن الكلام صفة قائمة بنفس الله فأوجبت دعواه أن القرآن مخلوق[3].

وقد تعجب ابن حزم من الأحوال التي يقول بها الأشاعرة: « إن ههنا أحوالاً لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وأن النار ليست حارة والثلج ليست باردة»[4].

ويصف ابن حزم فرقة الأشعرية بالفرقة الضالة[5].

ابن الجوزي يوبخ الأشعري

---

(1) جامع بيان العلم وفضله 2: 96 صون المنطق والكلام للسيوطي 137 مفتاح السعادة 2: 137 وقد حذف طاش كبرى زادة من النص ما يتعلق بالأشاعرة .

(2) صون المنطق والكلام للسيوطي ص76 –77 .

(3) صيد الخاطر 183 .

(4) الفصل في الملل والنحل 117/5 .

(5) الفصل في الملل والنحل 111/4 و117/5 .

قال: « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن إسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذا أن ما عندنا مخلوق »[1].

موقف الجيلاني من كلام الله

وانتقد الشيخ عبد القادر الجيلاني الأشاعرة من أن كلام الله معنى قائم قديم بالنفس[2].

وانتقد ابن الجوزي أبا حامد الغزالي كثيراً وبالأخص القشيري صاحب الرسالة القشيرية وصاحب فتنة بغداد فقال: « وجاء عبد الكريم بن هوازن القشيري وصنف لهم كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء [أي في الله] والقبض والبسط والجمع والتفرقة والصحو والمحو والسُّكْر والشرب والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والحقيقة والشريعة وغير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء »[3].

وقال أبو الفضل أحمد بن الصديق الغماري – أخو عبد الله الغماري – الذي قال عند تفسير قوله تعالى: { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** }: « أما الأشعرية فأنكرت أن تكون لله يد بالمرة، فهم أظلم منهم، وزعموا أن من قال لله يد وعين وقدم: مشبّه ومُجسّم، وحرّفوا معنى قوله تعالى: { **بِأَعْيُنِنَا** } بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضلّ من قال: « قدرتاه مبسوطتان »، فإنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى: { **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** }.

وقال في تفسير قوله تعال: { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** } قال:

---

(1) كتاب صيد الخاطر 181 و183 .

(2) الغنية 60 .

(3) تلبيس إبليس 165 .

« استواءً يعلمه الله تعالى ويجب علينا الإيمان به وتسليم معناه لله ورسوله، لا **استولى** كما يقول **الأشعرية المبتدعة** تعالى الله عن قولهم وعن مذهبهم علوًا كبيرًا »[1].

الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية

علامة الفرقة الناجية عند الحبشي

قال العز بن عبد السلام: « فأصول الدين ليس فيها مذاهب فإن الأصل واحد، والخلاف في الفروع »[2]. وقال هو وابن حجر الهيتمي:« والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده »[3].

وذكر العز بن عبد السلام على أن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات.

أول مسألة اختلف الماتريدية والأشاعرة عليها هي: وجود الله: هل هو عين الذات أم زائد على الذات؟ حكاه المرتضى الزبيدي عن السبكي[4]. بل صار خلافاً بين الأشاعرة أنفسهم فقد قال الرازي بأن وجود الله زائد على ذاته مخالفاً بذلك الأشعري نفسه.

قال الهيتمي: « صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية »[5].

وقد وافق الماتريدية المعتزلة القائلين بأن الله لما كلم موسى

---

(1) كتاب الإقليد في تنزيل كتاب الله علي أهل التقليد ص 46 .

(2) طبقات السبكي 233/8 محققة .

(3) قواعد الأحكام 172 الإعلام بقواطع الإسلام 24 ط: دار الكتب العلمية سنة 1407 والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي 350/2 وحكى الشهرستاني رد الباقلاني على شيخه الأشعري في إثبات الحال (الفصل في الملل والنحل 121/1) .

(4) إتحاف السادة المتقين 95/2 .

(5) فتح المبين شرح الأربعين 78 وانظر فتح الباري 439/13 .

تولى تخليق كلام في الشجرة باعتراف الحبشي الذي قال بأن البيهقي زيف هذا الرأي[1].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: « لقد كان كثيرون يعتقدون أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ليس كبيرًا، ولكن وعند الدراسة العميقة لآراء الماتريدي وآراء الأشعري في آخر ما انتهى إليه نجد ثمة فرقاً في التفكير، بيد أن أحدهما كان يعطي العقل سلطانًا أكثر مما يعطيه الآخر »[2].

في فتاوى الكردري أن الحنفية اتفقوا على عدم جواز الصلاة خلف من يقول من الأشاعرة بأن الإيمان مخلوق بل وتكفيره[3]. ومعلوم أن الأشعرية يقولون بأن الإيمان مخلوق.

قال ابن حزم: « وأبعدهم (أي المرجئة) عن أهل السنة: أصحاب جهم بن صفوان والأشعري ». وقول ابن الجوزي: « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن إسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذا أن ما عندنا مخلوق »[4].

ذكر البيهقي أن الأشعري استشنع هذا القول وأبطله بحجة قوية وهي أنه يلزمه أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة وأن يكون مخلوقًا من المخلوقين قال: **{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ }**[5].

قال الحافظ: « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين إليه.. » [6].

ما هي السنة عند أبي الحسن الأشعري

---

(1) الدليل القويم 71 .
(2) تاريخ المذاهب الإسلامية 176 .
(3) انظر نظم الفرائد وجمع الفوائد ص 43 – 44 للشيخ زادة ط: المطبعة الأدبية بمصر 1317هـ .
(4) كتاب صيد الخاطر 181 و183 وانظر المنتظم 332/6 .
(5) الاعتقاد للبيهقي 96 تحقيق أحمد عصام الكاتب .
(6) فتح الباري 13/ 354 .

قرر الأشعري مذهب أهل السنة والجماعة بأن:

« الحق والصواب ما عليه أهل الحديث الذين يثبتون آيات وأحاديث الصفات، القائلين بأن لله يدين ووجهًا وعينين وسمعًا وبصرًا وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يجيء يوم القيامة كما أخبر، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء **لا يتأولونها** »[1].

و« أننا بما كان عليه الإمام أحمد قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون »[2].

مراحل الأشعري الفكرية

نقل المرتضى الزبيدي عن ابن كثير بيان مراحل أبي الحسن الفكرية وهي على ثلاث مراحل:

الأولى: حال الاعتزال التي رجع عنها.

الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق. وهذه الطريقة اتبع فيها عبدَ الله بن سعيد بن كلاب[3].

الثالثة: إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه، جريًا على منهاج السلف، وهذا ما يظهر في كتابه الإبانة[4].

وهذا ما أكده السبكي وهو أن الشيخ الأشعري رجع إلى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مرارًا في تصانيفه « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل » قال السبكي: «

---

(1) مقالات الإسلاميين 211 و217 و291-295 وأثبت ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء 18: 284 .

(2) تبيين كذب المفتري 158 .

(3) الخطط للمقريزي 3: 308 .

(4) إتحاف السادة المتقين 2: 4 راجع في إثبات كتاب الإبانة صفحة 891 من كتابي هذا .

هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه »[1].

مسائل الخلاف

بين الأشعرية والماتريدية

[1] الماتريدي لا يفرق بين صفات الذات وبين صفات الفعل لله تعالى، فهي عنده كلها قديمة، قال: « والقول بحدوث شيء منها يؤدي إلى القول بتغير الله وهو يؤدي إلى عبادة غير الله »[2]. **بينما يفرق الأشعري** بينهما. وقد اعترف ابن حجر المكي الهيتمي والشيخ ملا علي قاري بهذا الخلاف بين الفرقتين فقالا: « صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية »[3].

وقد أشار ابن عذبة في الروضة إلى أن الماتريدية يخالفون بذلك رأي أبي حنيفة الذي نجده يوافق مذهب **الأشاعرة** في التفريق بين صفات الذات وصفات الفعل كما نقله عنه الطحاوي[4].

وترتب على هذا الاختلاف أيضاً خلاف في صفة الحكمة لله تعالى فهي أزلية بمعنى الإتقان والإحكام كما عند الماتريدي وليست كذلك عند الأشعري[5]. وترتب على ذلك تسوية الأشعري بين الإرادة والرضى. فالله عند الأشعرية يحب الكفر ويرضاه كفرًا معاقبًا عليه. فإن من أراد شيئًا أو شاءه فقد رضيه وأحبه، واعتبر البزدوي ذلك من جملة مخالفات الأشعري لأهل السنة (يريد الماتريدية) الذين يرون المشيئة شيئًا غير المحبة والرضا. حكاه المرتضى الزبيدي. فالماتريدية يذهبون إلى أن الإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة[6].

---

(1) طبقات الشافعية 99/3 أو 236/4 محققة .
(2) التوحيد للماتريدي 53 و108 إتحاف السادة المتقين 158/2 .
(3) فتح المبين شرح الأربعين 78 الفقه الأكبر بشرح القاري 14 .
(4) الروضة البهية 39 لابن عذبة .
(5) اللمع للأشعري 38 نظم الفوائد 28 .
(6) إتحاف السادة 176/2 أصول الدين للبزدوي 245 الروضة البهية 17 .

[2] ذهب الماتريدية إلى أن الواجب تحقق الحقيقة في نفسها بحيث تتنزه عن قابلية العدم. **أما الأشاعرة** فيرون أن الذات مقتضى الوجود[1].

[3] الوجوب عند الماتريدية ليس أمرًا زائدًا على الذات. **وعند الأشاعرة** أن الوجوب أمر اعتباري لا وجود له في الخارج[2].

[4] الماتريدية لا يرون تكليف الله لعباده إلا فيما يقدرون عليه. أما الأشعري فقد أجاز على الله أن يكلف عباده ما لا يطيقونه، فلو أمر الله عبده بالجمع بين الضدين لم يكن سفهًا ولا مستحيلاً، حكاه عنه المرتضى الزبيدي وانتقده عليه. ونقل عن علماء الحنفية أنه خالف بذلك قول أبي حنيفة: « والله لا يكلف العباد ما لا يطيقون » وخالفه **الاسفراييني والغزالي**[3].

وقد نقل الزبيدي عن علماء الأشاعرة بأن التكليف بما لا يطاق جائز عقلاً ممنوع شرعًا[4] وقد خالف الجويني شيخه الأشعري فمنع تكليف ما لا يطاق مع أنه كان يقول به[5].

[5] الماتريدية يرون أن الله يفعل لحكمة تقتضي الفعل، **بينما يرى الأشاعرة** أن أفعاله تعالى على الجواز لا على اللزوم. وألزمهم الماتريدية باعتقاد جواز العبث في أفعاله تعالى[6].

[6] ذهب الماتريدية إلى امتناع أن يخلف الله وعيده ووعده، **وذهب الأشاعرة** إلى جواز إخلاف الله لوعيده[7].

[7] ذهب الماتريدية إلى أن الله لا يفعل القبيح، وقالوا: لا

---

(1) نظم الفرائد 3 .
(2) نظم الفرائد 4 إتحاف السادة المتقين 94/2 .
(3) إتحاف السادة المتقين 181/2-182 نظم الفرائد 25 التوحيد 221 اللمع 68 الإرشاد 236 الروضة البهية .
(4) إتحاف السادة المتقين 183/2 .
(5) البرهان في أصول الفقه 89/1 (فقرة 28) .
(6) نظم الفرائد 27 .
(7) نظم الفرائد 29 .

يجوز ما يقوله الأشاعرة من جواز تعذيب المطيعين وتخليد الأنبياء في النار، وإدخال الكافرين الجنة. **وعلل الأشاعرة** القول بأن الله مالك مطلق يحق له التصرف في عباده كيف يشاء حتى قالوا بجواز عفو الله عن الكافر.

ونقل الزبيدي عن النسفي أن الأشاعرة يرون جواز تخليد الكفار في الجنة وتخليد المؤمنين في النار عقلاً وإن كان ورد الشرع بخلافه[1].

ولقد صرّح الفخر الرازي بقول عجيب حين تناول تفسير قوله تعالى: { **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } وافترض السؤال التالي: كيف جاز لعيسى أن يقول: (وإن تغفر لهم). والله لا يغفر الشرك؟ قال: « يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يُدخَلَ الكفارَ الجنة، وأن يُدخل الزّهاد والعبّاد النار ». قال: وقوله: { **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ** } نقول: إن غفرانه جائز عندنا »[2].

[8] وذهب الماتريدية إلى أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها وأن معرفة الله بالعقل، حتى قال الصدر في التعديل: « كل ما هو واجب عقلاً فهو حسن عقلاً، وكل ما هو حرام عقلاً فهو قبيح عقلاً ومن هنا قالوا أن العقل آلة في معرفة الله وأنه كاف في إلقاء الحجة على صاحبه وإن لم يرسل الله رسلاً. وعلى هذا فكل من لم تبلغه رسالة الأنبياء ولم يؤمن فهو كافر مخلد في النار. **وخالفهم الأشاعرة** في ذلك مستدلين بقوله تعالى: { **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** }»[3] وقالوا: « إن إرادة الله في الشرع مطلقة لا يقيدها شيء، فهو خالق الأشياء وهو خالق القبيح والحسن... ولا عبرة بأوامر العقل، إنما العبرة بأوامر الشارع

---

(1) إتحاف السادة المتقين 185/2 نظم الفرائد 30 وانظر الروضة البهية 32 – 33 إتحاف السادة المتقين 9/2 .

(2) التفسير الكبير للرازي ص12/ 136 .

(3) إتحاف السادة المتقين 193/2 نظم الفرائد 35، الروضة البهية 34-37 إشارات المرام 93 .

الحكيم »[1].

- وترتب على هذا خلاف آخر وهو:

[9] معرفة الله تعالى: هل هي بالعقل أم بالسمع؟ فعند الأشعري بالشرع، وأنه لا يجب إيمانٌ ولا يحرم قبل ورود الشرع. وعند الماتريدي: بالعقل. قال صاحب النونية:

ووجوب معرفة الإله يقول ذلك شرعة الديَّان

والعقل ليس بحاكم لكن له إدراك لا حكم على

وقضوا بأن العقل يوجبها كتب الفروع لصحبنا

- أما الماتريدية فكانوا في مخالفة الأشاعرة أقرب إلى قول المعتزلة بل قولهم وقول المعتزلة على السواء كما ذكر ابن عذبة، إلا أنهم يختلفون معهم في وجوب ذلك على الصبي العاقل غير البالغ: إذا مات بدون تصديق هل هو معذور أم لا؟[2].

[10] الماتريدية يرون وجوب الإيمان بالعقل، ولا يرون زيادة الإيمان ونقصانه. ويحرمون الاستثناء فيه ومن قال آمنت بالله إن شاء الله فهو كافر لأنه شاك في إيمانه. والإسلام والإيمان واحد[3]. **بينما يرى الأشاعرة** وجوب الإيمان بالشرع. والإيمان يزيد وينقص ويجوز الاستثناء فيه. ولا يرونه والإسلام شيئًا واحدًا وإنما أحدهما مغاير[4]. ومن تناقض الأشاعرة أنهم ينصرون مذهب السلف في الاستثناء مع مناصرتهم لمذهب الجهمية في الإيمان، حيث حدوه بالمعرفة أو التصديق، ولكنهم

---

(1) أصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة 55 المسايرة 97 لابن الهمام شرح الفقه الأكبر 137 وتأويلات أهل السنة للماتريدي 444/1 وهذا يلزم منه أن الناس لا يعرفون قبيحًا قبل ورود الشرع، وهذا باطل فالبشرية تعارفت على أمور قبيحة وجاء الشرع بتأكيد قبحها وكذلك العكس وقد قال النبي ρ لحكيم بن حزام: « أسلمت على ما أسلفت من خير » متفق عليه .

(2) الروضة البهية 34 – 37 .

(3) وممن قاله أبو بكر محمد الفضلي الكماري البخاري .

(4) نظم الفرائد 39 و48 الروضة البهية 6 .

يعلقون الإيمان على ما يختم للمرء من العمل ويسمونه بالموافاة أي أن الإيمان « المعتبر هو إيمان الموافاة الواصل إلى آخر الحياة »[1]. وهذا تناقض.

وقد تقدم تبرم السبكي من تكفير جماعة من الحنفية (الماتريدية) للشافعية وفتواهم بعدم جواز الصلاة خلفهم لأنهم أقروا قول القائل (أنا مؤمن إن شاء الله) وأن الشافعية يكفرون بذلك[2]، وحكاه المرتضى في إتحاف السادة المتقين (278/2).

[11] اتفق الماتريدية والأشعرية على الكلام النفسي، لكنهم ما لبثوا أن اختلفوا في سماع موسى كلام الله : هل سمع كلامه القديم أم سمع ما يدل على سماعه؟ فاختار الماتريدي أنه لم يسمع وحملوا نصوص السماع على أن الله خلق صوتًا في الشجرة[3] **وأجاز الأشعري** سماع الكلام النفسي القديم، وذكر ابن عذبة أن أبا الحسن ذكر في كتابه « الإبانة » مقالة أهل السنة والحديث في مسألة الكلام.

واختلفوا: هل إذا كان الله متكلمًا أزلاً بمعنى أنه لم يزل آمرًا ناهيًا وهذا الأمر والنهي متعلق بمكلف معدوم سيوجَد ولم يُخلَق بعد؟ ذهب **الأشعري** إلى ذلك بينما خالفهم الماتريدية، ومخالفتهم للأشعري تبطل نفيهم لصفات الأفعال الإلهية[4].

[12] اتفقت الماتريدية على خلق الله لأفعال العباد ثم اختلفوا: هل لقدرة العبد تأثير؟ فإلى الأول ذهب الماتريدية وإلى الثاني جنحت الأشاعرة. ورأى الماتريدي وجود أثر القدرة للعبد في وصف الفعل، ورأى الأشعري أن كل شيء خاضع قسرًا للقدرة الإلهية المطلقة. واعتبر البزدوي بأن مسألة الأفعال هي من شر المسائل التي خالف بها الأشعري أهل السنة (يريد الماتريدية). وذكر ابن عذبة أن الجويني غلا في إثبات الأثر لقدرة العبد. قال:

---

(1) الفقه الأكبر شرح القاري 118 مشكل الحديث لابن فورك 188 .

(2) فتاوى السبكي 53/1 .

(3) إتحاف السادة 147/2 نظم الفرائد 15 الروضة البهية 50 – 53 .

(4) إتحاف السادة المتقين 149/2 .

« وهذا مذهب المعتزلة » أ.هـ[1].

[13] واختلفوا في مسألة التكوين والمكون، فرأى الماتريدية أن التكوين صفة أزلية والمكون حادث، وهي تغاير بذلك القدرة لتساوي القدرة في جميع المخلوقات[2]. وترتب عليه اختلافهم في أسماء الله الحسنى.

قال صاحب فيض الباري: « والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات، وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين »[3]. فهي عند الأشاعرة سبع وعند الماتريدية ثمانية. قال القاري: « فالصفات الأزلية عندنا ثمانية لا كما زعم الأشعري من أن الصفات الفعلية إضافات، ولا كما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر بكون كل من الصفات الفعلية صفات حقيقية أزلية: فإنه تكثير للقدماء »[4].

غير أن ابن الهمام قد اعترف بأن ما يدعيه الأحناف المتأخرون من أن الصفات الفعلية راجعة إلى التكوين وأنها زائدة على السبع ليس في كلام أبي حنيفة ولا متقدمي أصحابه وإنما حدث هذا القول في زمن الماتريدي[5].

أما **الأشاعرة** فيرون أن التكوين هو عين المكون وهو حادث. قال أبو المعين النفسي: «وقول أكثر المعتزلة وجميع النجارية والأشعرية: أن التكوين والمكون واحد قولٌ محال»[6].

[14] واختلفوا في صفة (كن) التي يخلق الله بها الأشياء، فذهب الماتريدية إلى أنها كناية عن سرعة الإيجاد فهي ليست كلمة على الحقيقة وإنما هي كلمة مجازًا. وذهب الأشعري إلى أن

---

(1) التوحيد 243 العلم الشامخ 226 الروضة البهية 29 – 30 .
(2) البزدوي 69 البداية للصابوني 67 الروضة البهية 39 .
(3) فيض الباري 517/4 للشيخ أنور شاه الكشميري .
(4) الفقه الأكبر شرح القاري 20 .
(5) المسايرة 90 .
(6) التمهيد 29 وتبصرة الأدلة 193 .

وجود الأشياء متعلق بكلامه الأزلي، وأن هذه الكلمة دالة عليه[1].

[15] ذهب الماتريدية إلى أن التوفيق: هو التيسير والنصرة، وذهب الأشعري إلى أن التوفيق هو خلق القدرة على الطاعة[2].

[16] واختلفوا في السعادة والشقاوة هل تتبدلان أم لا ؟ فقال الماتريدية: إن السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد. وسبب إجازة الماتريدي تبدل السعادة والشقاوة: لأنهما من أفعال العباد وليس في تغيرهما تغير لما كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ. واستنكر مشايخ الحنفية مقولة من يمنعون تبدل الشقاوة والسعادة (يريدون الأشعري ومن وافقه) وذكروا أن ذلك يؤدي إلى إبطال الكتب وإرسال الرسل[3] **وخالفهم الأشعري** فقال: إن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه. قال الخاطري: إن الأشاعرة قالوا إن أبا بكر وعمر كانا مؤمنين في حال سجودها للصنم. وأن سحرة فرعون كانوا مؤمنين في حال حلفهم بعزته[4].

[17] اتفقوا على جواز رؤية الله في الآخرة، واختلفوا في الدليل عليه فذهب الماتريدية إلى أن الدليل على ذلك سمعي مستدلاً عليه بالكتاب والسنة. أما الأشعري فيرى أن الدليل عقلي ولم يرتض بعض الأشاعرة رأي إمامهم كالرازي فانحازوا إلى رأي الماتريدية[5].

[18] واختلفوا في صفة البقاء لله: هل هو باق ببقاء زائد على الذات أم أنه باق بذاته لا ببقاء؟ فذهب الأشعري وأكثر أصحابه إلى أن البقاء صفة زائدة على الذات. وأيده بعض الماتريدية في حين ذكر ابن عذبة مخالفة إمام الحرمين والقاضي أبي بكر لرأي

---

(1) التوحيد للماتريدي 49 تأويلات أهل السنة 218/1 الإبانة 25 اللمع 123 نظم الفرائد 19.

(2) نظم الفرائد 24 – 25 .

(3) نظم الفرائد 46 الإبانة 65 الروضة البهية 8 – 11 .

(4) نظم الفرائد 47 .

(5) اللمع 61 المحصل للرازي 178 .

الأشعري. وأرجح الآمدي في أبكار الأفكار أصل قولهما إلى المعتزلة[1].

[19] وذهب الماتريدية إلى أن صفة السمع والبصر تتعلق بما يصح أن يكون مسموعًا ومبصرًا، وذهب الأشعري إلى أنهما يتعلقان بكل موجود، يسمع ويرى في الأزل ذاته العلية ويسمع فيما لا يزال ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية. ورد الشيخ علي القاري ذلك بأنه قول مجرد عن الأدلة وهو بدعة في الشريعة[2].

[20] ذهب الماتريدية إلى أن الإيمان غير مخلوق. وذهب الأشاعرة إلى أنه مخلوق. قال الكردي: « قال الإمام محمد بن الفضل: من قال الإيمان مخلوق لا تجوز الصلاة خلفه. واتفقوا على أنه كافر[3] وبناء على ما نقله الكردي **يصير الأشاعرة** في نظر الماتريدية غير مسلمين فضلاً عن أن يكونوا من الفرقة الناجية!.

وإننا لنعجب حين نجد ابن عذبة وهو يروي لنا أن أول من قال بخلق الإيمان أبو حنيفة نفسه، وأن الخلاف في هذه المسألة ناشئ بين أهل بخارى وسمرقند وكلاهما ماتريديون[4].

[21] واختلفوا في إيمان المقلد فاشترط الأشعري والباقلاني والإسفراييني وإمام الحرمين على المسلم أن يعرف كل مسألة بأدلتها كشرط لصحة إيمانه وإلا كان كما يصفه القشيري: «ساقطًا عن سنن النجاة، واقعًا في أسر الهلاك »[5] **بينما ينكر القشيري** نفسه نسبة هذا القول للأشعري مؤكدًا أن ذلك من

---

(1) مقدمة د. خليف على كتاب التوحيد للماتريدي 19 الروضة البهية 66 أبكار الأفكار 229/1 .

(2) نظم الفرائد 10 – 11 .

(3) نظم الفرائد 43-44 وانظر إتحاف السادة المتقين 283/2 وانظر الفقه الأكبر بشرح ملا علي قاري 120 .

(4) الروضة البهية 71-75 .

(5) نظم الفرائد 40 – 41 . الروضة البهية 21 – 23 .

مفتريات الكرامية على الإمام ويلاحظ كما في الروضة البهية إنكار القشيري نسبة المسائل التي لا تتناسب **ومذهب والأشاعرة** إلى الأشعري. ويعزو هذه النسبة إلى مفتريات الكرامية. ولكن صرح البغدادي بأن الأشعري قال عن المقلد: « خرج من الكفر لكنه لم يستحق اسم المؤمن »[1]. وهذا شبيه بالمنزلة بين المنزلتين التي قررها المعتزلة.

وأفرط بعض الأشعرية كالقاضي ابن العربي والجويني فقالا: « يلزم المصلي عند الإحرام أن يذكر حدوث العالم وأدلته، وإثبات الأعراض، واستحالة قدم الجواهر وأدلة العلم بالصانع، وما يجب لله وما يستحيل »[2].

[22] وأنكر الماتريدية أن يكون الله أرسل رسلاً نساء واشترطوا ذكورة النبي **أما الأشاعرة** فلم يروا ذكورة النبي شرطًا، بل صحت نبوة النساء عندهم بدليل قوله تعالى: **{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى }**[3] [القصص: 7].

[23] واختلفوا في القدرة: هل تصلح للضدين؟ فذهب الماتريدية إلى أنها تصلح للضدين، **وذهب الأشاعرة** إلى أنها لا تصلح للضدين، بل لكل منهما قدرة على حدة[4].

[24] واختلفوا في القضاء والقدر: فالقضاء عند الأشاعرة يرجع إلى الإرادة والقدر إلى الخلق، وعند الماتريدية هما غير الإرادة فالقضاء بمعنى الخلق والقدر بمعنى التقدير خلافًا للأشاعرة[5].

[25] واختلفوا في الأعمال التي حبطت بالردة: هل تعود بعد التوبة منها أم لا؟ فقال الماتريدية لا تعود، **وخالفهم الأشاعرة**

---

(1) أصول الدين 255 منشورات دار الآفاق – لبنان .
(2) الذخيرة للقرافي 136/2 ط: دار الغرب .
(3) نظم الفرائد 49 – 50 .
(4) نظم الفرائد 52 .
(5) إتحاف السادة المتقين 172/2 .

فقالوا تعود[1].

[26] واختلفوا في الكفار: هل يعاقبون على ترك الفروض والواجبات بجانب الكفر؟ فقال الماتريدية: يعاقبون على ترك الاعتقاد دون الفروض **وقال الأشاعرة** يعاقبون على ترك العبادات زيادة على عقوبة الكفر[2].

[27] واختلفوا في توبة اليأس : هل هي مقبولة أم لا ؟ فذهب الماتريدية إلى أنها مقبولة وأن إيمان اليأس غير مقبول. **وذهب الأشاعرة** إلى أن توبة اليأس لا تقبل كإيمان اليأس[3].

[28] وذهب الماتريدية إلى أن الشم والذوق واللمس ليسوا صفة زائدة لله بل هو نوع من العلم في حقه، بدليل أن ذلك الإدراك يهم العروض بأمور حادثة ينزه الله عنها. **وذهب الأشاعرة** إلى أن المماثلة تثبت بالاشتراك حتى لو اختلفا في وصف لا تثبت المماثلة. فاستنكر النسفي ذلك وقال: « لا نقول ما يقول الأشاعرة من أنه لا مماثلة إلا بالمساواة في جميع الأوصاف »[4]. ويا ليتهم طردوا ذلك في غيره من الصفات إذن لبرءوا من مرض التعطيل.

[29] واختلفوا في عصمة الأنبياء: **فمنع الأشاعرة** وقوع الكبائر من الأنبياء مطلقًا، وجوزوا عليهم الصغائر سهوًا، ومنهم من منع وقوع شيء من ذلك مطلقًا كالاسفراييني والقاضي عياض المكي[5] وهم بذلك موافقون للماتريدية.

فهذه بعض ما عند الماتريدية والأشاعرة من الخلاف عدها عبد الرحيم شيخ زادة إلى خمسين مسألة في كتابه نظم الفرائد وقد أثنى المرتضى الزبيدي على صاحب الكتاب واعتمد كتابه[6].

---

(1) نظم الفرائد 56 – 57 .
(2) نظم الفرائد 58 .
(3) نظم الفرائد 59 .
(4) نظم الفرائد 59 .
(5) الروضة البهية 57 و62 .
(6) إتحاف السادة المتقين 12/2 .

التعقيب على الزبيدي

وزعم الزبيدي أنه: « إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية ».

ولكن قبل الأشعري والماتريدي ماذا كان المراد به؟

ثم إن الزبيدي أضاف إلى الماتريدية والأشعرية « الناجيتين » فرقة ثالثة: وهم أهل الكشف الصوفية[1].

فهل هما اثنتان أم ثلاثة؟!

الماتريدي والمعتزلة

قال قبيصة بن عقبة: « كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله في أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار رأسًا في ذلك ثم ترك الجدل ورجع إلى الفقه والسنة وصار إمامًا »[2] وقال أبو حنيفة: «لا حاجة لي في علم الكلام »[3].

وكان يقول لابنه حماد: « يا حماد دع الكلام »[4].

قال البزدوي: « ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا... وإنه كان يُجَوّز تعليمه وتعلّمه والتصنيف فيه ولكن في آخر عمره امتنع عن المناظرة فيه ونهى أصحابه عن المناظرة فيه »[5].

وقال زفر بن الهذيل: « ما أدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسنا وأخذنا عنهم يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم »[6].

من شيوخ الماتريدي: محمد بن مقاتل الرازي قال فيه البخاري: « لأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إلي من أروي

---

(1) إتحاف السادة المتقين 2/6-7 .

(2) عقود الجمان 161 مناقب أبي حنيفة للمكي 53 وانظر أيضًا مناقب أبي حنيفة للكردري 137 .

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 13/ 333 .

(4) مناقب أبي حنيفة للمكي 183 .

(5) أصول البزدوي ص 4 .

(6) رواه السيوطي في صون المنطق 136 عن الحسن بن زياد اللؤلؤي .

شيئًا عن محمد بن مقاتل الرازي »[1].

موقف الشيخ أبي زهرة من الماتريدي

حمل الشيخ محمد أبو زهرة على الماتريدي « صبغته العقلانية » المتمثلة في مبدأ وجوب النظر وموافقته للمعتزلة في العقلانية مثل: « ضرورة النظر ومعرفة الله بالعقل والتحسين والتقبيح العقليين » إلى أن قال: « فآراء الماتريدي أقرب إلى آراء المعتزلة منها إلى آراء الفقهاء والمحدثين، والماتريدي في القسم الذي يلي المعتزلة ». قال: « ولذا كان قول صديقنا المرحوم الكوثري إن الأشاعرة بين المعتزلة والمحدثين، والماتريدية بين المعتزلة والأشاعرة قولاً صادقًا »[2].

قام الدكتور محمود قاسم (في مقدمته على مناهج الأدلة) بتقييم مذهب الماتريدي وانتهى إلى إنه أقرب إلى الاعتزال وأنه لا يتفق في الحقيقة مع الأشعري إلا في مسائل قليلة ليست بالجوهرية[3].

واستنكر محقق كتاب التوحيد (للماتريدي) في بداية الأمر[4] ما قاله الدكتور قاسم، غير أنه عاد واعترف بهذه الحقيقة في مقدمته حيث أثبت تأثره بالمعتزلة في العديد من المسائل.

الماتريدي وتكفير المقلد

وأنكر على الماتريدي تصدير كتاب التوحيد بفصل « إبطال التقليد » على طريق المعتزلة إذ ذكر أن من بلغ الاحتلام ولم يعرف الله بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم.

قال المحقق: « فلا تخرج أقوال الماتريدي عما يقوله المعتزلة

---

(1) تهذيب التهذيب 471/9 .

(2) تاريخ المذاهب الإسلامية 178 أصول الفقه له أيضًا 556 مقدمة الكوثري على تبيين كذب المفتري 19 .

(3) مناهج الأدلة في عقائد الملة 18 و122 .

(4) قدم تحقيق كتاب التوحيد كرسالة دكتوراه في الأزهر بمصر .

وليس بينهما اختلاف إلا في العبارة »[1].

أهل الكلام عند ابن حجر أهل التقليد

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه قائلاً: « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين إليه.. فآل أمرهم إلى تكفير من قلد الرسول ρ في معرفة الله تعالى وكفى بهذا ضلالاً، ويلزم من ذلك إلى القول بعدم إيمان أكثر المسلمين »[2].

ونقل عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في عهد النبي ρ لم يعرفوا إثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقليدًا وإنما اتباعًا[3].

وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون إنما قلدوا به المعتزلة الذين سبقوهم إلى تكفير من لم يعرف الله عن طريق الاستدلال.

قال: « وذهب أبو هاشم من المعتزلة إلى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر »[4].

الاسم والمسمى

ومن المسائل التي خاض فيها الماتريدية مسألة الاسم والمسمى حيث ذهبوا إلى أن الاسم هو المسمى. وقد عد الإمام الطبري الخوض فيها من الحماقات والمتاهات[5] وكان الإمام أحمد يشق عليه هذا الخوض ويكتفي بأن الاسم للمسمى كما قال تعالى: { **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** }.

---

(1) مقدمة كتاب التوحيد 27 – 28 .

(2) فتح الباري 13/ 354 .

(3) فتح الباري 13/ 353 .

(4) فتح الباري 13 /350 .

(5) صريح السنة 26 تحقيق بدر معتوق .

دعوى انتصار للتحسين والتقبيح العقليين كذب واضح

الماتريدية من أكبر المنتصرين للتحسين والتقبيح العقليين حتى أدى ذلك إلى وصفهم بمخانيث المعتزلة. حين ذهب الماتريدية إلى أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها وأن معرفة الله بالعقل، حتى قال الصدر في التعديل: « كل ما هو واجب عقلاً فهو حسن عقلاً، وكل ما هو حرام عقلاً فهو قبيح عقلاً » ومن هنا قالوا أن العقل آلة في معرفة الله. **وخالفهم الأشاعرة** في ذلك مستدلين بقوله تعالى: **{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً }**[1]. وقالوا: «... لا عبرة بأوامر العقل، إنما العبرة بأوامر الشارع الحكيم »[2].

هل يثقون بما قاله الله والرسول

ونسألهم هل عندكم جواب مقنع عن صدور كلام عن الله ورسوله ρ بما يوهم التشبيه عندكم وظاهره كفر. بينما لا يتحدث القرآن ولا السنة ولا الصحابة عن شيء من قواعد التنزيه التي أدخلتموها في أصول الدين؟

قال تعالى: **{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ }**.

{ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }.

وقال رسول الله ρ : ((ينزل ربنا عز وجل في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا)).

((يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه)) (بخاري 7524).

((ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى)) (بخاري 7517).

((فيكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن)).

---

(1) نظم الفرائد 35، الروضة البهية 34 – 37 إشارات المرام 93 .

(2) أصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة 55 المسايرة 97 لابن الهمام شرح الفقه الأكبر 137 وتأويلات أهل السنة للماتريدي 1/ 444 .

((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)) (بخاري 7444).

((لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى قدمه))[1]. وفي رواية: ((فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ)) [2].

((يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك: أين الجبارون أين المتكبرون؟)) وفي رواية:

((يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه ويقول: أن الله. ويقبض أصابعه ويبسطها ويقول: أنا الملك، قال ابن عمر: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ρ))[3].

((أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)).

وسأل الجارية: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، فقال لصاحبها: ((أعتقها فإنها مؤمنة)).

((أن ربنا سميع بصير وأشار إلى عينيه)). وفي رواية: ((أن الله ليس بأعور)) وأشار بيده إلى عينيه (حسنه الحافظ في الفتح 373/13).

((لما خلق الله الرحم تعلقت بحقو الرحمن)).

((فيضحك [الله] في وجوههم)) أي أهل الجنة وفي رواية: ((يتجلى لنا ربنا ضاحكاً)) [4].

أن رسول الله ρ ضحك، فقال الصحابة: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: ((مِن ضحكِ رب العالمين)) [5].

---

(1) رواه البخاري: فتح الباري 368/13 .
(2) رواه البخاري (فتح 595/8) .
(3) رواه مسلم رقم (2788) .
(4) مسلم (316) وابن خزيمة (153) وأحمد 407/4 .
(5) رواه مسلم (187) كتاب الإيمان باب (83) .

((لقد عجب الله – وفي رواية ضحك الله – من فعالكما بضيفكما)).

روايات السلف

عن ابن عباس قال: « الكرسي موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره »[1].

عن مجاهد « ذي المعارج » الملائكة تصعد إلى الله (بخاري).

قول عائشة: « برّأني ربي من فوق سبع سماوات » وقول زينب: « زوّجني ربي من فوق سبع سماوات » وقول عمر عن خولة بنت ثعلب: « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات »؟

الأسماء والصفات بين التأويل والإثبات

المؤولون اعترفوا بأن تأويلاتهم لصفات الله محتملة[2] والماتريدي الذي قال في معرض كلامه عن معنى الاستواء: « ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره » وعرّف التأويل بأنه: «ترجيح أحد المحتملات بدون القطع على الله والشهادة على الله »[3]. والغزالي والرازي اللذان قالا: « التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر »[4]. ومع ذلك تراهم يلزمون الناس بالمحتمل ويوجبونه عليهم كقول الرازي بوجوب تأويل الاستواء بالاستيلاء[5].

---

(1) روا الحاكم 282/2 وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين".

(2) الدليل القويم 47 وانظر تحفة المريد للباجوري 91 إتحاف السادة المتقين للزبيدي 532/4 .

(3) الإتقان للسيوطي 221/2 وكتاب التوحيد ص 74 والمِلَل والنِّحَل للشهرستاني 138/1 إتحاف السادة المتقين للزبيدي 535/4 .

(4) المستصفى 387/1 والرازي في المحصول 232/3/1 .

(5) أساس التقديس 202 .

قال العز بن عبد السلام وابن حجر الهيتمي: « والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده »[1].

وذكر العز بن عبد السلام أن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات[2].

قال أحمد بن إبراهيم الواسطي: « كنت أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيّره، المتململ في تقلبه وتغيره »[3].

فبماذا تفسر قول النبي ρ : ((يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك: أين الجبارون أين المتكبرون؟)) وفي رواية: ((يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه ويقول: أنا الله. ويقبض أصابعه ويبسطها ويقول: أنا الملك))، قال ابن عمر: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ρ ؟[4].

تلا ρ قوله تعالى: { **إِنَّ اللَّـهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** }، قال أبو هريرة: « رأيت رسول الله ρ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. يقرؤها ويضع أصبعيه. قال المقرئ: يعني أن الله

---

(1) قواعد الأحكام 172 الإعلام بقواطع الإسلام 24 ط: دار الكتب العلمية سنة 1407 والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي 350/2. وحكى الشهرستاني رد الباقلاني على شيخه الأشعري في إثبات الحال (الفصل في المِلَل والنِّحَل 121/1).

(2) قواعد الأحكام الكبرى 170 .

(3) النصيحة في صفات الرب جلّ وعلا (ص 18) .

(4) رواه مسلم رقم (2788) .

سميع بصير. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية »[1].

وفي رواية عن عقبة بن عامر قال: « سمعت رسول الله ρ يقول على المنبر: ((إن ربنا سميع بصير)) وأشار إلى عينه »[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « جاء رجل إلى النبي ρ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم: إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك أنا الملك. فرأيت رسول الله ρ ضحك حتى بدت نواجذه [تعجباً وتصديقاً] ثم قرأ: { **مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** }. وحاشا لنبينا أن يُضحكه كفرٌ ثم يقره ولا ينكره.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: { **اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** }، « أي بعين الله تبارك وتعالى ». وفي رواية أنه أشار بيده إلى عينه[3].

وسأل رسول الله ρ الجارية: ((أين الله؟)) قالت: في السماء. فقال لصاحبها: ((أعتقها فإنها مؤمنة)).

{ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** }.

قال القشيري: « الله تعالى نهى العبد في وصفه ما لم يعلمه وإن كان صادقاً في قوله. قال تعالى: { **وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ**

---

(1) رواه أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية 233/4 رقم (4728) وصححه الحاكم 24/1 وقال الذهبي "على شرط مسلم" وحسن إسناده الحافظ ابن حجر 373/13 .

(2) ذكر هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح 373/13 نقلا عن البيهقي في الأسماء والصفات وقال "سنده حسن" .

(3) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 396 واللالكائي شرح أصول السنة 411/3 .

تَعْلَمُونَ } [1].

{ وَذَرُواْ الَّـذِينَ يُلْحِـدُونَ فِـي أَسْـمَآئِهِ سَـيُجْزَوْنَ مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُونَ } [الأعراف: 180]، **{ حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَـمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }** [النمل: 84]، **{ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ }** [يونس: 39].

وكـان الإمـام أحمـد مـع ابنـه عبـد الله فمـرّا علـى قـاصّ يقـص حديث النزول فيقول: « إذا كان ليلة النصف من شعبان ينـزل الله إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال. قال عبد الله: فارتعد أبي واصفر لونه ولزم يدي وأمسكته حتى سكن ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على ربه منك، قل كما قال رسول الله ρ » [2].

ولما سأل رجل مالكاً: « الرحمن على العرش استوى: كيف استوى؟ قال الراوي: فما وجدته غضب من شيء كغضبه من مقالته، حتى علاه الرحضاء (أي العرق) فجعل الناس ينتظرون منه الإجابة. فلما سُرّيَ عنه قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأخاف أن تكون ضالاً: أخرجوه ».

اعترافهم بأنه لا يمكنهم الجزم بأن تأويلاتهم مرادة لله وإنما محتملة كما نص عليه الحبشي [3].

يرى البيهقي التأويل: « غير واجب فحينئذ التفويض أسلم » [4].

وحكى قول ابن فورك وغيره أن المتقدمين منهم لم يفسروا

---

(1) التحبير في التذكير ص73 تحقيق إبراهيم بسيوني ط: دار الكاتب العربي – القاهرة 1968 .

(2) أورد المقدسي هذه القصة في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص110 .

(3) الدليل القويم 47 وانظر التوحيد للماتريدي 74 ورسائل في بيان عقائد أهل السنة لمحمد بن درويش الحوت 35 .

(4) فتح الباري 30/3 .

هذه [أي الصفات] ولم يشتغلوا بتأويلها[1].

واعترف بأن أبا الحسن الطبري – من خواص أصحاب أبي الحسن الأشعري - إلى أن الله في السماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه، ومعنى الاستواء: الاعتلاء، كما يقول: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوت الطير على قمة رأسي، بمعنى: علا في الجو فوجد فوق رأسي، والقديم سبحانه عالٍ على عرشه[2].

قال أبو منصور البغدادي: « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله »[3].

فكل تأويل يتأوله المؤولة من الأشاعرة منقوض بتفويض إخوانهم من الأشاعرة المفوضة، وهو اختلاف جوهري في العقيدة.

ونقل المرتضى الزبيدي قول بعض أهل العلم: « لم يُنقل عن النبي ρ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب التأويل ولا المنع من ذكره[4]، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** }، ثم يترك هذا الباب...» قال: « فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم »[5].

ويعارض الحافظ ابن حجر أيضاً وجوب التأويل وينفي نفياً قاطعاً وجود أي دليل على هذا الوجوب، بل الدليل ثابت على انكفاء السلف عن التأويل واحتج بتوبة الجويني ورجوعه عن

---

(1) الأسماء والصفات 423 محققة 70/2 .
(2) الأسماء والصفات 517 – 518 محققة 152/2 – 153 .
(3) أصول الدين 112 .
(4) أي المنع من وصف الله بما وصف به نفسه أو التحرج من ذلك .
(5) إتحاف السادة المتقين 112/2 .

التأويل[1].

أضاف: « فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لكان اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع » انتهى.

واستحسن الدهلوي هذا الكلام من ابن حجر[2].

قال ابن عباس: « ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء »[3].

قال السيوطي في الحاوي: « المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لا تستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له،... فالمماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها »[4].

وقال العلامة الحنفي ملا علي قاري: « المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات، والتشبيه لا يقتضيه، بل يكفي لإطلاقه المساوات في بعضه » (الفقه الأكبر 114).

كان الجهم يقول: « لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً ». وقال الذهبي: « كان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه »[5].

قال ابن مندة: « وإنما ينفي التشبيه والمثيل: النيّةُ والعلمُ بمباينة الصفات والمعاني، والفرق بين الخالق والمخلوق في جميع الأشياء فيما يؤدي إلى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ... وأن أسماء الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني لحدوث خلقهم وفنائهم، وأزلية الخالق وبقائه، ومنع استدراك كيفيتها: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**

---

(1) وتوبة الجويني ثابتة عند الزبيدي (إتحاف السادة المتقين 109/2) .

(2) فتح الباري 407/13 (حجة الله البالغة 63) .

(3) ذكره المنذري 278/4 بسند جيد (السلسلة الصحيحة رقم 2188) .

(4) الحاوي للفتاوي 273/2 .

(5) الفصل في المِلَل والنِّحَل 109/1 سير أعلام النبلاء 26/6 .

}.[1]

قال ابن جرير: « وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير »[2]:

قال ابن الجوزي: « وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين »[3]. قال تعالى: { **وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ** } [يوسف: 44] ويقول ابن جرير الطبري يقول عند كل آية: « وتأويل الآية عندنا كذا » أي تفسيرها.

{ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ** } [الأعراف: 53] حديث عائشة: « كان رسول الله ρ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي. يتأول القرآن » قال الحافظ ابن حجر: « أي يفعل ما أمر به فيه »[4].

قال ابن شهاب: « وكانوا يتأولون قول الله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** } [الأنفال: 72] قال الحافظ ابن حجر: « أي كانوا يفسرون قوله تعالى (بعضهم أولياء بعض) بولاية الميراث: أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وغيره[5].

قال يعقوب: أول الأمر إلى أهله أي أرجعه إليهم[6].

{ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** } قال مجاهد: « أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله »، وروى ابن قتيبة بسنده عنه قال: « تعلمونه وتقولون آمنا به »[7].

{ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ** } اختار المعتزلة الوقوف على

---

(1) الحجة في بيان المحجة 94/1 .
(2) تفسير الطبري المجلد الثالث ج3 ص123 .
(3) زاد المسير لابن الجوزي 4/1 .
(4) فتح الباري 299/2 .
(5) فتح الباري 452/3 .
(6) معجم مقاييس اللغة 1: 159 .
(7) مشكل القرآن 100 .

الراسخين في العلم وحكى البغدادي موافقة الأشعري لهم بينما اختار البغدادي الوقف على (إلا الله)[1].

وقد نهى الشافعي عن هذا فقال: « القرآن عربي، والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحيل منها ظاهراً إلى باطن إلا بدلالة من كتاب الله تعالى فإن لم تكن فسنة رسول الله ρ... ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله: كان أكثر الحديث يحتمل عدداً من المعاني ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى آخر »[2].

اعترف الكوثري بأن حمل النصوص والآثار على المصطلحات المستحدثة بعد عهد التنزيل بدهور: « بعيد من تخاطب العرب وتفاهم السلف واللسان العربي المبين، ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل السلف الصالح، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد ...»[3].

قال ابن عباس: { **وَجَاءَ رَبُّكَ** } « فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ »[4].

وفي تفسير: { **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** } قال: أي ارتفع إلى السماء[5].

وفي تفسير: { **أأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } قال: أي وهو الله كما رواه عنه ابن الجوزي[6]. وفي رواية ذكرها القرطبي: « أأمنتم عذاب مَن في السماء إن عصيتموه »[7].

---

(1) أصول الدين 223 .
(2) اختلاف الحديث للشافعي المطبوع بهامش كتابه الأم 7/27-28 .
(3) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات 571 .
(4) تفسير الطبري ج30 ص118-120 .
(5) تفسير البغوي 1/78 البقرة آية رقم 29 .
(6) زاد المسير 8/322 .
(7) تفسير القرطبي 17/215 .

وروى البخاري أن ابن عباس قال: « لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء »[1].

قال الزبيدي: « قال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم ». إتحاف السادة المتقين للزبيدي 534/4.

قال ابن عباس: « { **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** } أي: يتأولونه عن غير تأويله » قال الحافظ في الفتح: « بأن تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا ينكر بل موجود عندهم بكثرة »[2].

قال المعتزلة القائلين أخذ نصوص الصفات على ظاهرها كفر[3]. وقالت الجهمية: من أثبت هذه الصفات على ظاهرها فهو مشبّه[4].

أن الشهرستاني ذكر من معاني التعطيل « تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها » وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين[5].

قال الجويني: « ولو ساغ حمل أي لفظ على أي معنى يحتمله دون دليل لأدى ذلك إلى إبطال العمل بظواهر النصوص الشرعية وعدم الثقة بها، ولصار ذلك مدخلاً لكل مبطل للطعن في الشرع بتحريف نصوصه وصرفها عن ظاهرها لمجرد الاحتمال دون دليل »[6].

وأوصى الغزالي المؤول « أن يكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، فإن الحكم على مراد الله ومراد رسوله ρ

---

(1) البخاري: خلق أفعال العباد ص40 .
(2) فتح الباري 524/13 .
(3) متشابه القرآن لعبد الجبار المعتزلي 19 .
(4) فتح الباري 407/13 .
(5) نهاية الاقدام 123 و127 .
(6) البرهان في أصول الفقه للجويني 516/1 .

بالظن والتخمين خطر... فالتوقف في التأويل أسلم »[1].

قال الله: « يا ابن آدم: مرضتُ فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تُطعمني. قال: يا رب، وكيف أطعمُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما إنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي »[2].

هلا نزهتم الله عن الكذب؟

قال الرازي بأن: « الحكمة مراعاة أحوال العوام في أول أمرهم فيخاطبون بما يدل على التجسيم والتحيز والجهة لأن ذلك يناسب ما تخيلوه وتوهموه »[3].

قال الرازي: « إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغاً عظيماً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء! وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل »[4].

قال التفتازاني: « فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة [يعني نفي علو الله على عرشه وفوقيته] فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك **من غير أن يقع في موضع واحد تصريح بنفي ذلك »**[5]؟

أجاب التفتازاني بأنه: « لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصُر

---

(1) قانون التأويل 240 – 241 .

(2) رواه مسلم (2569) .

(3) أساس التقديس 192 التفسير الكبير 172/7 وانظر الباز الأشهب لابن الجوزي ص38 إتحاف السادة المتقين 181/10 .

(4) المطالب العالية 213/9 .

(5) الحمد لله أن التفتازاني أقر السائل على عدم وجود ذلك .

عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة: **كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب إلى إصلاحهم والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه**، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمة الحدوث »[1].

{ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ } وهؤلاء ينتهون إلى أنه يأتيه الباطل من ظاهره.

زعم أبو منصور البغدادي الأشعري أن المسلمين وأهل الكتاب اتفقوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها. واعتبر من أصول الإيمان: اعتقاد أن الله بسط الأرض ولذلك سماها بساطاً خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أن الأرض كرية غير مبسوطة (أصول الدين 60 و124).

نقل الحافظ عن ابن المنير أنه قال: « أن لأهل الكلام ثلاثة أقوال في موقفه من صفات الله:

1) أنها صفات ذات أثبتها السمع (أي الشرع) ولا يهتدي إليها العقل.

2) التأويل: أن العين كناية عن البصر وأن اليد كناية عن القدرة.

3) إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها إلى الله[2].

تعرض الجويني والغزالي لقاعدة قياس الشاهد على الغائب بالنقد الشديد لعدم فائدة ذكر الشاهد في إثبات حكم للغائب[3].

اعترف الحبشي بأن: « منشأ التخبط والوهم هو إعطاء الحق

---

(1) شرح المقاصد 50/2 وقد زعم أنه رأى النبي ρ يقظة فتفل النبي في فمه فتضلع علماً ونوراً (شذرات الذهب 321/6) وكتبه تدل على أنه تضلع فلسفة وجدلاً .

(2) فتح الباري 390/13 .

(3) البرهان في أصول الفقه للجويني 104/1 معيار العلم للغزالي 135 المنخول 57 .

تعالى حكم الشاهد »[1].

تحريف معاني الصفات من عمل اليهود

قال الحافظ ابن حجر: « قال ابن عباس: { **يُحَرِّفُونَ** }: يزيلون، وليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله، ولكنهم يحرّفونه: يتأولونه عن غير تأويله » وصرّح الحافظ **بأن تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا ينكر بل موجود عندهم بكثرة**[2].

قال الألوسي[3] في قوله تعالى: { **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** } أي يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلاً فاسداً حسب أغراضهم. « وإلى ذلك ذهب ابن عباس والجمهور على أن تحريفها تبديل كلامٍ من تلقائهم ».

ويدحضه قول الجويني: « وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل... والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقلاً اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع »[4].

قال الحافظ ابن حجر: « إن السلف لم يخوضوا في صفات الله لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تُعلم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده ».

وقال: « طريق السلف أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله »[5].

قال النووي أن مذهب السلف عدم تأويلها. وأن مذهب الخلف تأويلها على ما يليق بالله[6].

ونقل المرتضى الزبيدي عن القشيري اعترافه أن من السلف « الشافعي ومالك وأحمد والمحاسبي والقلانسي اختاروا عدم

---

(1) إظهار العقيدة السنية 110 .
(2) فتح الباري 524/13 .
(3) تفسير الألوسي 298/1 .
(4) الرسالة النظامية 23 .
(5) فتح الباري 13: 350 و596/8 .
(6) شرح مسلم للنووي 36/6 .

التأويل للمتشابهات » وأن أحمد سد باب التأويل على الإطلاق[1] كما نقل عن والد الجويني أن طريقة كثير من السلف كابن عباس وعامة الصحابة الإعراض عن الخوض في التأويل[2].

قال الحافظ في (الفتح 407/13): « وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: الذي صرح بأن أئمة السلف ذهبوا إلى الانكفاف عن التأويل ». و« مذهب السلف إجراء الصفات على ظاهرها دون تأويل » (النظامية 21-24).

حكى الشهرستاني عن أحمد والسلف المتقدمين أنهم قالوا: « لا نتعرض للتأويل »[3].

قال ابن خزيمة: « وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله تعالى: { **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** }، أي النعمتان، وهذا تبديل لا تأويل »[4].

قال الطحاوي: « وكل ما جاء من الحديث الصحيح عن الرسول ρ فهو كما قال وعلى معنى ما أراد: **لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا** ولا متوهمين بأهوائنا، وأن التأويل المعتبر **ترك التأويل ولزوم التسليم فإنه ما سَلِم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله ρ . ولا تثبُت قدم الإسلام** إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام عِلْمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُه، ولم يقنع فهمُه بالتسليم: حجبه مُرامُه عن خالص التوحيد فيتذبذب بين الإيمان والكفر[5].

(استوى أي استولى) اعترف ابن فورك بأنه « قول مخالفينا »[6] أي المعتزلة.

---

(1) إتحاف السادة المتقين 12/2 و79 .

(2) إتحاف السادة المتقين 110/2 غير أنه اتهم السلف بالتفويض ورد عليه القشيري كما في نفس الصفحة .

(3) المِلَل والنِّحَل 1: 137 – 138 .

(4) كتاب التوحيد لابن خزيمة 197/1 .

(5) انظر متن العقيدة الطحاوية في كتاب إظهار العقيدة 252 ، 426 .

(6) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري ص 325 .

قال ابن الجوزي "سموا بالباطنية لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والحديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر"[1].

نعيم بن حماد: « من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه »[2].

- قال الغزالي: « إن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** »[3].

صرح الغزالي بأن صرْف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة يعتبر من الطامات، فإن الباطن لا ضابط له وإنما تتعارض فيه الخواطر والعقول، ويمكن تنزيله على وجوه شتى. وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر[4].

الكوثري طعن في ابن فورك وصرح بأن تأويلاته من قبيل تأويلات الباطنية[5].

قال الحافظ في الفتح: « وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله » وتكرر قوله بأن: « صاحب التأويل ليس جازماً بتأويله ». واحتج المرتضى الزبيدي بهذه العبارة[6].

اعترف به الفخر الرازي معتبراً أن التأويل ترجيح، والترجيح ظن والظن لا يُعوَّلُ عليه في المسائل الأصولية القطعية[7] وقال الشعراني: « إن الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي

---

(1) تلبيس إبليس 102 ط: دار الفكر 1368 .
(2) سير أعلام النبلاء 610/10 أصول أهل السنة للالكائي 532/3 .
(3) إلجام العوام عن علم الكلام 96 و107 و108 ط الجندي .
(4) إحياء علوم الدين 37/1 .
(5) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات 452 ط: دار الكتب العلمية .
(6) فتح الباري 353/13 و383 وانظر إتحاف السادة المتقين 112/2 .
(7) التفسير الكبير للرازي 7: 169 .

أنزلـه، لا بمـا أوَّلنـاه بعقولنـا، فقـد لا يكـون التأويـل الـذي أوَلنـاه يرضاه الله تعالى »[1].

{ **حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** } [النمل: 84] { **أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } [الأعراف: 28].

الأصـل فـي الألفـاظ الحقيقـة ولا يُعدَل عنـه إلا بـدليل وحملهـا على غير ظاهرها يعتبر إخراجاً لها من أصلها إلا بدليل، وهذا متفق عليه بين الأشاعرة والماتريدية[2].

قـال ابـن عبـد البـر: « أهـل الـسنة مجمعـون علـى الإقـرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحمْلها علـى الحقيقـة لا المجـاز، إلا أنهـم لا يُكيِّفـون شـيئاً مـن ذلـك، ولا يحدون فيه صفة مخصوصة »[3]

قـال الجـويني للأشـاعرة: "إذا كنـتم أثبـتم الـصفات الخبريـة بظـواهر الآيـات فيلـزمكم أن تثبتـوا بقيـة الـصفات كالاسـتواء والنزول والجنب بظواهر النصوص »[4].

قال الجويني: « فإن قالوا في الاستواء: شبّهتم، قلنا لهم: في السمع شبّهتم، ووصفتم ربكم بالعرض... فجميع ما يلزموننا به في الاستواء والنزول... من التشبيه: نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم... فإن فهموا من هذه الصفات ذلك فيلزمهم من الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض »[5].

حجة التركيب والتجسيم من شبهات الفلاسفة حكاها الغزالي عن الفلاسفة وأبطلها في كتابه قائلاً: « قول القائل: كل تركيب يحتاج إلى مركب كقوله: كل موجود يحتاج إلى موجد، وإذا أثبتم

---

(1) اليواقيت والجواهر 1: 106 .

(2) الطراز 77/1 المحصول للرازي 47/1/1 تيسير التحرير 46/2 وانظر شرح الأصول الخمسة 735 .

(3) التمهيد لابن عبد البر 7: 145 .

(4) الإرشاد للجويني 157 – 158 .

(5) رسالة في الاستواء والفوقية 182/1 ضمن الرسائل المنيرية .

ذاتاً وصفة وحلولاً للصفة بالذات فهذا تركيب »[1]، وعقد الجويني في الشامل (ص 414) فصلاً حول تبني المعتزلة لحدوث الأجسام وبين فيه عجزهم عن نصب الأدلة على استحالة كون القديم جسماً. وبين الرازي فساد هذا الدليل في المباحث الشرقية والمطالب العالية.

نقل شارح الفقه الأكبر عن الإمام الطحاوي قوله: « ولا يقال إن الرضى إرادة الإكرام والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفيٌ للصفة... ». ثم توجه الشارح إلى من تأوَّل هذه الصفات قائلاً: « لماذا تأولتَ الغضب بإرادة الانتقام والرضى بإرادة الإنعام؟ فلابد أن يقول: لأن الغضب غليان القلب، والرضى: الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى. فيقال له: وكذلك لإرادة والمشيئة فينا هي ميل الحي إلى ما يلائمه ويناسبه، فالمعنى الذي صرفتَ إليه اللفظ كالمعنى الذي صرَفْتَه عنه سواءً »[2].

قال الشافعي: « إني قد اطّلعتُ من أهل الكلام على التعطيل »[3].

وقال: « نثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** } » هكذا رواه عنه الحافظ في الفتح[4].

وقال: «السنّة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء»[5].

---

(1) تهافت الفلاسفة 176 .
(2) الفقه الأكبر شرح ملا علي القاري 34 – 35 .
(3) سير أعلام النبلاء 38/10 .
(4) فتح الباري 407/13 .
(5) عون المعبود 41/13 و47وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة بإسناده المتصل إلى الشافعي 283/1 .

وروى الحافظ ابن حجر عن الشافعي أنه قال: « لله أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابُه، وأخبر بها نبيُّه ρ أمّتَه لا يسع أحداً ردّها. فمن خالف في ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل[1]، لأن عِلْمَ ذلك لا يُدرك بالعقل، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه، كما نفاه عن نفسه فقال: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } »[2]. وهذا يبطل دعواهم «الصفات العقلية» التي تثبت بالعقل. فإن السمع هو الدليل والأصل على ما نثبته من الصفات لا العقل.

وسئل ابن المبارك حديث النزول – كيف ينزل؟ أجاب: « ينزل كيف يشاء »[3].

قال أبو نصر السجزي: « وأئمتنا كسفيان ومالك والحمّادَيْن وابن عيينة الفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وعلمه بكل مكان وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء »[4].

وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في كتابه الغنية[5] أن الله « يقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط وله يدان وكلتا يديه يمين وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، وأنه بجهة العلو مستو على العرش. محتو على الملك. وأن النبي ρ شهد بإسلام الجارية لما قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء ، وأن عرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش ودونه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وأن

---

(1) وهذا موقفنا في مسائل الأصول لا كما يدعي الخصم المفتري أننا متهورون في التكفير. حيث يستعجل في كيل الاتهامات وقد جهل أنها تحرقه وتسرع في كشفه .

(2) فتح الباري 407/13 سير أعلام النبلاء 80/10 .

(3) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 569 نسخة حيدر 198/2 – 199 .

(4) سير أعلام النبلاء 656/17 .

(5) أثبت المرتضى الزبيدي نسبته إليه (انظر إتحاف السادة المتقين 242/2 و249) .

للعرش حداً يعلمه الله»[1].

وأنه ينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكراميّة، ولا على معنى العلو [أي علو المنزلة] والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة[2].

« وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعت المعتزلة والأشعرية »[3]. وإنما أخذ **الجهمية** التأويل عن الفلاسفة والباطنية، وتلقاه المعتزلة عن الجهمية.

قال ابن عساكر وغيره: « وقد أخذ الجعد بن درهم[4] بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيانٌ عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها طالوت عن لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر النبي ρ وأخذها لبيد عن يهودي بالمدينة[5].

وقال الشهرستاني: « كان واصل بن عطاء يَشرَع في نفي الصفات على قول ظاهر، وإنما شَرَعَتْ أصحابُه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة »[6].

وأعلن أبو الحسن الأشعري أن: « مذهب أهل السنة والجماعة عدم التأويل، وأنهم يثبتون لله اليدين والعينين،[7]

---

(1) الغنية لطالبي الحق 54 – 55 و56 .

(2) صار هذا القول قول عامة الأشعرية اليوم .

(3) الغنية لطالبي الحق 56 – 57 .

(4) وهو من رؤوس الجهمية قال له وهب بن منبه "إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً وأن له عيناً ما قلنا ذلك". (سير أعلام النبلاء 433/5) .

(5) البداية والنهاية لابن كثير 350/9 .

(6) المِلَل والنِّحَل 46/1 وانظر 30/1 .

(7) وقوله: والعينين يؤكد أنه لا يتأول هذه الصفة لأن الذي يتأولها لا يثنّيها وإنما يجعلها كناية عن الرؤية .

والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك »[1].

وسرد الذهبي عقيدة الأشعري[2].

غير أن المنتسبين إليه من بعده يتجاهلون ما انتهى إليه حال الأشعري رحمه الله من إثبات ما أثبته الله رسوله. ويجهلون حقيقة عقيدة المعتزلة في كثير من كتبهم ومن هنا خفي على الأشاعرة المتأخرين التأويلات المتقدمة للمعتزلة فتبيّنوا تأويلاتهم ودافعوا عنها معتقدين أنها تأويلات أهل السنة بينما هي عين تأويلات المعتزلة.

نص أحمد على أن جهم بن صفوان كان « يتأول القرآن على غير تأويله »[3]. فأثبت له تأويل الصفات لا جحودها.

وذكر المرتضى الزبيدي أن المعتزلة «تصرفوا في الألفاظ بمقتضى عقولهم فأولوا وبدلوا»[4]. ولو أن المعتزلة نفوا الصفات وردوها نصاً لما اختلف في كفرهم **وحكى العلامة الحنفي الشيخ ملا علي قاري في شرح الفقه الأكبر (ص 139) أن الصحيح من الأقوال عدم تكفير المعتزلة** .

مراحل أبي الحسن الأشعري الفكرية

وقد نقل المرتضى الزبيدي عن ابن كثير بيان مراحل أبي الحسن الفكرية وهي على ثلاث مراحل:

الأولى: حال الاعتزال التي رجع عنها.

الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق. وهذه الطريقة اتبع فيها عبد الله بن سعيد

---

(1) مقالات الإسلاميين 291 وهذا الكتاب أثبته الحافظ ابن عساكر من جملة كتب الأشعري (التبيين 131) .

(2) سير أعلام النبلاء 18: 284 .

(3) الرد على الزنادقة والجهمية 66، وقد أقر الحافظ ابن حجر بنسبة الكتاب إلى الإمام أحمد (انظر الفتح 493/13) .

(4) إتحاف السادة المتقين 87/2 .

بن كلاب[1].

الثالثة: إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه، جرياً على منهاج السلف، وهذا ما يظهر في كتابه الإبانة[2].

اعتراف السبكي برجوع الأشعري إلى مذهب أحمد

أكد السبكي أن الشيخ الأشعري رجع إلى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل » قال السبكي: هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه[3].

حول كتاب الإبانة للأشعري

الحافظ ابن عساكر والحافظ البيهقي أثبتا[4] صحة نسبة كتاب الإبانة. وأكد ابن عساكر أن الأشاعرة القدامى لا يزالون يعتقدون ما في كتاب الإبانة أشد الاعتقاد، وأنه لا يزال كتاب الإبانة مستَصوباً عند أهل الديانة[5].

قلت: إلا عند الأشاعرة المتأخرين.

قال الحافظ ابن عساكر وأنشدني بعض أصحابنا [في الثناء على الإبانة]:

لو لم يصنّف عمره غير الإبانة واللمع

لكفى، فكيف وقد تفنّن في العلوم بما جمع

وحكى ابن عساكر عن أبي عثمان الصابوني النيسابوري

---

(1) الخطط للمقريزي 3: 308 .

(2) إتحاف السادة المتقين 2: 4 .

(3) طبقات الشافعية 99/3 أو 236/4 محققة.

(4) الاعتقاد 96 و 109 .

(5) تبيين كذب المفتري ص388 وهذا الكتاب قال فيه المرتضى الزبيدي « من أراد معرفة قدر الأشعري وأن يمتلئ قلبه من حبه فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري وهو من أجل الكتب وأعظمها فائدة » (اتحاف السادة المتقين 4/2) طبقات السبكي 351/3 محققة.

قال: ما كان يخرج إلا وبيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به[1]. وإنما يحي ابن عساكر والصابوني ما انتهى إليه الأشعري من الاعتقاد على وجه التمدح والثناء على عقيدته.

- كذلك احتج ابن عذبة من الحنفية بالكتاب[2].
- وأثبته المرتضى الزبيدي في كتابه إتحاف السادة المتقين (4/2).
- وكذلك أثبت الذهبي نسبة كتاب الإبانة للأشعري قائلاً: « وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه الإمام محيي الدين النووي بخطه »[3].

ما اضطر الكوثري للاعتراف بصحة نسبته إليه غير أنه زعم في تعليقاته على تبيين كذب المفتري أن أبا الحسن كان يساير به الحنابلة ويستدرجهم[4].

---

(1) تبيين كذب المفتري ص389 .
(2) الروضة البهية 53 .
(3) مختصر العلو للذهبي 239 .
(4) تعليقاته على تبيين كذب المفتري 392 وهو جهمي متأخر طعان في السلف والخلف ولعل من المفيد (انظر كتاب بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري) لأحمد الغماري وهو عدو له ولكنه كوثري على نمط الكوثري. تحدث الغماري عن الكوثري في (بدع التفاسير 180-181) فوصفه بأنه متعصب شديد للحنفية حتى قال عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض (مجنون أبي حنيفة) وكان الكوثري يطعن في أئمة الحديث فاتهم الحافظ ابنَ حجر بأنه كان يتبع النساء في الطريق ويتغزل بهن وأنه رمى أنس بن مالك بالخرَف لأنه روى جدياً يخالف مذهب أبي حنيفة وأنه حاول تصحيح حديث موضوع لمجرد أن فيه البشارة بأبي حنيفة". وكشف حسام الدين القدسي ظلماته في مقدمته لكتاب الانتقاء وكذلك رد عليه محمد العربي التبان في رسالة بعنوان (تنبيه الباحث السري).
وكان الكوثري طعاناً في أئمة السنة وحملة رايتها. فقد كفّر الدارمي وعبد الله بن الإمام أحمد (مقالاته 324 و332) وحكم على كتاب التوحيد لابن

وقال ابن معين وأحمد: « إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام »[1].

وذكر المرتضى الزبيدي أن المعتزلة « تصرفوا في الألفاظ بمقتضى عقولهم فأولوا وبدلوا»[2].

وقد أنكر أعرابي أن يكون ابتاع النبي ρ منه فرساً وطلب شهوداً على ذلك فقدم خزيمة الأنصاري وقال: أنا أشهد أنك بايعته يا رسول الله، فقال له النبي ρ بِمَ تشهد؟ قال بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي ρ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[3].

قال الحافظ عند شرح حديث ((إن الله يمسك السماوات على إصبع)): « وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمله الإصبع ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان »[4].

خزيمة بأنه "كتاب الشرك" (تأنيب الكوثري 29 مقالات الكوثري 330 تبديد الظلام 108).

طعن في حماد بن سلمة ووصفه "بأنه مشبّه وأداة صماء في أيدي المشبهة" (تأنيب الكوثري) مع أن أئمة السنة مدحوا حماد بن سلمة، قال ابن المبارك: "ما رأيت أشبه بمسالك الأوَل من حماد بن سلمة" (تهذيب الكمال 262/7 تهذيب التهذيب 12/3) ووصف الإمام الشوكاني بأنه "يهودي مندس بين المسلمين لإفساد دينهم" (مقالات الكوثري 337-338) بالرغم من وصفه لنفسه بأنه "ليس ممن يجري على لسانه النبز باليهودية في الخطاب لا للأصضداد ولا للأحباب" (الترحيب 296) بينما يدافع عن أئمة الزندقة كجهم بن صفوان متهماً الآخرين بالتعصب ضدهم (مقدمة الكوثري لتبيين كذب المفتري 12) وموقف أبي حنيفة مناقض تماماً لموقف الكوثري من جهم فقد قال: "جهم بن صفوان كافر" تاريخ بغداد 382/13).

(1) تهذيب الكمال 263/7 تهذيب التهذيب 15/3 تذكرة الحفاظ 203/1 زد على ذلك أنه محرف، فقد حرف الأثر المروي عن مالك "الكيف مجهول والكيف غير معقول" أثناء تعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي (516) وبمقارنتها مع طبعة المحقق حيدر (151/2) تجد التضارب.

(2) إتحاف السادة المتقين 87/2 .

(3) رواه أحمد 216/5 وأبو داود (3607).

(4) فتح الباري 398/13 .

الأمر الذي حدا بالكوثري إلى نقده مرات عديدة قائلاً: « وابن فورك كثيراً ما يطيش سهمه في باب التأويل ويحاول أن يؤول كل ما استدل به المشبهة "ثابتاً أو غير ثابت" »[1].

قال ابن فورك:

1 - « أن الله تعالى لما قضى خلقه، استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى. قال: «فيه وجهان من التأويل » (مشكل الحديث وبيانه 120-121).

2 - « أن الله إذا أراد أن يخوف أهل الأرض أبدى عن بعضه » قال: « يحتمل أن يكون المراد بقوله "أبدى عن بعضه" أي عن بعض آياته » (مشكل الحديث وبيانه 254).

3 - « ساعد الله أشد من ساعدك وموساه أحدّ من موساك »[2]. قال ابن فورك: « أي أمره أشد من أمرك... وأما قوله (وموساه أحد من موساك) لما كانت الموسى آلة للقطع عبر عن القطع بالموسى » (مشكل الحديث وبيانه 257).

4 - « إن الله سبحانه قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم » قال: « معنى قرأ أي أظهر وأسمع وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت » (مشكل الحديث وبيانه 289).

أن الشافعي نصل على « أن العلم بالصفة قبولاً وردّاً وتأويلاً مما لا يُدرَكُ بالعقل »[3].

وقال أبو حنيفة: « لا ينبغي أن ينطلق في الله بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً »[4].

فهل الاستيلاء رأي أم لكم فيه سلف؟ ومَن مِنَ السلف قال بذلك.

قال ابن السمعاني: « فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور

---

(1) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات ص452 و518 . وصدق من أخبر بأن علماء الكلام أبعد الناس عن الحديث وفنه.

(2) رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي إسحاق السبيعي.

(3) سير أعلام النبلاء 80/10 .

(4) الدليل القويم 161 .

تبعاً للمعقول » وقال: « وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً، وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً »[1].

وكان الأشاعرة المتقدمون يُسَمَّوْن "الصفاتية" بسبب تميزهم عن المعتزلة بإثباتهم جميع الصفات. ثم افترق المتأخرون من بعدهم: فرقةٌ منهم تؤول الصفات ومنهم من لم يتعرضوا للتأويل، ويقال لهؤلاء الأشعرية الأثرية[2] واستمر المتأخرون منهم في الخروج عن خط شيخهم أبي الحسن حتى أدى ذلك إلى اختفاء مذهبه في وهجٍ من الفلسفة[3].

عبد الله بن كلاّب وصفه الأشاعرة المتقدمون كالبغدادي والشهرستاني بأنه شيخهم[4].

ويصفه ابن حزم بأنه شيخ الأشاعرة القديم[5].

شهد الحافظ ابن حجر على الرازي بأن له « تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شُبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء»[6].

للرازي شروح على كتب الفلاسفة أهمها (شرح إشارات ابن سينا) و(المباحث الشرقية) وفي هذا الأخير (382/1-383) يوجه اللوم على من يشوه صورة الفلاسفة ولا يؤول كلامهم على أحسن المحامل! ولذا وصفه السنوسي في الكبرى بأنه كان مولعاً بآراء الفلاسفة[7].

قال الرازي قبل موته: « لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلاً... »[8] وعند السبكي تفاصيل هذه

---

(1) نقله عن السيوطي في صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام 49 .
(2) الخطط المقريزية 3: 310 .
(3) دائرة المعارف الإسلامية 3: 310 .
(4) أصول الدين 104 ونهاية الإقدام 303 .
(5) الفصل 4: 208 .
(6) لسان الميزان 4: 426-429 .
(7) شرح السنوسية الكبرى ص41 .
(8) فتح الباري 350/13 إتحاف السادة المتقين للزبيدي 174/1 .

الوصية[1].

نقل الحافظ ابن حجر عن إمام الحرمين الجويني رحمه الله قوله كما في رسالته النظامية «والذي نرتضيه رأياً وندين الله به: عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً فلا شك حينئذ أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع ».

- ثم نقل الحافظ عن شهاب الدين السهروردي مثل كلام الجويني وفيه يقول: « لم ينقل عن النبي ρ التصريح بوجوب التأويل.. ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** } ثم يترك هذا الباب »[2].

نقد ابن العطار تلميذ النووي للتأويل

قال ابن العطار أخص تلاميذ النووي: « إذا ثبت نص في الكتاب والسنة مثل أن الله خلق آدم بيده، وأنه كتب التوراة بيده: وجب إثباته وحرم علينا أن نقول: المراد باليدين النعمتين أو القدرتين فهذا تحريف لما فيه من التعطيل، كيف والإجماع على أن الصفات توقيفية[3]: « **وهو فعل المعتزلة والجهمية** » قال: « وقد نفى بعضهم النزول وضعف الأحاديث أو تأولها خوفاً من التحيز أو الحركة والانتقال: والمحققون أثبتوها وأوجبوا الإيان بها كما يشاء سبحانه »[4].

---

(1) طبقات الشافعية 33/5 .

(2) فتح الباري 390/13 وانظر 407 إتحاف السادة المتقين 112/2 والرسالة النظامية 23 .

(3) أكد ابن حجر الهيتمي على أن الصفات توقيفية (فتح المبين 81).

(4) كتاب الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد 22 و75 تحقيق علي الحلبي.

قال ابن قتيبة[1]: « إن المتكلمين يعتنقون الآراء التي يذهبون إليها بعقولهم ثم ينظرون في كتاب الله فإذا وجدوه يخالف ما قاسوا ويبطل ما أسسوا، طلبوا له التأويلات »[2].

ولهذا صدق من قال بأن هؤلاء إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد وليس للاعتماد إن وافقت ما أنتجته عقولهم قبلوه وإن خالفته أولوه.

وقال الشعراني[3]: « إن الله ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي أنزله لا بما أوّلناه بعقولنا فقد لا يكون التأويل الذي أوّلناه يرضاه الله ».

قال الشافعي: « السّنّة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذي رأيتهم عليها فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما:... أن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء »[4].

ذكر البيهقي صفات الفوقية والنزول والإتيان، ثم روى بسنده عن الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: « أمرّوا كما جاءت » هكذا أثبته الصابوني عنهم في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث، وأثبته ابن عبد البر عن مالك: وهو أعلم بمذهب مالكٍ من غيره[5]. وقد أثنى عليه الكوثري أمان وحفظاً[6].

---

(1) قال الخطيب البغدادي والذهبي وابن الجوزي وأبو طاهر السلفي "كان ثقة ديناً فاضلاً" (تاريخ بغداد 170/10 سير أعلام النبلاء 297/13 ميزان الاعتدال 503/2 المنتظم 102/5 وفيات الأعيان 246/2) وقال الصلاح العلائي: "ابن قتيبة جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل" (لسان الميزان 357/3).

(2) الاختلاف في اللفظ 12 .

(3) اليواقيت والجواهر 1: 106 .

(4) عون المعبود 41/13 و47 وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة بإسناده المتصل إلى الشافعي 283/1 .

(5) الأسماء والصفات 453 .

(6) تأنيب الكوثري 175-178 .

حكى الشيخ عبد القادر الجيلاني عقيدة أهل السنة وأنهم يؤمنون بأن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، ونسب تأويل النزول بنزول الرحمة إلى الأشاعرة والمعتزلة[1]. ولم ينسبه إلى أحد من أئمة الأمة وسلفها.

وقال أبو نصر السجزي: « وأئمتنا كسفيان وماك والحمّادَيْن وابن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وعلمه بكل مكان وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء »[2].

قال المرتضى الزبيدي: « أن المفهوم من ظاهر مذهب أحمد عدم التأويل على الإطلاق وأن الشافعي ومالك وأحمد اختاروا عدم التأويل للمتشابهات »[3].

قال محمد بن درويش الحوت: أن « سيدنا أحمد يمنع التأويل » وصرح أن التأويل مذهب المعتزلة[4].

نقل السبكي عن أحمد أنه قال: «لا يُوصَف اللهُ تعالى إلا بما وصف به نفسه ووصف به رسوله ρ : لا نتجاوز القرآن والحديث »[5]. قال الحافظ ابن رجب: « ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك ألبتة خصوصاً الإمام أحمد »[6].

وذكر الشهرستاني أن عموم أهل الحديث كأحمد ومالك وجماعة من السلف قالوا: « نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله لا يشبه شيئاً من

---

(1) الغنية لطالبي طريق الحق 57 أثبت الزبيدي نسبته إليه (إتحاف السادة المتقين 242/2 و249).
(2) سير أعلام النبلاء 656/17 .
(3) إتحاف السادة المتقين 12/2 و79 .
(4) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص31 تحقيق كمال الحوت.
(5) طبقات السبكي 39/9 .
(6) فضل علم السلف على علم الخلف 139-140 .

المخلوقات »[1].

روى ابن الجوزي عن أحمد قوله « ولا تفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت به »[2].

ذكر الرازي أن طريق السلف وجوب تفويض معاني الصفات ولا يجوز الخوض في تفسيرها[3].

قال الإمام أحمد عن علماء الكلام: « لا أراهم على الإسلام »[4].

روى المروذي والخلال وغيرهم عن أحمد أنه قال: « أننا نؤمن بهذه الصفات ونصدق بها ولا نردها ونعلم أنها حق »[5].

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: **{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }**: « وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية »[6].

حكى الحافظ ابن رجب بأن تلون آراء الجوزي تبع لتلون آراء شيخه أبي الوفاء بن عقيل[7].

وقال ابن الجوزي: « من أضرِّ الأشياء على العوامِّ كلام المتأولين، والنفاة للصفات »[8].

وصف ابنُ الجوزي مؤولة الصفات بأنهم نفاة. ونقض تأويل المعتزلة يد الله بالقدرة، وأنكر أن يكون قد نُقل عن الصحابة أنهم قالوا (استوى) أي (استولى) و(ينـزل) أي (يرحم)[9].

واعترفَ بأن طريق السلف مناقض للتأويل إذ قال: « أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرّونه كما جاء » حكاه عنه

(1) الملل والنحل 137/1 .
(2) مناقب الإمام أحمد 155 و174 وشرح أصول الاعتقاد للالكائي 164/1 .
(3) أساس التقديس 236 .
(4) سير أعلام النبلاء 11: 290 .
(5) سير أعلام النبلاء 11: 303 .
(6) زاد المسير 213/3 و 225/1 .
(7) الذيل على طبقات الحنابلة 414/1 .
(8) صيد الخاطر ص101 .
(9) صيد الخاطر 103 ط: المكتبة العلمية ومجالس ابن الجوزي ص7 ط: دار الأنصار – القاهرة، تحقيق جهاد عيسى البنا.

الحافظ[1].

قال ابن الجوزي: « قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا: إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ρ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت إلى السماء، أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض.

- وقالوا: إن الله ليس في السماء[2]. ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل إلى السماء الدنيا بل النازل رحمتُهُ. فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها[3].

وأكد ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص 101) ميله الشديد إلى التفويض وترك نصوص الصفات من غير تفسير لها.

ابن الجوزي وابن حزم يوبخان الأشعري

بل قد صرح بتوبيخ الأشعري قائلاً: « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن إسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق »[4]. وحكى السبكي أن ابن حزم كان يصرح بتكفيره وبنسبته إلى البدعة في غير موضع[5].

قال ابن حجر المكي الهيتمي: « قال بعض العلماء: « قال بعض العلماء: يجب السكوت عن (كيف) في صفاته وعن (لِمَ) في أفعاله »[6].

وروى الدارقطني بسنده عن العباس الدوري قال: « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر بعض أحاديث الصفات كحديث الرؤية وأن الله يضع قدمه في جهنم – ثم قال: « هذه أحاديث

---

(1) فتح الباري 40/6 زاد المسير 225/1 .
(2) وهذا يتفق مع ما رواه الذهبي عن ابن الجوزي أنه قال: « أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب » (سير أعلام النبلاء 376/21).
(3) كتاب صيد الخاطر 115 و 116 و 181 ط: المكتبة العلمية – بيروت.
(4) كتاب صيد الخاطر 181 و 183 .
(5) طبقات الشافعية للسبكي 90/1 محققة.
(6) فتح المبين شرح الأربعين 73 ط: دار الكتب العلمية؟

صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره »[1].

قال الحافظ ابن حجر بأن السلف « لم يخوضوا في صفات الله لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تُعلَم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده »[2].

قال القرطبي: « ولم ينكر أحد من السلف استواءه على عرشه وإنما جهلوا كيفية الاستواء »[3] أي أن العقول لا تدرك الكيفية، وقال أبو بكر الإسماعيلي في حكاية مذهب أهل السنة: « فإن الله انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه »[4].

وقال الذهبي: « وقول مالك هو قول أهل السنة قاطبة وهو أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها »[5].

وقال الذهبي: « قال والد أبي حفص بن شاهين: حضرتُ أبا جعفر الترمذي فسُئِل عن حديث النزول فقال: « النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »[6].

قال الشافعي: « وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء »[7] وكما قال ابن المبارك حين سئل عن حديث النزول – كيف ينزل؟ أجاب « ينزل كيف يشاء »[8].

---

(1) رواه الدارقطني في الصفات 39 .

(2) فتح الباري 13: 350 و390 وانظر: الحجة البالغة 63/1 لولي الله الدهلوي.

(3) تفسير القرطبي 140/7 .

(4) سير أعلام النبلاء 295/16 ، تذكرة الحفاظ 949/3 .

(5) العلو للذهبي 104 .

(6) سير أعلام النبلاء 547/13 ، تاريخ بغداد 365/1 .

(7) عون المعبود 41/13 و47 وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة بإسناده المتصل إلى الشافعي 283/1 .

(8) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 569 نسخة حيدر 198/2-199 .

ذكر ابن حجر عن طائفة من السلف والتابعين أنهم كانوا لا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيفَ[1].

قال أحمد: « وتأول – جهم – القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث رسول الله ρ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه كان كافراً وكان من المشبهة، فأضلّ بكلامه بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية »[2].

ونقل الدهلوي عن الحافظ في الفتح أن إجراء هذه الصفات كما هي ليس بتشبيه، وإنما التشبيه أن يقال: سمع كسمع أو بصر كبصر، ومروية عن إسحاق بن راهويه[3].

شنّع الدهلوي على الخائضين في علم الكلام قائلاً: « واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسمّوهم مجسمة ومشبهة وهم المتسترون بالبلكفة وقد وضح لي وضوحاً بيّناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم بأئمة الهدى »[4].

وقال الزبيدي: « وسمّت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا بواسطة قياس الشاهد على الغائب الذي هو عين التشبيه » ومن العجيب منه رحمه الله أنه قسم التشبيه إلى نوعين: « أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما تقوله المجسمة وهو كفر. والثاني: محمود وهو التشبيه بمعنى إثبات الصفات الثبوتية له، وهذا التشبيه أيضاً مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال، وأكملها: الجمع بينهما »[5].

قال عبد الله بن المبارك: « من قال لك يا مشبه: فاعلم أنه

---

(1) فتح الباري 13: 407 .
(2) الرد على الجهمية 104-105 .
(3) فتح الباري 407/13 ، جامع الترمذي 50/3 .
(4) حجة الله البالغة 64 .
(5) إتحاف السادة المتقين 407/9 .

جهمي »[1].

وقال أبو حاتم الرازي: « وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة »[2].

وعن أحمد بن سنان: « ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعة حلاوة الحديث من قلبه »[3].

وقال الشيخ **عبد القادر الجيلاني** وابن قتيبة: « والجهمية تسمي مثبتة الصفات مشبهة لإثباتها صفات الباري عزّ وجلّ من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات، ومن علامات الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية والمجسمة والمشبهة »[4].

وكل من نفى شيئاً قال لمن أثبته « مجسم مشبه » فالأشاعرة عند الجهمية والمعتزلة مجسمة لأنهم أثبتوا بعض الصفات. كما أن أهل السنة مجسمة عند الأشاعرة لأنهم لم يوافقوهم على نفي ما نفوه من الصفات.

قالت المعتزلة: « من سلّم أن الله ليس في جهة وادّعى مع ذلك أنه يُرى فقد أضحك الناسَ على عقله »[5] وقالوا أيضاً: « كل من أثبت رؤية الله يوم القيامة فهو كافرٌ لأنه شبّه الله بخلقه، ومن شك في كفره فهو كافرٌ مثله »[6].

---

(1) رواه ابن مندة في شرح حديث النزول 53 .

(2) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 179/2 ، والإمام الصابوني في عقيدة السلف 132/1 .

(3) سير أعلام النبلاء 245/12، تذكرة الحفاظ 521/2، صون المنطق والكلام للسيوطي 41، معرفة علوم الحديث للحاكم ص4 شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي 73 ط: إحياء السنة النبوية وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص73 .

(4) الغنية لطالبي الحق 58 ، وانظر الفقه الأكبر بشرح القاري 13 ، وتأويل مختلف الحديث 55 .

(5) شرح الأصول الخمسة 249-253 ، المغني لعبد الجبار 139/4 .

(6) المغني 4: 139 ، شرح الأصول الخمسة 232 ، للقاضي عبد الجبار، الانتصار للخياط 54 .

قالوا: « إثبات الرؤية يؤدي إلى حدوث الله لأن الشيء إنما يُرى إذا كان مقابلاً أو حالاً في المقابل. وهذه من صفات الأجسام فيوجب ذلك أن يكون الله تعالى جسماً وإذا كان جسماً صار محدثاً وإذا كان جسماً تجوز عليه الحاجة »[1].

نص محمد أنور الكشميري أن الأشعر لما بلغ في التنـزيه وشدد فيه لزمه نفي كثير من الصفات التي أثبتها القرآن والسنة حتى قارن التعطيل وأن القرآن لم يسلك هذه التنـزيهات الكلامية الباطلة[2].

قال أبو حنيفة: « ولا يقال يد الله بمعنى قدرته لأن هذا إبطال للصفة »[3].

قال الشافعي: « لا تشتغل بالكلام فإني اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل »[4].

وذكر الشهرستاني أن من معاني التعطيل: « تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها » وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين[5].

صرح الشيخ علاء الدين العطار عند قوله تعالى { **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** } بأنه يحرم القول بأن يد الله القدرة أو النعمة قال: « وهذا تحريف لِمَا فيه من التعطيل... وهو فعل المعتزلة والجهمية »[6].

قال الرازي: « إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغاً عظيماً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم

---

(1) شرح الأصول الخمسة 276 .
(2) فيض الباري 473/4 .
(3) الفقه الأكبر 33 .
(4) سير أعلام النبلاء 28/10 .
(5) نهاية الإقدام 123 و127 .
(6) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص25 ص: دار الكتب الأثرية.

الأعضاء! وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل »[1].

قال الترمذي في سننه: « تأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن معنى اليد القوة »[2].

قال أبو منصور البغدادي: « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله »[3].

التأويل عند الحبشي

قال ابن قتيبة[4]: « لو تُرِكَ العوام على فِطَرهم فإنه لن يخطر عندهم التشبيه ».

قال علي τ : « يا أيها الناس اتهموا آراءكم وأحسنوا الظن برسول الله ρ فيما يُروى لكم عنه »[5].

قال الطحاوي: « لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سلّم لله عزّ وجلّ ولرسوله ρ »... وأن التأويل المعتبر « ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين »[6].

قال الحافظ ابن حجر: « وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله »[7].

قال أبي حنيفة: « لا ينبغي أن ينطق في الله بشيء من ذاته

---

(1) المطالب العالية 213/9 .

(2) سنن الترمذي 42/3 تعليقاً على حديث رقم (662).

(3) أصول الدين 112 .

(4) قال الخطيب البغدادي والذهبي وابن الجوزي وأبو طاهر السلفي: « كان ثقة ديّناً فاضلاً » (تاريخ بغداد 170/10 سير أعلام النبلاء 297/13 ميزان الاعتدال 503/2، المنتظم 102/5، وفيات الأعيان 246/2) وقال الصلاح العلائي: « ابن قتيبة جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل » (لسان الميزان 357/3 .

(5) إظهار العقيدة السنية 185 .

(6) العقيدة الطحاوية بذيل كتاب إظهار العقيدة السنية 252-253 .

(7) فتح الباري 353/13 .

ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً »[1].

نص العز بن عبد السلام على أن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات[2].

أضاف: « والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده، ومع ذلك لم يكفّر بعضهم بعضاً »[3].

قال الغزالي: « ذهبت طائفة إلى تكفير عوام المسلمين لعدم معرفتهم أصول العقائد بأدلتها: وهو بعيد عقلاً ونقلاً »[4].

ذكر الزبيدي بأن صفة القديم مما لم يصف الله به نفسه وإنما وصف بها مخلوقاته كما صرح به المرتضى الزبيدي[5].

قال ابن حزم: « لا يجوز أن يسمى الله قديماً لأنه تعالى لم يُسمّ نفسه بذلك وهو أيضاً من صفات المخلوقين »[6].

قال بعضهم: كيف يجوز وصف الكبير بما يوصف به الحقير[7].

إبطال المجاز
في أسماء الله وصفاته

قال الحبشي: أن « نقل النصوص من الحقيقة إلى المجاز عبث في النصوص »[8].

قال الألوسي: « القول بالمجاز في بعض الصفات، والحقيقة

---

(1) الدليل القويم 161 .
(2) قواعد الأحكام الكبرى 170 .
(3) قواعد الأحكام 172 وانظر أصول الدين للبغدادي ص90 و109 والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي 350/2 .
(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر 364/2 .
(5) إتحاف السادة المتقين 21/2 .
(6) الدرة فيما يجب اعتقاده 247 .
(7) المصباح المنير للفيومي 493 .
(8) الدليل القويم 147 .

فـي أخـرى لا أراه إلا تحكُّمـاً بحتـاً »[1] ووصـف هـذه التـأويلات بأنها نزعة اعتزالية.

زعم المعتزلة زعموا أن النصوص المصرحة بزيـادة الإيمـان مؤولـة بزيـادات الهدى[2]. وتـأولوا خـروج قـوم من النـار « علـى معنـى يخرجـون مـن عمـل أهـل النـار. وحـديث « شـفاعتي لأهـل الكبـائر » أي: إذا تـابوا »[3]. وتـأولوا قولـه تعـالى: **{ تُـسَبِّحُ لَـهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ }** بمعنى أنها تدل على توحيده، بلسان حالها، فكأنها تنطق بذلك[4]. وتأولوا قوله تعالى: **{ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا }** علـى المجـاز أي إذا كانـت مـنهم بمـرأى النـاظر سـمعوا صـت غليانـهـا، ويجـوز أن يـراد: إذا رأتهـم زبانيـة جهنم تغيظـوا وزفـروا غـضباً علـى الكفـار وشـهوةً للانتقام[5]. وتأولوا قوله تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي الـسَّمَاوَاتِ وَمَـن فِـي الأَرْضِ }** فحملـوا الـسجود علـى الخـضوع وذلك أن العقل يستحيل عنده أن يسجد الجبل أو أن يسجد.

قال الحافظ ابن عبد البر: « وحمل كلام الله تعـالى وكـلام نبيـه ρ علـى الحقيقـة أولـى بـذوي الـدين والحـق » وقـال: « ومـن حـق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد بـه المجـاز، إذ لا سبيل إلى اتبـاع مـا أنـزل إلينـا مـن ربنـا إلا علـى ذلـك، وإنمـا يوجه كلام الله عزّ وجلّ إلى الأشهر والأظهر مـن وجوهـه، مـا لـم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عزّ وجلّ أن يخاطب إلا بمـا تفهمه العرب في معهود مخاطباتهم مما يصح معناه عند السامعين

---

(1) تفسير روح المعاني 1: 60 .

(2) متشابه القرآن 262 .

(3) شرح الأصول الخمسة 672-673 ، فضل الاعتزال للقاضـي عبد الجبـار 210 .

(4) تنـزيه القرآن عن المطاعن 229 ، الكشاف للزمخشري المعتزلـي 451/2 .

(5) تنـزيه القرآن عن المطاعن 398 .

»[1].

أن موقف أبي الحسن الأشعري من اللغة أنها توقيفية وأن أصل صحة الاستعمال: السماع خلافاً للمعتزلة الذين قالوا إنها اصطلاحية، حتى جعلوا أكثرها مجازاً لا حقيقة[2] يمثلهم في ذلك القاضي عبد الجبار والجاحظ والزمخشري، وحملهم هذا على التوسع في تأويل النصوص.

التأويل والتفويض

قال أبو منصور البغدادي: « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله »[3].

قال الترمذي في سننه: « تأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن معنى اليد القوة »[4].

رد أحمد على تأويلات الجهمية التي يحمل الأشاعرة العديد منها اليوم كما في كتابه «الرد على الجهمية» « فيما تأولته من القرآن على غير تأويله »[5]. فأثبت لأهل السنة تأويلاً وأثبت للجهمية تأويلات مخالفة لهم.

قال عبيد الله القاسم بن سلام: « إذا قيل كيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره »[6].

ذكر الحافظ ابن حجر عن طائفة من السلف والتابعين أنهم كانوا لا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف[7].

قال القرطبي: « ولم ينكر أحد من السلف استواءه على عرشه

---

(1) التمهيد 16/5 و 131/7 .
(2) المزهر للسيوطي 1: 207-210 .
(3) أصول الدين 112 .
(4) سنن الترمذي 42/3 تعليقاً على حديث رقم (662).
(5) انظر: فتح الباري 493/13 .
(6) سير أعلام النبلاء 505/10 ، التمهيد 149/7 .
(7) فتح الباري 13: 407 .

وإنما جهلوا كيفية الاستواء »[1].

رسالة السنة التي رواها عبدوس بن مالك العطار عن أحمد أن من السنة: الإيمان بالقدر والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يقال: لِمَ وكيف... ومثل أحاديث الرؤية... والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبي ρ والكلام فيه بدعة ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحداً، والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء...»[2].

قال الخلال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى « إن الله تبارك وتعالى ينـزل كل ليلة إلى السماء الدنيا » و « أن الله يرى » و « إن الله يضع قدمه » وما أشبهه؟ فقال: نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى...»[3].

عن أحمد أنه قال: « أمروها كما جاءت » في نصوص لا علاقة لها بالصفات كقوله عن حديث « من غشنا فليس منا »: « لا أدري إلا على ما روي »[4].

قال مالك: « الاستواء معلوم والكيف مجهول » هو الفصل، قال الذهبي: « وقول مالك هو قول أهل السنة قاطبة وهو أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها »[5].

قال ابن عباس: « كل القرآن أعلم إلا أربع: حنان وأواه وغسلين والرقيم ». ثم علم ذلك بعد كما حكاه ابن قتيبة.

{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }.

رد ابن فورك على المفوضة قائلاً: « لو كان معنى الصفات غير مفهوم لكان خطاب الله خالياً من الفائدة، وعارياً عن معنى صحيح: وهذا مما لا يليق بالنبي ρ [6].

---

(1) تفسير القرطبي ج 17-18 ص215-216 .
(2) طبقات الحنابلة 1/179-180 ، واللالكائي 1/156 .
(3) طبقات الحنابلة 1/143 .
(4) انظر السنة للخلال رقم (999).
(5) العلو للذهبي 104 .
(6) مشكل الحديث وبيانه 496 .

قال اللقاني في جوهرة التوحيد[1]:
ألزم الرازي المفوضة بأحد أمرين:
- إما أن يقطعوا بتنـزيه الله عن المكان والجهة فقد قطع بأنه ليس مراد الله من الاستواء الجلوس. وهذا هو التأويل.
- وإما أن لا يقطع بتنـزيه الله عن المكان والجهة بل بقي شاكاً فيه فهو جاهل بالله تعالى[2].
طعن أبو حيان النحوي في التفويض ورجح التأويل عليه.
ونقل قول ابن عباس عن آيات الصفات بأن « هذا من المكتوم الذي لا يفسر » وكذلك نقل قول الشعبي وسعيد بن المسيب والثوري « نؤمن بها ونقر كما نصّتْ، ولا نعيّن تفسيرها ولا يسبق النظر فيها. ثم وصف هذين القولين بأنهما قول من لم يمعن النظر في لسان العرب ».
ونسب إلى جماهير المسلمين أن الصفات تفسر على قوانين اللغة ومجازات الاستعارة. فما صح في العقل نسبته إليه [أي إلى الله] نسبناه، وما استحال أوّلناه بما يليق به تعالى »[3]. وهذا القول هو الأصل الذي يقول به المعتزلة.
وقال والد الجويني أن الحروف المقطعة من قبيل الصفات ورجح التفويض زاعماً أنه طريق السلف[4]:
رد عليه القشيري في التذكرة الشرقية قائلاً:
« وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله إلا الله؟ أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ρ ما عرف تأويل ما ورد في صفات

---

(1) جوهرة التوحيد ص91 وهو كتاب مقرر في الأزهر في تدريس مادة العقيدة.
(2) التفسير الكبير للرازي 6/22 .
(3) انظر: تفسير البحر المحيط 121/1 و124/2 ، 524/3 .
(4) إتحاف السادة المتقين 110/2 .

الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم[1]؟ أليس الله يقول بلسان عربي مبين؟ فإذن: على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال: { **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** } إذ لم يكن معلوماً عندهم، وإلا: فأين هذا البيان؟

وإذا كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب؟

ونسبة النبي ρ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل: أمر عظيم لا يتخيله مسلم فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف، وقول من يقول: استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل... وإن قال الخصم بأن هذه الظواهر لا معنى لها أصلاً فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر. وهذا محال... وهذا مخالف لمذهب السلف القائلين بإمرارها على ظواهرها »[2]. وهذا ما رجحه النووي حيث قال: « يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل إلى معرفته »[3].

وجاء بدر الدين العيني فصرح في كتابه «إيضاح الدليل» أن أهل الحق انقسموا إلى قسمين:

أحدهما: أهل التأويل.

ثانيهما: القائلون بـ«قول السلف» وهو السكوت عن تعيين المراد.

ولكنه ناقش هذا القسم الثاني حتى وصل إلى نقده وإبطاله مع اعترافه الخاطئ أنه نهج السلف قائلاً: « وهذه المعاني المسماة إن لم تكن معلومة ولا معقولة للخلق ولا لها موضع في اللغة استحال خطاب الله الخلق بها! لأنه يكون خطاباً بلفظ مهمل لا معنى له،

---

(1) قال جابر بن عبد الله في حجة النبي ρ : « ورسول الله ρ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله » (رواه مسلم رقم 147 كتاب الحج).

(2) إتحاف السادة المتقين 2/110-111 صريح البيان 35 ط: مجلدة.

(3) شرح مسلم للنووي 16/218 .

وفي ذلك ما يتعالى الله عنه، أو كخطاب عربي بلفظ تركي لا يعقل معناه... وهذا على قول هؤلاء لا يمكن أن يعلم معناه إلا الله، فيكون خطاباً بما يحير السامع، ولا يفيده شيئاً، ويلزم منه ما لا يخفى على العقلاء ما يتقدس خطاب الله عنه ». والعجب منه أن ينتهي إلى أن « من اعتقد مذهب السلف المذكور أو مذهب التأويل الحق فهو على هدى »[1].

صرح الكوثري أن: « الذي كان عليه السلف إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة في صفات الله على اللسان مع التنزيه بدون خوض في المعنى ومن غير تعيين المراد ». وأكد أن هذا طريق السلف[2].

النسفي ترك للمرء مطلق الخيار: إما أن يؤول وإما أن يفوّض، بينما يرى ابن الهمام جواز التأويل عندما تدعو إليه الحاجة فيُحِلّه لأهل النظر والاستدلال ويحرمه على العوام من الناس[3].

وقال الناصري زين الدين الحلبي في حاشيته على المسايرة: « قال مشايخنا: { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** } لا يعلم تأويله إلا الله وكذلك جميع المتشابهات ».

قال ابن قتيبة: « ولم ينزل الله "شيئاً" من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنىً أراده »[4].

{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ } ولو كان نزول آيات الصفات ابتلاء لنا من الله: هل نؤول أم لا: فبماذا تفسرون اختلاف تأويلاتكم عن تأويلات السلف؟!

---

(1) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل 92-96 تحقيق وهبي غاوجي الألباني.

(2) تعليق الكوثري على السيف الصقيل للسبكي ص13 وتعليقه على تبيين كذب المفتري ص28 .

(3) انظر: السواد الأعظم 27 سلام الأحكم 153، النور اللامع 96، التمهيد 19، المسايرة 30، 32-33، إشارات المرام 189 .

(4) مشكل القرآن 98-99 .

قال مجاهد: { **اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** } أي علا على العرش. وقال أبو العالية استوى أي ارتفع[1].

وعن ابن عباس في قوله تعالى: { **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** } « أي بعين الله تبارك وتعالى ». وفي رواية أنه أشار بيده إلى عينه[2].

قال مجاهد: أخذت التفسير عن ابن عباس من أوله إلى خاتمته أقفه آيةً آيةً.

لم يعهد عن طريقة المتكلمين إلا التردد والحيرة والشك والتناقض كما حكاه الغزالي والحافظ ابن حجر وابن الجوزي[3].

واعترف الباجوري بأن « طريق السلف أسلم لسلامتها من تعيين معنى قد لا يكون مراداً لله »[4].

أخبار الآحاد حجة
في العقائد والأحكام

لا يجوز المسك بخبر الواحد في العقائد عند الأشاعرة كما نص عليه كبارهم كالرازي[5].

ذكر الرازي حديث أن الدجال أعور وأن الله ليس بأعور. ثم قال: « إنه من البُعد صدور مثل هذا الكلام عن الرسول ρ » وزعم أن رواية « حتى يضع الرب رجله » ضعيفة[6].

زعم الجويني أن الحشوية تتمسك بحديث « أن الله خلق آدم على صورته » وهذا الحديث غير مدون في الصحاح ». مع أن

---

(1) رواه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء.

(2) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 396 واللالكائي في شرح أصول السنة 411/3 .

(3) المنقذ من الضلال 14-17 ، فتح الباري 350/13-352 ، تلبيس إبليس 82 .

(4) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد 91 .

(5) أساس التقديس 215 تحقيق السقا ط: الكليات الأزهرية 1986 .

(6) أساس التقديس 159 و 186 .

الحديث عند البخاري ومسلم[1].

وزعم أن حديث النـزول ليس بمتواتر باطل. وأنه لو أضرب عن جميع أخبار الآحاد وعدم اعتبارها لكان سائغاً.

وردّ حديث « الإيمان بضع وسبعون شعبة » وأنه مؤول لأنه من الآحاد[2].

زعم الغزالي أن أكثر أحاديث التشبيه غير صحيحة، وهذا ما دعا الحافظ ابن حجر إلى أن التصريح بعدم خبرتهما وعنايتهما بكتب الحديث المشهورة فضلاً عن غيرها[3] وقد اعترف الغزالي بأن بضاعته في الحديث مزجاة كما في (قانون التأويل 16). وقد اعترف الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص572) بأنه لا يعتمد على الغزالي في الحديث لذكره في كتابه الإحياء جملة من الأحاديث الموضوعة.

قال الحافظ ابن حجر: « وبالغ ابن فورك فجزم بأن لفظ (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل، وهو مردود لثبوتها في الصحيحين ». وكذلك قال الزبيدي: « زعم ابن فورك أن لفظة "حتى يضع الله رجله" غير ثابتة »[4].

قال أبو منصور البغدادي: « فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلاً صحيحاً فخبره مردود... وإن كان ما رواه الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلاً يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول ». وضرب لذلك مثلاً بحديث « إن الله يضع قدمه في النار »[5].

حكى الحافظ ابن عبد البر فحكى مذهب أهل السنة أنهم « يدينون بخير الواحد العدل في الاعتقادات ويوالون ويعادون عليها

---

(1) الإرشاد 152-153 للجويني وانظر البخاري (6227) ومسلم (2612).

(2) انظر: إرشاد 161 و 399 .

(3) انظر: التلخيص الحبير 256/1 و19/2 و5- و275، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي 177 ط: مكتبة الجندي تحقيق محمد أبو العلا.

(4) فتح الباري 596/8، إتحاف السادة المتقين 341/8 .

(5) أصول الدين 23 .

»[1].

ناظر الشافعي إبراهيم بن إسماعيل بن عليَّة أحد كبار الجهمية، قال عنه الذهبي: «جهمي هالك»[2] وقد ناظره الشافعي وأبطل حجته في إنكار خبر الواحد[3]، ولما بلغه إصرار إبراهيم بن عليّة على إنكار خبر الواحد قال: « إن ابن علِيَّة ضالّ، قد جلس بباب الضَّوالِّ يضِلّ الناس »[4].

أكد الشافعي أن أهل السنة قد تلقوا خبر الواحد العدل بالقبول[5].

ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتزلة أنكروا صحة الأحاديث الواردة في الصفات كالنزول وغيره[6].

قال الجويني: « وذهب طوائف من الروافض إلى أن خبر الواحد لا يناط به وجوب العمل »[7].

قال أبي الحسين البصري المعتزلي: « إن أخبار الآحاد لا يجوز قبولها في توحيد الله وعدله »[8].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلة: بأنه يجوز الأخذ بخبر الواحد إذا ورد بشروطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات: فلا »[9].

قال عبد القاهر البغدادي: « وكان الخياطي منكر الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن

---

(1) التمهيد 8/1 .
(2) ميزان الاعتدال 20/1 .
(3) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق أحمد صقر 211/1 و210/2 تبيين كذب المفتري 340-341 .
(4) سير أعلام النبلاء 24/10 ومناقب الشافعي للبيهقي.
(5) الرسالة للشافعي 453 و 457 تحقيق شاكر.
(6) فتح الباري 30/3 .
(7) البرهان 388/1 .
(8) المعتمد 578/2 تحقيق محمد حميد الله.
(9) شرح الأصول الخمسة 769 .

أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد »[1].

روى البيهقي عن إسحاق بن راهويه قال: « دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب، تقول أن الله ينـزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير: إن الله تعالى بعث إلينا نبياً نقل إلينا عنه أخبار، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك » فأمسك الأمير [2].

صرح الجويني بأن خبر الواحد لا يفيد العلم ولا العمل وأن من زعموا أنه يفيد العلم متساهلون « فلو جزمنا بصدقه لأفضى إلى العلم ولو جزمنا بكذبه لما أوجب العمل » وهذا خلاف ما قال به في الورقات[3].

قال الجويني: « ثم افترق نفاة العمل بخبر الواحد فذهب بعضهم إلى أن العقل يحيل التعبد بالعمل به، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يستحيل ورود الشرع به، وهو من تجويزات العقل.

ثم افترق هؤلاء من وجه آخر: فذهب ذاهبون إلى أن في الشرع ما يمنع التعلق به، وقال آخرون لم تقم دلالة قاطعة على العمل به، فتعين الوقف »[4].

يقول أبو المظفر السمعاني الشافعي: « إن الخبر إذا صح عن رسول الله ρ ورواه الأئمـي الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ρ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به: شيء

---

(1) الفرق بين الفرق 165 .
(2) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 568 .
(3) البرهان 388/1 الورقات 11 .
(4) البرهان 388/1 فقرة (539).

اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار »[1].

قال الجويني: « إن الحديث وإن رواه الأثبات ونقله الثقات فلم يُجمع أهل الصنعة على صحته، على معنى أنه منقول عن الرسول قطعاً، وإنما انكف أهل التعديل عن التعرض للحديث الذي نقلوه من حيث لم يظهر لهم ما يتضمن مطعناً وقدحاً في النقلة، وهم مع ذلك يجوزون على رواة الخبر أن يزلوا ويغلطوا، ولا يوجبون لهم العصمة »[2].

قال الرازي: « إن أجلّ طبقات الرواة قدراً وهم الصحابة. ثم إنا نعلم أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين » (أساس التقديس 216).

وقال الإمام أحمد لما سئل عن أحاديث الرؤية: « أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ρ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر »[3].

ما هو ضابط المتواتر ؟

اختلف « المحتاطون » في ضابط المتواتر.

وذكر الجويني أن الذين يشترطون العدد في تحقيق المتواتر اختلفوا في تعيين أقل العدد الذي يتحقق معه التواتر:

فمنهم من اعتبر الأربعين شرطاً لأنه عدد الجمعة عند بعض الفقهاء.

ومنهم من اعتبر عدة أهل بدر شرطاً هم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ومنهم من ذكر أهل بيعة الرضوان وهم كانوا ألفاً وسبعمائة.

ومنهم من ذكر السبعين لقوله تعالى: { **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً** }.

---

(1) رسالة الانتصار لأهل الحديث اختصرها السيوطي في صون المنطق والكلام ص160-167 وذكر مثله في كتاب القواطع الذي أثنى عليه السبكي في طبقاته 343/5 .

(2) الشامل للجويني 557-558 .

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 507/3 رقم الرواية 889 .

وذهب بعض الفقهاء إلى أنه ينبغي أن يبلغوا مبلغاً لا يحويهم عدد ولا يحصيهم بلد »[1].

وذهب الباقلاني إلى أقل من ذلك بكثير فحدده بأربع[2].

فإن لم يستقم لنا عدد محدد مجمع علينا رجعنا إلى الظن الذي هربنا منه.

ورد الجويني هذه التحديدات ونص على أنه لا اعتبار لشيء منها ثم انتهى إلى أنه « لا يتوقف حصول العلم بصدق المخبرين على حد محدود وعدد معدود، ولكن إذا ثبتت قرائن الصدق ثبت العلم به »[3].

واعترف الغزالي في وقوع الخلاف بين الأشاعرة حول أقل العدد الذي يحصل به التواتر[4].

زعم الجويني أنه حتى لو أجمعت الأمة على قبول خبر الواحد ووافق القاضي بأن إجماع الأمة على تلقيب خبر الواحد لا يوجب العمل به ولا يحكم بصدقه[5].

ذكر الحافظ ابن حجر أربعة أنواع للخبر المحتف بقرائن الصحة، وأهمها آخرها:

(الرابع) « وهذا التلقي وحده أقوى من إفادته العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر ».

وقال الحافظ: «.. منها ما أخرجاه في الصحيحين مما لم يبلغ حد المتواتر، فإنه احتفت به قرائن منها: جلالتهما في هذا الشأن وتقدمهما في تميز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول »[6].

---

(1) البرهان في أصول الفقه للجويني 370/1 (فقرة 495).
(2) التمهيد 439 .
(3) البرهان في أصول الفقه 374/1-375 فقرة: 504 و505 .
(4) المنخول من تعليقات الأصول ص239 .
(5) البرهان 379/11 فقرة 520 .
(6) نزهة النظر وشرحها 26 ط: مكتبة طيبة 26 .

واحتج الكوثري بما قاله أبو المظفر السمعاني في القواطع[1] أن خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول يُقطع بصدقه، ونقل عن السخاوي في فتح المغيث أن هذا القول جماعة من أهل العلم أن ما اتفق عليه البخاري ومسلم يفيد العلم لاحتفافه بالقرائن[2].

نقل أبو إسحاق إسماعيل بن محمد الإسفراييني الملقب بركن الدين إجماع أهل الحديث على قبول الصحيحين فقال: « أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع »[3].

قال أبو الفضل محمد بن طاره المقدسي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي وابن الصلاح. ومنهم الإمام عمر بن رسلان البلقيني. والدكتور خليل ملا خاطر[4]. ومنهم أبو بكر السرخسي كما في فيض الباري (المقدمة 45/1) والسخاوي[5] والسيوطي القائل: « وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه »[6]. والعلامة محمد السندي الحنفي ومنهم شاه ولي الله الدهلوي الحنفي القائل: « أما الصحيحان فقد اتفقالمحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأنه كل من يهون من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين »[7].

وقال محمد أنور الكشميري الديوبندي: « خبر الصحيحين يفيد القطع... فإن قيل: إن فيهما آحاداً؟ قلت: لا ضير، فإن هذا باعتبار الأصل، وذاك بعد احتفاف القرائن واعتضاد الطرق، فلا

---

(1) أثنى السبكي على كتاب القواطع للسمعاني 343/5 محققة.
(2) نظرة عابرة 109 وانظر قوله هذا في مقالات الكوثري 135-136 .
(3) النكت على ابن الصلاح 377/1 ، نزهة النظر 27 ، شروط الأئمة الستة 21 .
(4) مكانة الصحيحين 135-139 .
(5) فتح المغيث 51/1 .
(6) تدريب الراوي.
(7) حجة الله البالغة 134/1 .

يحصل القطع إلا لأصحاب الفن الذين يسر لهم الله سبحانه التمييز.. ورزقهم علماً من أحوال الرواة، والجرح والتعديل، فإنهم إذا مروا على حديث وتتبعوا طرقه، وفتشوا رجاله وعلموا حال إسناده – يحصل لهم القطع، وإن لم يحصل لم يكن له بصر ولا بصيرة »[1].

وقال أبو بكر الجصاص إمام الحنفية في وقته: « ما تلقاه الناس بالقبول من أخبار الآحاد فهو عندنا في معنى المتواتر »[2].

وقال أبو إسحاق الشيرازي (إمام الشافعية): « خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول، فيقطع بصدقه سواء عمل الكل به أو عمل البعض وتأوله البعض: فهذه الأخبار توجب العمل ويقع العلم بها استدلالاً »[3].

تطابق التأويلات بين الأشاعرة والمعتزلة

قال الأشعري: « وقالت المعتزلة: { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** } يعني استولى »[4].

وقال في رسالته إلى أهل الثغر: « **وليس استواء الله استيلاءً كما قال أهل القدر** »[5] وأهل القدر هم المعتزلة.

وقال أبو منصور البغدادي: « زعمتِ المعتزلةُ أن استوى بمعنى استولى » مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

قال: « وهذا تأويل باطل »، وهو قول ابن حزم[6].

---

(1) مقدمة فيض الباري 45/1 .

(2) أحكام القرآن 386/1 ط: دار الكتاب العربي.

(3) اللمع 210 ، وشرح اللمع 579/2 .

(4) مقالات الإسلاميين 157 و211 التبيين لابن عساكر 150 وانظر رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة 216/1 وشرح الأصول الخمسة 226 ومتشابه القرآن 72 للقاضي عبد الجبار.

(5) ص233-234 .

(6) أصول الدين 112 ، الفِصَل 123/2 .

وقـال ابـن فـورك: « إن مخالفينـا يقولـون إن معنـى الاسـتواء الاستيلاء »[1].

قال الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال: «**فسلك أبو الحسن طريقاً وسطاً بينهما** »[2].

قال أبو الحسن الأشعري: « وقالت المعتزلة: نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره »[3].

صرح أبو الحسن الأشعري فيما نقله الحافظ ابن عساكر أن الله هو الذي « يقول (هل من سائل هل من مستغفر) خلافاً لِمَا قاله أهل الزيغ والضلالة »[4].

قال بشر المريسي والد المعتزلة ومؤسسهم بأن نزول الله عبارة عن نزول أمره أو نزول رحمته[5].

وقال أبو منصور البغدادي: « وقالت المعتزلة يد الله معناه: قدرة الله قال: وقولهم باطل »[6] وقال: « وقال القدرية[7] يد الله أي قدرته » وقولهم باطل، قال: « وزعم الجُبَّائي من المعتزلة أن يد الله بمعنى النعمة « وهذا خطأ لأن الله تعالى أخبر أنه خلق آدم بيديه، والنعمة مخلوقة، والله لا يخلق مخلوقاً بمخلوق »[8].

وذكر الإمام الدارمي أن الفعل إذا عُدّيَ بالباء كقول القائل: ضربني فلان بيده وكتب بيده، فإنه يستحيل أن يراد باليد هنا

---

(1) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري 325 .

(2) تبيين كذب المفتري ص150 .

(3) مقالات الإسلاميين 291 وانظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر 150 .

(4) تبيين كذب المفتري ص161 .

(5) انظر: رد عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد 20، وشرح الأصول الخمسة 229، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي 121 .

(6) مقالات الإسلاميين 157 و167 و211 و195 و218 و291، الإبانة 95، تبيين كذب المفتري 150، وأصول الدين 110، وانظر: شرح الأصول الخمسة 228، ومتشابه القرآن 231 للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

(7) والقدرية هم المعتزلة.

(8) أصول الدين 110 و111 .

النعمة، بل لابدّ أن تكون اليد التي بها يضرب وبها يكتب.

ذكر الترمذي في سننه بأن الجهمية قالوا بأن معنى اليد القوة[1].

الماتريدية والأشاعرة ذهبوا إلى نفس تأويل المعتزلة كالرازي والإيجي والجويني وشُرَّاح الجوهرة[2]. غير أنهم تناقضوا فيما بينهم: فبعضهم يمنع تأويل صفة اليد والبعض الآخر يؤولها بمعنى النعمة كالماتريدي الذي فسر قوله تعالى: { **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** } أي نعمتان مبسوطتان وهو عين قول القاضي عبد الجبار[3].

وبعضهم بمعنى القدرة وبعضهم بمعنى المُلْك وبعضهم بمعنى العناية. ويأتي ابن فورك فيجمع بين كل هذه المتناقضات ويرى أنه لا مانع من تأويل اليد على هذه المعاني جميعها[4] علماً بأن الحافظ ذكر أن ابن فورك كان يرى اليد بمعنى الذات[5]. وأورد الرازي أقوالاً متناقضة وهي النعمة والقدرة وقد يراد بها صلة الكلام كقوله تعالى: { **فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ** }.

صرح ابن الجوزي بأن تأويل اليد بالقدرة تأويل المعتزلة وهو باطل[6]. وقال أبو منصور البغدادي: « وزعم بعض القدرة أن اليد بمعنى القدرة »[7].

وقال الخطيب البغدادي: « ولا نقول أن معنى اليد القدرة »[8].

وزعم الكوثري أن تأويل اليد بمعنى القدرة استعمال عربي

---

(1) سنن الترمذي 42/3 تعليقاً على حديث رقم (662).

(2) أساس التقديس 162 و166 ومشكل الحديث 98-99، والمواقف 298، والإرشاد 155، وجوهرة التوحيد 93، الباز الأشهب 44 .

(3) تأويلات أهل السنة تفسير الآية 64 من سورة المائدة وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار 231 .

(4) مشكل الحديث وبيانه 236 ط. عالم الكتب.

(5) فتح الباري 394/13 مشكل الحديث 323 .

(6) مجالس ابن الجوزي 7 .

(7) أصول الدين 111 .

(8) سير أعلام النبلاء 283/18 تذكرة الحفاظ 1142/3 .

صحيح، وذهب الجويني إلى جواز حمل اليدين على القدرة[1]. وبه قال القشيري[2] حكاه عنه المرتضى الزبيدي.

زعم البياضي فزعم أن السلف أجمعوا على منع تأويل اليد وتبعهم الأشعري[3].

قال ابن خزيمة: « وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله تعالى: { **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** } أي النعمتان، وهذا تبديل لا تأويل »[4].

وصف الغزالي تأويلات أهل الكلام بأنها « تخمينات وظنيات »[5].

الجويني صرَّح بأن التأويل بالقدرة غير سديد لأن الله ذكر خلق آدم بيديه، وهذا فيه تخصيص لآدم عن باقي الخلق، ولو كان ذلك بمعنى القدرة لبطل التخصيص فإنه خلق كل الخلق بقدرته[6].

ذكر البيهقي أن مجيء صفة اليد بصيغة التثنية { **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** } يُبطل التأويل بالنعمة والقدرة لأن نعم الله أكثر من أن تحصى[7].

قال أبو منصور البغداد: « أجمع أهل السنة على أن قدرة الله على المقدورات كلها قدرة واحدة »[8].

{ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا** } لأن دلالة الآية الأولى أصرح من الثانية.

قال ρ : « يطوي السماوات بيد، ثم يطوي الأرض بيده

---

(1) حاشية الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص401، وانظر الإرشاد ص155 للجويني.
(2) إتحاق السادة المتقين 108/2 .
(3) إشارات العوام للبياضي 191 .
(4) كتاب التوحيد لابن خزيمة 197/1 .
(5) فيصل التفرقة 131 .
(6) الإرشاد 156 .
(7) الاعتقاد 88 .
(8) الفرق بين الفرق 322 ، أصول الدين 93 .

الأخرى » هل نقول أن لله نعمة أخرى أو قدرة أخرى غير نعمته وقدرته الأولى؟!».

وقال: « إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أفاض بهم في كفه »[1]؟!.

استدل ابن بطال بهذه الآية على إبطال قول من جعل اليد لله بمعنى النعمة.

واستدل ابن التين بقول النبي ρ : « وبيده الأخرى الميزان » في إبطال هذا التأويل أيضاً[2].

واستدل الحافظ ابن حجر برواية « يمين الله » في الرد على من جعل اليد لله بمعنى النعمة[3].

وصرح الأشعري بأن « أهل السنة والحديث يثبتون لله اليدين والعينين والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك...» إلى أن قال: « وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب »[4].

نقل الحافظ ابن عساكر عنه هذا القول[5].

قال أبو حنيفة: « ولا يقال إن يد الله قدرته أو نعمته لأن هذا إبطال للصفة، ولكن يقال يده صفته بلا كيف »[6].

صرح أبو الفضل أحمد بن الصديق الغماري – أخو عبد الله الغماري – في كتابه (الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد ص46) عند تفسير قوله تعالى: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ }** قال: « أما الأشعرية فأنكرت أن تكون لله يد بالمرة، فهم أظلم منهم، وزعموا أن من قال لله يد وعين وقدم: مشبه ومجسم،

---

(1) حمله ابن فورك على الملك والقدرة والسلطان (مشكل الحديث 109 و236).
(2) فتح الباري 393/13-394 .
(3) فتح الباري 395/13 .
(4) مقالات الإسلاميين 291 .
(5) تبيين كذب المفتري 150 .
(6) الدليل القويم 49، وانظر الإرشاد 161، مشكل الحديث وبيانه 472، الغنيمة 78، شرح النسفية 70، والباجوري على الجوهرة 93 .

وحرّفوا معنى قوله تعالى: { **بِأَعْيُنِنَا** } بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضلّ من قال « قدرتاه مبسوطتان » فإنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القوة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى: { **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** }.

وقال في الكتاب نفسه (ص59) في تفسير قوله تعالى: { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** } قال: « إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ρ حتى بدت نواجذه [تعجباً وتصديقاً له] ثم قرأ { **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** }. حتى قال الخطابي[1]: « ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي، فإن اليهود مشبهة » ثم أنكر ثبوت أي ذكر للأصابع في القرآن ولا في حديث مقطوع به. وهذا باطل فإنه ليس في المخلوقات يد تمسك السماوات ويد تقبض الأرضين السبع ولا إصبع توضع عليها الأرض، وإصبع توضع عليها الجبال.

وقال القرطبي في المفهم: « وضحك النبي ρ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ (وما قدروا الله حق قدره) ثم زعم أن زيادة (تصديقاً) ليست بشيء وهي باطلة أو أن الراوي ظن التعجب تصديقاً »[2]. انتهى.

وقد تعقب الحافظ قول القرطبي بأنه يرد الأخبار الثابتة لأن

---

(1) الخطابي رحمه الله متناقض في موقفه من الصفات فتارة يؤول النص وتارة يتوقف فيه كقوله في قوله تعالى: { **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** } قال: « هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهره ولم يكشفوا عن باطن معناه » (الأسماء والصفات للبيهقي 436) وتراه في غير ذلك يتأول كثيراً من الصفات فقد أثبت الوجه واليدين والعين وفوض في صفتي النزول والاستواء فالتذبذب عنده واضح بين التفويض وبين التأويل.

(2) فتح الباري 398/13 .

زيادة (تصديقاً) ثابتة. ثم رد عليه بأنه يلزم من تأويلاته هذه تقرير النبي ρ لليهودي على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشا لله من ذلك.

قلت: كان رسول الله ρ يغضب إذا انتهكت محارم الله، وما عهدناه يضحك إذا انتهكت.

ثم قال الحافظ: « وقد اشتد إنكار ابن خزيمة[1] على من ادعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار قائلاً: قد أجلّ الله تعالى نبيه ρ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف: ضحكاً!! بل لا يصف النبي ρ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته »[2].

وبهذا يرد على ما ذكره الخطابي أن البخاري أول الضحك بالرحمة. فإنه لا يعرف هذا عن البخاري، ولذلك تعقب الحافظ ابن حجر دعوى الخطابي فقال: « لم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري »[3].

قال ابن فورك: « قال بعض أهل العلم: إن الأصبعين هنا بمعنى النعمتين. فإن قيل: فما تفصيل ما بين النعمتين اللتين يتصرف القلب بينهما؟ قيل: يحتمل أن يكون بمعنى النفع والرفع ويحتمل أن المراد به القدرة والملك والسلطان على معنى قول القائل: ما فلان إلا بين أصبعين »[4].

ومن عادة هؤلاء اتهام الصحابة الرواة بالتصرف والوهم كما فعل القرطبي آنفاً وكما فعله الخطابي وابن بطال وابن فورك في حديث « لا شخص أغير من الله ». وقال ابن بطال: « أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص لأن التوقيف لم يرد به » وقد تعقبهم الحافظ جميعاً وأثبت صحة هذا اللفظ وعدم وقوع الوهم به، وأن هذا يقتضي اتهامهم بالقصور في

---

(1) يصفه الحافظ عادة بأنه إمام الأئمة (انظر: فتح الباري 492/13).
(2) فتح الباري 399/13 .
(3) قارن بين فتح الباري 40/6 وبين 633/8 .
(4) مشكل الحديث وبيانه 238-239 و242 .

فهمهم، ناقلاً عن الكرماني أنه « لا حاجة لتخطئة الرواة.. بل قد يكون المراد بالشخص: أي المرتفع لأن الشخص هو ما ظهر وشخص وارتفع »[1].

وقد ضاق الخطابي صدراً بحديث « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » حتى قال: « ليس في هذا الكتاب – يعني صحيح البخاري – حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورَيْن.. هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل ». ثم زعم الخطابي أن هذه حكاية يرويها أنس من تلقاء نفسه ».

وقد تعقب الحافظ أقوال الخطابي بكاملها وأكد أن قول أنس له حكمك الرفع لأن ذلك لا مجال للرأي فيه. قال: « فالتعليل بذلك مردود »[2].

تأويل الوجه بمعنى الذات قول المعتزلة كما نقله الأشعري[3] عن أبي الهذيل العلاف أنه يثبت لله وجهاً هو هو. ولهذا عارض ابن فورك هذا التأويل بعد أن نسبه للمعتزلة ثم قال: « وجه الله صفته ولا يقال هو الذات ولا غيرها ». وناقضه البغدادي معتبراً وجهه ذاته[4]. تأويل اعتزالي لا يختلف مع قول القاضي عبد الجبار المعتزلي[5].

{ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ } قال البيهقي: « فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال: **{ ذُو الْجَلالِ }** ولو كان ذِكرُ الوجه صلة ولم يكن صفة للذات صفة لقال: « ذي الجلال » فلما قال: **{ ذُو الْجَلالِ }** عَلِمنا أنه نعتٌ

---

(1) فتح الباري 401/13 .
(2) فتح الباري 484/13-485 .
(3) مقالات الإسلاميين 165 .
(4) مشكل الحديث وبيانه 358 وقارنه بأصول الدين 110 .
(5) متشابه القرآن 637-638 .

للوجه وأن الوجه صفةٌ للذات » وأثبته الباقلاني[1].

رد ابن الجوزي على من زعم أن الوجه هو الذات ونسبه إلى المعتزلة قائلاً: « وقول المعتزلة: إنه أراد بالوجه الذات فباطل، لأنه أضافه إلى نفسه، والمضاف ليس كالمضاف إليه، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه »[2]. وذكر أنه لو كان الوجه هو الذات لجاز لقائل أن يقول: يا وجه الله اغفر لي.

« أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم » استعاذ ρ مرة بالوجه ومرة بالذات. فذكر الوجه من قبيل ذكر البعض وإرادة الكل كما تقول (أعتقت رقبة) أي عبداً.

{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ } [البقرة: 115] فقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن المعنى « فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه » وعن مجاهد « قبلة الله فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها »[3].

{ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا } وقوله ρ : « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ».

قال الأشعري: « وأهل السنة والحديث يؤمنون أن الله نورٌ كما قال **{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }**[4].

عن أنس τ أن النبي ρ قال: « ما من نبي إلا حذّر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم عزّ وجلّ ليس بأعور[5]. وفي رواية حسّنها الحافظ « وأشار ρ بيده إلى عينه »[6].

عقد البيهقي لذلك باباً بعنوان (باب ما جاء في إثبات العين) واحتج لذلك بالحديث الدجال المذكور وبتفسير ابن عباس لقوله

---

(1) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص88 ط: دار الآفاق التمهيد 258، وانظر: تفسير الطبري وأقاويل الثقات للمرعي المقدسي 143 .

(2) مجالس ابن الجوزي.

(3) الأسماء والصفات للبيهقي 35/2، وانظر: تفسير القرطبي 402/1 .

(4) مقالات الإسلاميين 211 .

(5) فتح الباري 373/13 و389، مسلم رقم 2933 .

(6) فتح الباري 373/13 حديث رقم (7376).

تعالى: { **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** } أي بعين الله تبارك وتعالى[1].

قال ابن قتيبة[2]: « والذي عندي – والله أعلم – أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصبع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد ».

تأويل صفة المجيء

قال الأشعري: « ونقول إن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: { **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** }[3].

قال ابن عباس في تفسير الآية: « فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ » وعن الضحاك « ثم ينزل الملك الأعلى » وعن قتادة « وجاء الله يومئذ بجهنم، وقال كذلك: « جنبتيه الجنة والنار حين ينزل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه »[4].

روى الإمام أبو عثمان الصابوني[5] عن محمد بن الحسن الشيباني أنه قال: « قال حمّاد بن أبي حنيفة: قلنا للجهمية: أرأيتم قول الله عزّ وجلّ: { **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** } قالوا أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب فإنّا لا ندري ما عني بذلك ولا ندري كيفية مجيئه.

فقلت لهم: إنّا لم نكلّفكم أن تعلموا كيفية مجيئه ولكنا نكلفكم أن تعلموا كيفية مجيئه ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم من أنكر أن الملك يجيء صفاً صفاً ما هو عندكم؟ قالوا كافر مكذب. قلت: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه يجيء فهو كافر مكذب »[6].

---

(1) الأسماء والصفات 40/2-41 .

(2) اختلاف الحديث 541/1 .

(3) تبيين كذب المفتري 161 والإبانة 25 .

(4) تفسير الطبري ج30 ص118-120 .

(5) قال عن السبكي: « الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ الملقب بشيخ الإسلام » 271/4 محققة وانظر شذرات الذهب 282/3 .

(6) عقيدة السلف وأصحاب الحديث 118/1 .

{ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** } قال مجاهد: « يأتي يوم القيامة لفصل القضاء »[1]. وحكى الطبري قول أبي العالية (تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عزّ وجلّ فيما شاء »[2].

6 - اتفاقهم على تأويل صفة العين

نص الأشعري على أن المعتزلة أنكرت صفة العين لله تعالى وتأولوا الآيات الواردة في ذلك بأن المراد منها العلم[3].

تأويل صفة الساق

روى البخاري وغيره بأسانيد صحيحة في حديث طويل وفيه « فيأتيهم الجبَّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقولون هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن »[4].

وفي سنن الدارمي (236/2): « إذا جمع الله العباد بصعيد واحدٍ... فيكشف لهم عن ساقه فيقعون سجّداً، وذلك قول الله تعالى: { **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ** } ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد »[5].

رد الحافظ على ابن حزم الذي وصف سعيد بن أبي هلال بالضعف فقال: « وسعيد متفق على الاحتجاج به فلا يلتفت إليه في تضعيفه »[6]. وقال: « ولم أر لابن حزم سلفاً في تضعيفه

---

(1) الدر المنثور 388/3 .

(2) تفسير الطبري 191/2، الدر المنثور 241/1 .

(3) مقالات الإسلاميين 217 .

(4) البخاري (7439).

(5) سنده قوي. قال الألباني: « وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أن ابن إسحاق إنما أخرج له مسلم متابعة (السلسلة الصحيحة 128/2-129).

(6) فتح الباري 357/13 قال الأخ الشمس الأفغاني في كتابه القيم « عداء الماتريدية لأهل السنة » (446/2) «وقد غمز الكوثري يحيى بن عبد الله بن بكير مع أن الجمهور على توثيقه لا سيما في الليث بن سعد فهو أثبت

»[1].

فأما رواية سعيد فقد جاءت موافقة لما صح سنده عن الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وابن عمر وأبي موسى الأشعري وشهد بصحته الحافظ ابن حجر نفسه كما في المطالب العالية (367/4) والهيثمي (مجمع الزوائد 343/10) والحاكم (376/2) والحافظ المنذري (الترغيب 395/4).

قال السيوطي في الإتقان: « وهذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل »[2].

في الحديث: « هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه ». فلما قالوا: « الساق » ثم كشف عن ساقه وحصل السجود أو محاولته تبين أن المقصود بالساق شيء خاص بالله تعالى هو صفة له، وليس إذهاباً للشدة لأنها موجودة بعد كشفه. بل إن أشد الشدة عند حال السجود خاصة ممن لا يستطيعون. فليس الكرب والشدة هو العلامة.

وفي حديث مسلم « ذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق ». فكيف يفسر الكشف عن الساق بأنه كشف عن الشدة وقد أخبر أن يوم الكشف هذا تشيب له منه الولدان؟ هذا تناقض!

أورد المرتضى الزبيدي للرجل ثلاثة تأويلات محتملة لا يدري أيها يرجح. فزعم أنه يجوز أن يكون معنى الرجل رجل بعض خلقه. أو أن هناك مخلوقاً يخلقه الله يسمى بهذه التسمية، أو

الناس فيه. وحديث الساق الذي رواه البخاري عن يحيى بن عبد الله بن بكير هو من حديث الليث. وهو لم ينفرد بهذا الحديث عن الليث فقد رواه البخاري عن آدم عن الليث.

وغمز الكوثري « سويد بن سعيد الهروي » في رواية مسلم وهو صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، ولم يقل أحد إن مسلماً أخذ عنه في حال عماه، وعلى كل حال فالحديث مروي في صحيح البخاري من غير طريق سويد.

(1) تقريب التهذيب 2410 .

(2) الإتقان 241/2 تحت فصل (طبقات المفسرين).

أن يكون معناه جماعة من الناس. ثم انتهى أن طائفة من أهل الكلام تفضل السكوت والتفويض[1].

شكك ابن الجوزي في صحة اللفظ، وشكك ابن فورك في صحة الرواية فزعم أن لفظ الرجل غير ثابت عند أهل النقل، وتعقبه الحافظ ابن حجر والزبيدي ورد عليه وعلى ابن الجوزي الذي زعم أن لفظ الرجل محرفة[2]، بل منهم من ضعف هذه الروايات لجهله بفن الحديث كالرازي[3].

صرح كثيرون كالحافظ ابن حجر أن « السلف لم يخوضوا في التأويل » (فتح الباري 350/13) والطحاوي الذي قال: « والتأويل المعتبر: ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه جماعة المسلمين ».

الرازي يؤول قول النبي ρ : ((ضحكتُ لضحك ربي)) أي « أن الضحك الحاصل في ذاتي بسبب أن الرب خلق ذلك الضحك ». ثم زعم أن قوله ρ : ((فيضحك الرب منه)) قد حصل فيه الغلط في إعراب هذا اللفظ وأن الصواب أنه بضم الياء أي يُضحِكُ اللهُ الملائكة »[4].

وذكر ابن عبد السلام لضحك الله ثلاثة معان:

الأول: أن يريد الرب بمن أطاعه ما يريده الضاحك بمن أضحكه.

الثاني: أن يعامله معاملة الضاحك من أضحكه.

الثالث: أنه لمّا أشبهت معاملته معاملة الضاحك بمن أضحكه تجوّز عنها بالضحك، ووصف الله سبحانه بالضحك محمول على الرضى والقبول[5].

---

(1) مشكل الحديث مشكل الحديث 46، الباز الأشهب 84، وانظر فتح الباري 596/8، وإتحاف السادة المتقين 341/8 .
(2) فتح الباري 596/8، إتحاف السادة 341/8 .
(3) أساس التقديس 186 .
(4) أساس التقديس 189 .
(5) الإشارة إلى الإيجاز ص107 ط: دار البشائر.

وأوله الخطابي تارة بالرضا وتارة بإضحاك الملائكة[1]. بينما يفسر ابن فورك الضحك بالظهور والبيان ووافقه البغدادي[2].

قال رسول الله ρ عن أهل الجنة: ((فيضحك [الله] في وجوههم)) وفي رواية: ((يتجلى لنا ربنا ضاحكاً))[3]. والتجلي بالضحك في وجوه المؤمنين يأبى التأويلات الفاسدة. وقوله: ((ضحك ربنا من قنوط عبده)) وقوله: ((ضحكتُ لِضحك ربي)).

وفي صحيح مسلم (رقم 187) عن ابن مسعود أن رسول الله ρ قال: ((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك..)) فضحك ابن مسعود فقال: « ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ρ فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟ قال: ((من ضحك رب العالمين...))» فضحكُ رسولِ الله ρ من ضحك رب العالمين يبطل تأويلاتكم يا من تتورعون عما لم يتورع عنه رسولكم.

فما يمنع أن نسلّمَ لله ورسوله ونقرنها بـ{ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** }. ولكن سوء ظن المعطلة بربهم أرادهم فأصبحوا من أهل التحريف.

أن الرسول ρ ذكر قصة آخر رجل يُخرجه الله من النار ويُدخله الجنة ثم ضحك وقال: « ألا تسألوني مِمَّ أضحك ؟ (قال الراوي: هكذا ضحك رسول الله ρ) فقال الصحابة: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضَحِكِ رب العالمين »[4]. وضحك الرسول مما ضحك الله منه ظاهر في إبطال تأويل الضحك بالرضى.

ابن الجوزي (وهو من منـزّهة الحنابلة عندكم) قال: « أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرّونه كما جاء » حكاه عنه

---

(1) الأسماء والصفات للبيهقي 2/216-218 .
(2) مشكل الحديث وبيانه 139 ط: عالم الكتب أصول الدين للبغدادي ص80 .
(3) مسلم (316) وابن خزيمة (153) وأحمد 4/407 .
(4) رواه مسلم (187)، كتاب الإيمان باب (83).

الحافظ[1] وقال: « لم ينقل عن الصحابة أنهم قالوا (استوى) أي (استولى) و(ينـزل) أي (يرحم)[2].

8) أن البيهقي قد اعترف بأن المتقدمين من أصحابه (أي الأشاعرة) لم يشتغلوا بتفسير مثل هذه الصفة[3].

قال شارح الفقه الأكبر عند عبارة أبي حنيفة (وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف) « فلا يؤولان بأن المراد بغضبه ورضاه: إرادة الانتقام ومشيئة الإنعام »[4].

سطر الحافظ ابن حجر اعتراف أبي جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة وكبارهم بأن مسألة أول واجب على المكلف هو النظر من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب »[5].

وسفّه أبو المظفر بن السمعاني هذا المبدأ الاعتزالي ووصفه بأنه قول مبتدع لم يعرفه السلف الذين كان أول الواجب عندهم الإتيان بالشهادتين[6].

النفي التفصيلي عند أهل البدع

نقل أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة قولهم أن الله « ليس بذي لو ولا طعم ويتنـزه عن الألوان والطعوم ولا رائحة ولا حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يتحرك[7] ولا يسكن ولا تجوز عليه المساحة وليس بذي جهات ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة »[8].

---

(1) فتح الباري 40/6 .

(2) صيد الخاطر 103 ط: المكتبة العلمية.

(3) الأسماء والصفات 224/2 .

(4) الفقه الأكبر بشرح ملا علي قاري 33 لكن البغدادي خالفه فأول ذلك كله (أصول الدين 46).

(5) فتح الباري 70/1 و348/13 .

(6) مختصر الانتصار لأهل الحديث. اختصره السيوطي في صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص171-172 .

(7) تأمل كيف تتسرب سلبيات المعتزلة فيمن جاءوا بعدهم.

(8) مقالات الإسلاميين 155 و 305 .

وهذه طريقة الأشاعرة كقولهم بأن الله لا يذوق ولا يشم[1] وليس موصوفاً بالألوان والطعوم والروائح ولا يتألم ولا يتلذذ[2] وليس بمعدوم[3] وليس بجسم وليس بجوهر ولا عرض وليس في زمان[4]. وأنه مُنزّه عن القيام والقعود والاتكاء والتعلق والاتصال والانفصال والمقابلة والمدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة ومماس وساكن ومتحرك[5] ومُنزَّهٌ عن الذوق للمطعومات والمشمومات والروائح والشهوة والكمية والكيفية، ويرى بلا حدقة ويسمع بلا صماخ أذن[6].

اعترف الرازي أن صفات الله تعالى على نوعين:

صفات ذاتية: فهذه لم يزل متصفاً بها لا يجوز القول أنه اتصف بشيء منها بعد أن لم يكن مثل صفات: العليم، الحكيم، القدير، الرحيم.

أما الصفات الأخرى كالاستواء والنزول والمجيء والوجه واليدين والعينين فهي صفات فعلية: وليست أزلية. وهي صفات قائمة بمشيئته واختياره كما قال الشافعي: « يقرب من خلقه كما يشاء »[7].

« إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله »[8].

« وكثير من أهل الكلام أنكروا قيام الصفات الفعلية بمشيئة الله واختياره. لئلا يلزم من ذلك قيام الحوادث به سبحانه، فقالوا صفات الله كلها أزلية. واضطروا إلى القول بعد ذلك أن الله تعالى

---

(1) الإرشاد للجويني 89 تحقيق الحوت.
(2) المواقف للإيجي 278 ، المحصل 230-231 ، أصول الدين 78 .
(3) تمهيد الأوائل للباقلاني 50 .
(4) المواقف 273-274 .
(5) من كلام الحبشي في كتابه الدليل القويم 141 .
(6) إظهار العقيدة السنية 114 و 160 ، الدليل القويم 52 .
(7) عون المعبود 41/13، وطبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى 283/1 .
(8) أخرجه البخاري (4712) ومسلم رقم (194).

كان يحب الصحابة أيام كانوا كفاراً ويبغض المرتدين قبل حصول الردة منهم يوم كانوا مؤمنين.

وحجتهم في ذلك أنهم قالوا: إذا أثبتنا الصفات الفعلية الاختيارية قلنا بحلول الحوادث بالرب.

وخالفهم آخرون في قضية الصفات الفعلية: فقالوا بحدوثها لئلا يلزم أن يكون المخلوق قديماً[1] حتى إن البيهقي وجماعة قسموا جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة إلى قسمين:

1 - صفات الذات: وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال.

2 - صفات الفعل: وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل[2] قاله الحافظ العسقلاني في الفتح.

كما نقل عن الكرماني تقسيم الصفات إلى ثلاثة أقسام آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال: « ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله »[3].

قال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: { **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** } وقوله: { **لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** } بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } وقال ابن مسعود عن النبي ρ : ((إن الله عزّ وجلّ يُحدِث من أمره ما يشاء))[4].

عن قتادة ((لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه))[5].

وقال الطبري: « فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش »[6]. فهذا إثبات فعل موقت بوقت خاص.

---

(1) فتح الباري 496/13 .

(2) فتح الباري 357/13 ، وانظر: كتاب الاعتقاد 70 للبيهقي.

(3) فتح الباري 497/13 .

(4) البخاري 410/4 تحقيق عبد الباقي.

(5) رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح 2: 120 والذهبي في مختصر العلو 98 .

(6) تفسير الطبري 152/1 .

خطورة عدم التفريق بين الذاتية والفعلية

سطر الحافظ اعتراف الفخر الرازي في المطالب العلية بأن قول من قال: أنه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح الأقوال نقلاً وعقلاً[1]. كما قال بذلك الآمدي ذاكراً أن المحتجين بنفي الحوادث احتجوا بحجج ضعيفة[2].

وصرح الرازي في الأربعين في أصول الدين بأن « أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وإن أنكروه باللسان:

- فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بإرادة حادثة لا في محل. وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات.

- والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة.

- والفلاسفة يقولون بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث ». ثم انتهى إلى القول:

« وذلك الوصف الإضافي حدث في ذاته »[3].

قال الهيتمي: « صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية »[4].

نص البخاري في باب قول الله تعالى: { **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** } وقوله: { **لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** }بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** } وقال ابن مسعود عن النبي ρ : ((إن الله عزّ وجلّ يُحدِث من أمره ما يشاء))[5].

{ **مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ**

---

(1) فتح الباري 455/13 .
(2) درء تعارض العقل والنقل 27/4 .
(3) الأربعين في أصول الدين للرازي 118 .
(4) فتح المبين شرح الأربعين 78 ، وانظر: فتح الباري 439/13 .
(5) البخاري 410/4 .

يَلْعَبُونَ }.

التوافق الشيعي الباطني الأشعري في تأويل الصفات

إن الدراسة المقارنة للفرق مهمة جداً، بها تظهر مضاهأة الفرق المتأخرة للمتقدمة. وقد وصف الله النصارى الذين جعلوا له الولد أنهم { **يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ** }. وإليك طائفة من تأويلات الشيعة والباطنية الإسماعيلية التي لم يقل السلف في تفسيرهم للصفات شيئاً منها:

قال محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية بوجوب النظر والمعرفة في أصول الدين ولا يجوز تقليد الغير فيها[1] وقال محمد بن الحسن الطوسي: « لا يمكن الوصول إلى الله إلا بالنظر... ويحتاج الكلام في حدوثها – أي الأجسام – ثم بيان أن لها محدثاً يخالفها فيكون ذلك علماً بالله »[2] وهذا شبيه بقول الماتريدية والأشاعرة أن أول الواجب على المكلف هو النظر وشهد الحافظ ابن حجر أنه مما تبقى عند الأشاعرة من مخلفات المعتزلة (انظر: الفتح 70/1).

وقال الطوسي: « إنا نعلم أن الجسم يكون على صفات من اجتماع وحركة، فيتغير إلى أن يصير مفترقاً وساكناً » (44).

وقال محمد رضا المظفر: « الله ليس بجسم ولا صورة وليس جوهراً ولا عرضاً ليس له ثقل أو خفة ولا حركة أو سكون ولا مكان ولا زمان ولا يشار إليه. ومن قال بأن له وجهاً وعيناً ويداً أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا.. فإنه بمنزلة الكافر... فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم أو الحديث، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم، فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد

---

(1) عقائد الإمامية محمد رضا المظفر 66 ط: دار الزهراء 66 .

(2) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص42، محمد بن الحسن الطوسي توفي 460، ط: دار الأضواء: بيروت.

الاستعارة والمجاز »[1].

وقال: « والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد »[2]. أضاف:

« فمن وصفه فقد حده ومن حده فقد عده » « فاعل لا بمعنى الحركات والآلة »[3]. « البصير لا بتفريق آلة والسميع لا بأداة » « لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال »[4]. « لا يحويه مكان »[5].

وقال الداعي الإسماعيلي ابن الوليد: « المكان منفي عن الله ».

« ومن قال: أين، فقد شبهه، ومن قال أين فقد بوّأه »[6].

التأويل عند الشيعة

قال أبو علي الطبرسي في مجمع البيان: { **أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } أي عذاب من في السماء سلطانه... لابد أن يكون هذا معناه لاستحالة أن يكون الله في مكان أو جهة، وقيل { **مَّن فِي السَّمَاءِ** } أي الملك الموكل بعذا العصاة[7].

وقال الطوسي الشيعي: « ولا يجوز أن يكون تعالى في جهة »[8].

وفي كتاب الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي وجوامع الجامع للطبرسي { **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** } أي القدرة[9].

---

(1) عقائد الإمامية 70 .
(2) عقائد الإمامية 74 .
(3) نهج البلاغة 16 و 274 و 354 .
(4) نهج البلاغة 357/1 و 375 .
(5) نهج البلاغة 332/1 .
(6) تاج العقائد ومعدن الفوائد 28 و 31 .
(7) مجمع البيان في تفسير القرآن ج 29 ص14 دار مكتبة الحياة بيروت.
(8) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد 73 .
(9) الميزان في تفسير القرآن 33/6 ط: مؤسسة الأعلمي بيروت جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد 431/2 للفضل بن الحسن الطبرسي ط: دار الأضواء.

وفي مجمع البيان للطبرسي **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** « يمكن أن يكون المراد بالنعمة، وقيل إن المراد باليدين: القوة »[1].

وقال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة: « وهذه استعارة والمراد به المبالغة في وصف النعمة وليس يريد به الجارحتين »[2].

وقال الطبرسي: « وقوله تعالى: **{ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }** قيل معناه خلقته بقدرتي »[3]. وقال في قوله تعالى: **{جَاءَ رَبُّكَ}** « أي أمر ربك »[4].

وقال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة: **{ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ }** أي بقدرته واليمين هاهنا بمعنى الملك وليس اليمين التي هي الجارحة، وقد يعبرون عن القوة باليمين »[5].

في كتاب الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي **{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }** كناية عن استيلائه »[6].

وقال أيضاً: « هذه استعارة. لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التي تعلو البساط وتميل وتعتدل، والمراد بالاستواء هاهنا الاستيلاء »[7].

وقال الطوسي الشيعي[8]: « معناه استولى عليه كما قال الشاعر:

استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة في كتابه تلخيص

---

(1) مجمع البيان 147/6 ط: دار مكتبة الحياة بيروت.

(2) تلخيص البيان في مجازات القرآن 133 تحقيق محمد عبد الغني حسن. ط: دار الأضواء بيروت.

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي 132/23 .

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي 133/30 .

(5) تلخيص البيان في مجازات القرآن 287 .

(6) الميزان في تفسر القرآن 150/8 .

(7) تلخيص البيان في مجازات القرآن 153-154 .

(8) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد 71-72 .

البيان في مجازات القرآن: { **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ** } « أي منازل العز ومراتب الفضل التي يخص بها عباده الصالحين وأولياءه المخلصين رفيعة الأقدار فالدرجات المذكورة هي التي يرفع عباده إليها لا التي يرتفع هو بها: تعالى عن ذلك علواً كبيراً »[1].

ما حكم القائلين بهذا القول ؟

قال الطوسي في كتابه الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد (ص65): « وأما كونه متكلماً فلا يمكن أن يكون إلا بكلام محدث لأن حقيقة المتكلم من وقع منه الكلام الذي هو هذا المعقول بحسب دواعيه ».

وقال: « وينبغي أن يوصف كلام الله بما سماه الله تعالى به من كونه محدثاً. قال تعالى: { **مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ** } (ص: 66-67).

وقال: « ولا يجوز عليه تعالى الرؤية بالبصر لأن من شرط صحة الرؤية أن يكون المرئي نفسه أو محله مقابلاً للرائي بحاسة » (ص: 74-75). وقوله: { **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } « فكأنه قال: لثواب ربها منتظرة » (ص76). فهل يجوز التعاون مع من يقول بذلك ضد من لا يقول بذلك؟!

أسأل الله أن تكون هذه العجالة تنبيهاً لمن أحسن الظن بطوائف المؤولة ليتبين له كيف وقعوا في موافقة طوائف أهل البدع وخالفوا بها أهل السنة كأحمد والشافعي ومالك وغيرهم. زاعماً أن التأويل الباطني الأصل عقيدة أهل الحق. وفق الله الجميع لما يجب ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أدلة العلو بالجملة

اعترف التفتازاني قائلاً: « فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي

---

(1) تلخيص البيان في مجازات القرآن 289 .

الحيز والجهة [يعني نفي علو الله على عرشه وفوقيته] فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع واحد تصريح بنفي ذلك؟

أجاب بأنه: « لما كان التنـزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة: كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب إلى إصلاحهم والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنـزيه المطلق عما هو من سمة الحدوث »[1].

قال ابن سينا: « فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون مقرِّباً ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل »[2].

{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى } **{ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }** قال البغوي: « أي العالي على كل شيء »[3] وقال الطبري: « وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه »[4].

{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } روى البخاري (7430) عن النبي ρ أنه قال: « ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ».

{ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } قال الطبري عن الحسن τ : « رفعه إليه فهو عنده في السماء »[5].

{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }.

{ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } قال البخاري: « قال مجاهد:

---

(1) شرح المقاصد 50/2 .

(2) رسالة أضحوية في أمر المعاد 44-51 تحقيق سليمان دنيا.

(3) تفسير البغوي 26/5 وصفه السبكي بمحيي السنة الإمام الجليل الورع الزاهد المحدث المفسر الجامع بين العلم والعمل السالك سبيل السلف (طبقات السبكي 75/7).

(4) جامع البيان للطبري مجلد 11 ج25 ص6 .

(5) جامع البيان مجلد 3 ج3 ص203 .

يقال ذي المعارج: الملائكة تعرج إلى الله »[1]. وقال الطبري: « يعني تصعد الملائكة والروح إلى الله عزّ وجلّ، والهاء في قوله { **إِلَيْهِ** } عائدة على اسم الله عزّ وجلّ »[2]. يؤكد صحة هذا التفسير قول النبي ρ : ((ألا تصفُّون كما تصفّ الملائكة عند ربها)) مسلم (430) وأبو داود (661). وقوله: ((وذكرهم الله فيمن عنده)) (مسلم 2699).

{ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** }.

{ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** }.

{ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** } { **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** }.

ومن السنة

قول النبي ρ للجارية: « أين الله؟ قالت: في السماء. قال لمولاها: اعتقها فإنها مؤمنة »[3].

وكان ρ في خطبة يوم عرفة يقول: ((ألا هل بلّغت؟)) فقالوا: نعم. فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: ((اللهم اشهد)) (مسلم 1218). فهذه إشارة حسّاً إلى العلو ممن هو أعلم بما يجب على الله من جاء بعده ووافق في نفيه المعتزلة والجهمية.

((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء))[4].

((الراحمون يرحمهم الرحمن: ارحموا من في الأرض

---

(1) البخاري 389/4، كتاب التوحيد باب رقم 23 .

(2) جامع البيان مجلد 12 ج29 ص44 .

(3) رواه مسلم (537)، وأحمد 447/5، والبغوي في شرح السنة 237/3 .

(4) زعم بعضهم أن المراد بالذي في السماء هو جبريل. ولكن جبريل هو نفسه أمين من في السماء كما قال تعالى: { **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** } فجبريل هو أمين السماء.

يرحمكم من في السماء))[1].

((أنا أمين من في السماء)) (مسلم رقم 144) وكذلك: ((إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها)) (مسلم رقم 1436).

قال البيهقي في الأسماء والصفات (2: 165): « ومعنى قوله في هذه الأخبار "من في السماء" أي فوق السماء على العرش كما نطق به الكتاب والسنة ». وذكر البيهقي قول جهم أن الله مع كل شيء وفي كل شيء ثم قال: « كذب عدو الله: إن الله في السماء كما وصف نفسه » (الأسماء والصفات 2: 170). وقول البيهقي يبطل مزاعم الحبشي أن آية **{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ }** المراد به جبريل أو الملائكة.

وذكر رسول الله ρ المسافر: ((يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام: فأنى يُستجاب لذلك)).

وقال: ((والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأة إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها)).

((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)) (متفق عليه).

((إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفراً)) (الترمذي 3551 وأبو داود 1488) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: 143/11 "سنده جيد".

((إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض... فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيسألهم [الله] – وهو أعلم – من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عباد في الأرض)) (مسلم 2689).

وقيل لعائشة: ((يراك الله من فوق سبع سماوات)) (أحمد

---

(1) وزعموا أن الضمير عائد على جبريل. والناس يستغنون برحمة الله عن رحمة جبريل. يبين ذلك قول النبي ρ : ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء)) (البخاري 1284 ومسلم 923) وقوله: ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)) (الترمذي رقم 1923 بسند صحيح). (الراحمون يرحمهم الرحمن).

276/1 والحاكم وصححه).

وقول زينب: « زوّجني الله من فوق سبع سماوات » (البخاري رقم 7420)[1].

قال عمر في خولة بنت ثعلبة: « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات » (البيهقي 162/2 طبري 28/4-5).

حديث معراج النبي ρ وفيه: ((ما زال يعرَج بالنبي ρ حتى بلغ السماء السابعة)). وما زال يتردد بين موسى وبين ربه، في كل مرة يقول له موسى ارجع إلى ربك. ونص الحديث: ((ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فأوحى إليَّ ما أوحى)).

قال النبي ρ لسعد بن معاذ: ((لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات))[2].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ : ((فإن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة)) (رواه البخاري 2790).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ : ((لما قضى الله الخلق: كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي)) رواه البخاري (7404).

قال ابن عباس τ : « لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء » (البخاري: خلق أفعال العباد ص40).

قال عبد الله بن مسعود: « والعرش فوق الماء، والعرش فوق

---

(1) وقد زعم بعضهم بأن زينب تقصد بذلك أن الله زوّجها بالقدر المكتوب في السماء على اللوح المحفوظ، وهذا ينفي المزية التي جعلتها تفتخر بما خصها الله به عن النساء الأخريات.

(2) الأسماء والصفات 2: 161، والحاكم في المستدرك 2: 124 .

الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم »[1].

سئل ابن المبارك: « كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة (وفي لفظ) فوق سبع سماوات على عرشه »[2].

قال أبو بكر τ : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت »[3].

عن ابن عباس في قوله تعالى: { **ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ** } قال: لم يستطع أن يقول "مِن فوقِهم" عَلِم أن الله فوقهم »[4].

حول الاستواء

في صحيح البخاري في كتاب التوحيد (باب: وكان عرشه على الماء) قولَ مجاهد: استوى أي علا. وقول أبي العالية استوى أي ارتفع؟ وقول أحمد بن حنبل: الاستواء هو العلو والارتفاع. وهو القول الموافق للغة أيضاً حيث أن "استوى" متعدية بأداة (على).

تفسير مجاهد وأبي العالية للاستواء بـ(علا وارتفع) عين قول أحمد بن حنبل كما في رواية أبي الفضل التميمي عنه[5].

قال الأشعري رحمه الله: « وقالت المعتزلة: { **ثُمَّ اسْتَوَى**

---

(1) رواه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد 139/7 والبيهقي بلفظ مقارب في الأسماء والصفات 507 وقال الحافظ الذهبي: «إسناده صحيح» (العلو ص64).

(2) رواه البخاري في خلق أفعال العباد 10 باب يريدون أن يبدلوا كلام الله والبيهقي في الأسماء والصفات 2: 169 وعبد الله بن أحمد في السنة 175/1 وقال الذهبي: «هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك» (العلو 110) سير أعلام النبلاء 402/8 .

(3) رواه البخاري في التاريخ الكبير 202/1 .

(4) تفسير الطبري 101/8، الدر المنثور 73/3، واللالكائي والطبري 397/3 .

(5) طبقات الحنابلة 296/2 .

عَلَى الْعَرْشِ } يعني استولى[1]. وقال في رسالته إلى أهل الثغر: « وليس استواء الله استيلاء كما قال أهل القدر »[2]. وأهل القدر هم المعتزلة.

وقال أبو بكر ابن فورك في مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري (ص325): « إن مخالفينا يقولون إن معنى الاستواء: الاستيلاء ».

قال الحافظ ابن عبد البر: « والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو العلو والارتفاع على شيء، وقولهم في تأويل الاستواء (استولى) فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة »[3].

الحجة الدامغة في كشف كذب المفتري

قال الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال: « فسلك أبي الحسن طريقاً وسطاً بينهما »[4].

وقال أبو منصور البغدادي: « زعمتِ المعتزلةُ أن استوى بمعنى استولى » مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على ... من غير سيف ولا دم

قال: « وهذا تأويل باطل »[5] كذلك قال ابن حزم[6].

وذكر ابن الجوزي تفسير (الاستواء) بـ(الاستيلاء) وقال: « وهذا منكر عند اللغويين » وذكر أن هذا البيت لا يعرف له قائل، كذا قال ابن الفارس اللغوي، ولا حجة فيه لِمَا بيّنّاه من استيلاء من لم يكن مستولياً، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتجسيم

(1) مقالات الإسلاميين 157 و211، التبيين لابن عساكر 150، رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة 216/1، شرح الأصول الخمسة 226، متشابه القرآن 72 للقاضي عبد الجبار.

(2) ص233-234 تحقيق الجنيدي.

(3) التمهيد لابن عبد البر 131/7 .

(4) تبيين كذب المفتري ص150 .

(5) أصول الدين 112 .

(6) الفِصَل في الملل والنحل 123/2 .

المجسمة[1]. وقال: « ما نُقِل عن الصحابة أنهم قالوا: استوى بمعنى استولى »[2].

وقال أبو بكر بن فورك بأن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف[3].

وذكر ابن حجر أنه « يلزم من هذا التأويل: أن يصير الله غالباً بعد أن لم يكن »[4].

وقال في الفقه الأكبر: ولا يقال إن استواءه على العرش استيلاؤه[5].

وذكر ابن بطال تأويل قول المعتزلة (استولى) وقال: « فأما قول المعتزلة فهو قول فاسد » نقله الحافظ العسقلاني عنه ووافقه عليه[6].

واحتج بقول ابن الأعرابي[7] بأن الاستيلاء ليس من معاني الاستواء في اللغة، وأن العرب لا تقول « استولى على العرش فلان حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل: استولى عليه، والله تعالى لا مضاد له »[8].

قال الباقلاني: « لا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش استيلاؤه عليه لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً. وقوله: **{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }** يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن. فبطل ما قالوه »[9]. « ولازم تأويلهم

---

(1) زاد المسير 213/3 .

(2) صيد الخاطر 103 .

(3) الأسماء والصفات 519 .

(4) فتح الباري 405/13 .

(5) الفقه الأكبر 33 ملا علي القاري.

(6) فتح الباري 405/13-406، وانظر: إتحاف السادة المتقين 107/2 .

(7) الذي وصفه الحافظ الذهبي بأنه "إمام اللغة" سير الأعلام 407/15 .

(8) فتح الباري 405/13-406، الأسماء والصفات 2: 154، إتحاف السادة المتقين 108/2، تاريخ بغداد 273/5، واللالكائي 993/4، ونقله ابن منظور في لسان العرب 414/14.

(9) التمهيد 262 تحقيق ونشر مكارثي.

أنه كان مغالباً فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه »[1].

وقد ساق الحافظ أقوال أئمة أهل السنة في إثبات صفة الاستواء – بعد أن أبطل القول بالاستيلاء وأثبت أصوله الاعتزالية – ثم قال معقباً: « فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة »[2].

وقال ابن عبد البر: « وقولهم استوى: أي استولى لا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد ».

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: « وليس الاستواء على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة »[3].

قال الطحاوي: « من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ». غير أننا الآن نحتج عليكم بما تحتجون به عادة.

علق المرتضى الزبيدي على تأويل الغزالي للاستواء بالاستيلاء بأنه تأويل محتمل، وأنه لا دليل على تعيين هذا التأويل، بل نص على أنه تأويل "بعض" الخلف[4].

قال السيوطي: « إن الله تعالى مستولٍ على الكونين والجنة والنار وأهلهما، فأي فائدة في تخصيص العرش بالذكر »[5].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلة في شرح أصوله: « فإن قالوا: فما وجه تخصيص العرش بالذكر؟ قلنا: لأنه أعظم ما خلق الله تعالى فلهذا اختصه بالذكر »[6].

الأشاعرة القدامى يثبتون لله الجلوس والاعتلاء

واعترف البيهقي بأن أبا الحسن الطبري – من خواص

---

(1) فتح الباري 406/13 .

(2) فتح الباري 407/13-408 .

(3) الغنية لطالبي الحق 56 .

(4) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين 104/2-105 .

(5) الإتقان 9/2، وانظر: فتح الباري 406/13 .

(6) شرح الأصول الخمسة ص227 وقالها في كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن ص175، 253 .

أصحاب أبي الحسن الأشعري – قد صرح بأن الله في السماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء: الاعتلاء، كما يقول: « استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوت الطير على قمة رأسي، بمعنى: علا في الجو فوجد فوق رأسي، والقديم سبحانه عالٍ على عرشه »[1].

قال الشيخ عبد الله القادر الجيلاني من قبل، بأن الاستواء لله « هو استواء الذات »[2]. فهل أنتم قادريو الطريقة في التصوف لا في العقيدة؟

استواء الذات

وقال الحارث المحاسبي فذكر أدلة الفوقية من القرآن { **أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } { **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** } ثم قال: « فهذا يوجب أنه فوق العرش لأنه أبان في هذه الآية أن (ذات بنفسه) فوق عباده »[3].

وقال أبو المظفر السمعاني إمام الشافعية في زمانه في قصيدته التي شرح بها عقيدة أهل السنة:

عقائدهم أن الإله بذاته   على عرشه مع علمه بالغوائب[4]

الفوقية بين الأشعرية والمعتزلة

تحريف العلو إلى علو المنزلة

ذكر ابن حجر الهيتمي أن الصحيح أن من قال إن الله في السماء لا يكفر[5].

وقال ابن فورك: « اعلم أنه ليس يُنكر قول من قال: إن الله في

---

(1) الأسماء والصفات 517-518 محققة 152/2-153 .

(2) الغنية لطالبي الحق ص56 .

(3) فهم القرآن 346-350 .

(4) وقد حاول السبكي الطعن في نسبتها إليه، انظر: طبقات السبكي 141/6 محققة.

(5) الزواجر عن اقتراف الكبائر 365/2 .

السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به، وهو قوله: { **أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } ومعنى ذلك أنه فوق السماء »[1].

اعترف الأشعري أن الحبائي – من المعتزلة – لا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية، فإن وُجِد في القرآن ما يثبت الفوقية فهو مؤول بالقهر والاستيلاء وأن الله مستولٍ على العباد »[2].

بينما أثبت الأشعري أن شيخه عبد الله بن سعيد القطان الملقب بابن كلاّب كان يعتقد أن الله مستو على عرشه كما قال وأنه فوق كل شيء »[3].

وأثبت الحارث المحاسبي أن الله عزّ وجلّ تكلم بالوحي « تكليماً من نفسه من فوق عرشه من فوق سماواته »[4].

وذكر أدلة الفوقية من القرآن { **أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } { **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** } ثم قال: « فهذا يوجب أنه فوق العرش لأنه أبان في هذه الآية أن ذاته بنفسه فوق عباده »[5].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: « وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء (الذات) على العرش لا على معنى القعود والمماسة ولا على العلوِّ والرِّفعة كما قالت الأشعرية، بل إنه في السماء على العرش كما قال: { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** }[6].

وروى البخاري عن سعيد بن عامر أنه قال: « الجهمية شرٌّ من اليهود ومن النصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله تبارك وتعالى على العرش، وهؤلاء قالوا:

---

(1) مشكل الحديث وبيانه 392 .

(2) مقالات الإسلاميين 532 .

(3) مقالات الإسلاميين 298-299 .

(4) فهم القرآن ص302 و 309 .

(5) فهم القرآن 346-350 .

(6) الغنية لطالبي طريق الحق 56 ونقل الحافظ ابن رجب كلامه هذا في طبقات الحنابلة 296/3 .

ليس على العرش شيء »[1].

وروى قول حماد بن زيد وأبو بكر بن عياش « إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء » وقال عباد بن العوام: « كلمت بشر المريسي وأصحابه، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء »[2].

قال ابن الجوزي: « قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا: إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ρ : ((أين الله؟)) كانت خرساء فأشارت إلى السماء، أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض. وقالوا: إن الله ليس في السماء ».. ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل إلى السماء الدنيا بل النازل رحمتُه، فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها[3].

وهذا يتفق مع ما رواه الذهبي عن ابن الجوزي أنه قال: « أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب »[4].

وروى البخاري عن سليمان التميمي أنه قال: « لو سُئِلتُ أين الله لقلتُ في السماء »[5].

وروى الطبري عن قتادة قوله: « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه »[6]. وقال الطبري: « فلما فرغ من خلق ما

---

(1) رواه البخاري في خلق أفعال العباد 11 .

(2) رواه البخاري في خلق أفعال العباد 9، السنة للخلال 91/5 رقم 1695 و113/5 رقم 1753 و123/5 رقم 1776 و1781 ورواه عبد اله بن أحمد في السنة 117/1 رقم (14) وانظر: سير أعلام النبلاء 24/6، ومختصر العلو ص246 .

(3) كتاب صيد الخاطر 115 و116 و181 وقد وافقهم الأشاعرة أمثال ابن فورك حيث قال: «إنما أشارت الجارية إلى السماء لأنها كانت خرساء» (مشكل الحديث وبيانه 159-160).

(4) سير أعلام النبلاء 376/21 .

(5) خلق أفعال العباد 37 واللالكائي في شرح أصول السنة 92/2، العلو للذهبي 99 .

(6) رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح 2: 120، والذهبي في مختصر العلو 98 .

أحب استوى على العرش »[1].

وروى الطبري بسنده عن الربيع بن أنس { **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** } أي ارتفع إلى السماء وكذلك "علا عليه"[2]. ثم قال: « والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله تعالى: { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** } الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ».

وهو قول ابن عباس (ارتفع إلى السماء) كما رواه عنه البغوي في تفسيره حيث قال: « وهو قول أكثر المفسرين »[3].

بل قال الحافظ ابن حجر: « ونقل محيي السنة البغوي عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع »[4].

وروى اللالكائي بسنده عن بشر بن عمر قال: « سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: الرحمن على العرش استوى: ارتفع »[5].

وحكى ابن فورك أن (استوى) بمعنى علا مروية عن بعض أصحابه (أصحاب مذهبه)[6].

وحكى البيهقي عن أبي الحسن الطبري تلميذ الأشعري أن أهل النظر ذهبوا إلى أن الله تعالى في السماء أي فوق كل شيء مستوي على عرشه بمعنى أنه عال على عرشه، والاستواء هو الاعتلاء كما يقول: استويت على ظهر الدابة: واستويت على السطح بمعنى علوته.

قال البيهقي: « وقد أشار أبو الحسن إلى هذه الطريقة حكاية فقال: وقال بعض أصحابنا... أن الله مستو على عرشه أنه فوق

---

(1) تفسير الطبري 152/1 .
(2) تفسير الطبري 150/1 و 62/13 .
(3) تفسير البغوي 78/1 البقرة آية رقم 29 .
(4) فتح الباري 406/13 .
(5) شرح أصول الاعتقاد 397/2 .
(6) الأسماء والصفات 152/2 .

الأشياء »[1].

قال أبو حنيفة: « من قال لا أعرف ربي: في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذلك من قال: إنه على العرش ولا أدري: العرش في السماء أو في الأرض؟ لأن الله تعالى قال: { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** }[2].

قيل له: فإن قال: إن الله تعالى على العرش استوى ولكن (القائل) يقول: لا أدري: العرش في السماء أم في الأرض؟

قال: هو كافر لأنه أنكر كون العرش في السماء لأن العرش في أعلى عليين[3]، والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية في شيء. انتهى.

وقد حكى المرتضى الزبيدي أن المعتزلة لا يثبتون هذه الرسالة لأبي حنيفة لما فيها من إبطالا أصولهم، ثم عارض الزبيدي ذلك قائلاً: « والصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه كحماد وأبي يوسف و«أبي مطيع البلخي» فمنهم الذين قاموا بجمعها وتلقاها عنهم جماعة من الأمة... إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي. فمن عزاهن إلى الإمام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهن إلى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح »[4].

قال العلامة الحنفي ملا علي قاري: « اعلم أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله صنف الفقه الأكبر في حال الحياة والوصية عند الممات »[5].

ويؤيده ما رواه البيهقي من أن امرأة كانت تجالس جهم بن صفوان، جاءت إلى أبي حنيفة وقالت له: « أنت الذي تعلّم الناس

---

(1) الأسماء والصفات 152/2 .
(2) انظر: الفقه الأكبر 36-37، والعلو للذهبي 101 .
(3) كما في نسخة الكوراني.
(4) إتحاف السادة المتقين 13/2 و159 .
(5) شرح الفقه الأكبر 93 .

المسائل وقد تركتَ دينك. أين إلهك الذي تعبده؟

فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إليها وقد وضع كتابَيْن: عنوان أحدهما: (الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض).

فقال له رجل: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: **{ وَهُوَ مَعَكُمْ }** فقال: « هو كما تكتب إلى الرجل إني معك. وأنت غائب عنه »[1].

قال البيهقي بعد هذه القصة: « لقد أصاب أبو حنيفة τ فيما نفي عن الله عزّ وجلّ من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إن الله عزّ وجلّ في السماء.

وهذا القول مطابق لقول أحمد. قال الخلال في كتاب السنة: « حدثنا يوسف بن موسى قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان، قال: نعم لا يخلو شيء من علمه.

قال الخلال: وأخبرني الميموني قال: سألت أبا عبد الله عمن قال: إن الله ليس على العرش، فقال: كلامهم يدور على الكفر. قيل له فما معنى قوله: **{ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ }** قال: علمه يحيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة. وحكى أحمد عن الجهمية أنهم « يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ».

وهو مطابق لقول مالك τ حيث قال: « الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء »[2].

وقال أبو محمد بن أبي زيد المالكي في رسالته بنفسه القول

---

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات 2: 170 تحقيق حيدر.

(2) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة 1/106-107 (رقم 11)، وأبو داود في المسائل (263)، والآجري في الشريعة (ص289)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة 3/401، والذهبي في سير أعلام النبلاء 8/101، والتمهيد 7/139-142، والانتقاء 35، كلاهما لابن عبد البر وترتيب المدارك 2/43 .

وهو أن الله فوق عرشه بائن من خلقه[1].

فرعون ((المتعالي)) ينكر علو الله

{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً } قال الأشعري في الإبانة: والجويني وابن خزيمة أن فرعون « كذَّب موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السماوات »[2].

وقال الطبري: «... يقول: وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي: إن له في السماء ربّاً أرسله إلينا »[3].

وحكاه ابن الجوزي في (زاد المسير 223/6).

وقال الدارمي[4]: « ففي هذه الآية بيان بيّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع عليه »[5].

وقال ابن عبد البر في التمهيد: « فدلّ على أن موسى عليه السلام كان يقول إليه في السماء وفرعون يظنه كاذباً »[6].

إكراه الفطرة على ما تمتنع عنه

والناس مفطورون على اعتقاد علو الله كما اعترف به عبد الله بن كُلاّب شيخ أبي الحسن الأشعري[7].

---

(1) انظر: الرسالة مع شرحها الثمر الداني ص11، وفي كتاب الجامع (ص108) له أيضاً «أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه».

(2) الإبانة 106، رسالة في إثبات الاستواء والفوقية 177/1 ضمن المنيرية والتوحيد لابن خزيمة 114 .

(3) تفسير الطبري مجلد 11 ج24 ص43 ومجلد 10 ج20 ص49 .

(4) قال عنه الذهبي: « كان لهجاً بالسنة وفاق أهل زمانه... وكان جذعة في أعين المبتدعة ». قال أبو الفضل الجارودي: « كان عثمان الدارمي إماماً يُقتدى به في حياته وبعد مماته » (سير أعلام النبلاء 319/3-325).

(5) الرد على الجهمية 21 .

(6) التمهيد 133/7 .

(7) سير أعلام النبلاء 11: 175 .

قال ابن قتيبة رحمه الله: « ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه »[1].

قال ابن عبد البر في تعليقه على حديث الجارية: « ولم يزل المسلمون في كل زمن ومكان إذا همهم أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عزّ وجلّ »[2].

وقد قعد الجويني في مجلس وعظه يورد الأدلة على نفي علو الله، فقال له أبو جعفر الهمداني: « أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها: ما قال أحد: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ هل عندك دواء لدفع هذه الضرورة؟ فصرخ الجويني "حيّرني الهمداني"»[3].

قال أحد الأشاعرة الرفاعيين: « كان عز الدين الصياد مكث طيلة حياته لم يرفع طرفه إلى السماء حياءً من الله تعالى »[4].

وقال السبكي: « آخر كلمة تكلم بها أبو محمد المزني أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء »[5].

وقال الغزالي حاكياً عن ابتهالات الأولياء: « فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء »[6].

{ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } فسر النبي ρ صفة

---

(1) تأويل مختلف الحديث ص183 .
(2) التمهيد 81/22 و 134/7 .
(3) سير أعلام النبلاء 475/18 والعلو (مختصره ص276).
(4) خزانة الإمداد في سيرة بني الصياد 24 و36 وهو أشعري وأحد كبار الرفاعية وانظر كتاب «حالة أهل الحقيقة مع الله» للشيخ أحمد الرفاعي 134-135 وكتاب «روضة الناظرين» للوتري 90 وقال بمثل ذلك الهيتمي في تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان ص2 .
(5) طبقات السبكي 19/3 محققة.
(6) إتحاف السادة المتقين 453/4 .

(الظاهر) بقوله: « أنت الظاهر فليس فوقك شيء ».

قال الطبري: « "الظاهر" أي العالي على كل شيء دونه وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه »[1].

وقال ابن الأثير أي الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه[2].

روى البيهقي أن الباطن معناه أنه مع ظهوره وعلوّه فإنه الباطن القريب من عباده العالم بهم، المطلع على سرهم وعلنهم وإن كان فوق الجميع. وهو فوق عرشه[3].

وكما قال ابن مسعود: « والله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم »[4].

معنى « في السماء » في مفهوم أهل السنة

{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ } قال البيهقي وغيره: « وكل ما علا فهو سماء » وإنما بمعنى « على » وهذا ما حكاه أبو بكر بن فورك والبيهقي عن أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه أن العرب تضع (في) بمعنى (على) كما في قوله تعالى: **{ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ }** أي على النخل وقوله: **{ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ }** أي سيروا على الأرض وفوقها، فكذلك قوله: **{ مَّن فِي السَّمَاءِ }** أي على العرش فوق السماء كما صحت به الأخبار. ونقل الحافظ ابن حجر كلام البيهقي[5].

ونقل النووي عن القاضي عياض ما نصه: « فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء

---

(1) تفسير الطبري المجلد 124/27/11 .

(2) جامع الأصول 164/3 .

(3) الأسماء والصفات للبيهقي 173/2 .

(4) رواه البخاري في خلق أفعال العباد 43 والبيهقي في الأسماء 145/2 بسند جيد.

(5) الأسماء والصفات 162/2-163 تحقيق عماد الدين حيدر، مشكل الحديث وبيانه 172 و335 و392، وانظر: فتح الباري 418/13، وانظر أيضاً 67/8 حديث رقم (4351) وفي كتاب التوحيد 415/13، وانظر: كتاب الاعتقاد للبيهقي ص113 .

والمتكلمين تأول "في السماء" أي على السماء »[1].

قال رسول الله ρ : « الخيمة درّة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون » (متفق عليه) قال النووي رحمه الله: « قوله (طوله في السماء) أي في العلو »[2].

قال الحافظ في الفتح: « وروى البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي أنه قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته »[3].

وقال الحافظ الذهبي: « مقالة السلف وأئمة السنة بل الصحابة والله ورسوله ρ والمؤمنون: أن الله عزّ وجلّ في السماء وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته ». ومقالة الجهمية أنه في جميع الأمكنة.

ومقالة متأخري المتكلمين: أن الله تعالى ليس في السماء، ولا على العرش ولا على السماوات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارجه ولا هو بائن عن خلقه ولا هو متصل بهم...

قال لهم أهل السنة والأثر... إن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم بل هو متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف[4].

وقال الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد 129/7-135) ما نصه: « وفيه دليل على أن الله عزّ وجلّ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة » أضاف « ومن الحجة أيضاً على أنه عزّ وجلّ على العرش فوق السماوات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم

---

(1) شرح النووي على مسلم 24/5-25 .
(2) شرح النووي على مسلم ج176/17 .
(3) فتح الباري 13: 406. الأسماء والصفات للبيهقي 2: 150، وأورده الذهبي في تذكرة الحفاظ 179/1، وسير أعلام النبلاء 120/7-121 و402/8، ومختصر العلو ص146 .
(4) العلو للعلي الغفار 107-195، مختصر العلو 146 و287 .

شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليه مسلم ».

وقال عثمان الدارمي: « اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته »[1].

هل السماء قبلة الدعاء

قال تعالى: { **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** } كان النبي يستقبل القبلة عند الدعاء والاستسقاء قال الراوي: « فلما أراد ρ أن يدعو استقبل القبلة »[2] باب (الدعاء مستقبل القبلة) عند البخاري[3]، ولما دعا على نفر من قريش رفع يديه واستقبل القبلة[4].

وكان يرفع أصبعه إلى السماء ويخاطب ربه كقوله: « ألا هل بلغت؟ قالو نعم » فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول اللهم فاشهد[5].

زعم الرفاعيون أن قبر الشيخ الرفاعي قبلة الدعاء يتوجه المكروب إليها ويخطو نحوها ثلاث خطوات من أي مكان من العالم ويُقسم على الرفاعي أن يكشف عنه همّه وكربه[6] والشيخ عندهم « كعبة القاصدين وقبلة المريدين، كما أن عرش الرحمن قبلة أصحاب الهمم »![7].

---

(1) سير أعلام النبلاء 325/13 قال عنه الذهبي: «العلامة الحافظ الناقد فاق أهل زمانه وكان لهجاً بالسنة وكان جذعاً في أعين المبتدعة» (سير أعلام النبلاء 319/13-324).

(2) البخاري (1028).

(3) انظر كتاب الدعاء حديث رقم (6343) ومسلم (1763).

(4) البخاري (3960).

(5) مسلم (1218).

(6) قلادة الجواهر 434-435 و 239 .

(7) القواعد المرعية 7 والتاريخ الأوحد 103 والفخر المخلد 2 وقلادة الجواهر 132 والفجر المنير 88 .

جارية ترغم أنوف أهل الكلام

قول النبي ρ للجارية: **((أين الله))** قال ابن الجوزي: « قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا: إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ρ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت إلى السماء[1].

قال الطبري: « وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه » و « أنه تعالى ذو ارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه »[2].

وقال البغوي: **{ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }** أي العالي على كل شيء[3].

قال الطبري: « وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه »[4].

5) حديث الجارية التي قال لها رسول الله ρ : **((أين الله؟))** قالت: في السماء. فقال لسيدها: **((أعتقها فإنها مؤمنة))**[5].

رواه مالك بلفظ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ فقالت: أشهد. وأما رواية مسلم: قال لها: **((أين الله؟..))** قال: فهذا الاختلاف في اللفظ يوضح الاضطراب. ومالك أضبط للحديث من مسلم، بل اتفق العلماء على أن مالكاً أضبط رواة الحديث[6]. انتهى.

شهد الحافظ ابن حجر بصحة الحديث ولم يحك فيه اضطراباً ولا علة فقال: « وهو حديث صحيح أخرجه مسلم »[7]. فخذه «

---

(1) صيد الخاطر 115 و116 و181 ط: المكتبة العلمية – بيروت.
(2) الطبري المجلد (3) 9/3 والمجلد (11) 6/25 .
(3) تفسير البغوي 26/5 .
(4) جامع البيان للطبري مجلد 11 ج25 ص6 .
(5) رواه مسلم (537)، وأحمد 447/5، والبغوي في شرح السنة 337/3 .
(6) مجلة منار "الهدى" 27/16 قال ابن حجر الهيتمي في فتح المبين (55) تعليقاً على قول الشافعي «لا أعلم كتاباً بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك» (إنما كان قبل ظهورهما [أي البخاري ومسلم] فلما ظهرا كانا أحق بذلك وأولى).
(7) فتح الباري 359/13 .

حيث حافظ عليه نص ».

بل هي عند مالك بلفظ: **((أين الله))** [1].

أن مالكاً أخطأ في ضبط اسم راوي هذا الحديث حينما روى حديث (أين الله) فسماه (عمر بن الحكم) وإنما هو (معاوية بن الحكم السلمي). وقد روى الشافعي حديث الجارية (أين الله) ثم استدرك على مالك هذا الخطأ فقال: « وهو معاوية بن الحكم: وأظن مالكاً لم يحفظ اسمه » (الرسالة ص76) وكذلك انظر كتابه (الأم 280/5). وكذلك استدرك النسائي هذا الوهم في (التفسير من الكبرى 427/8 تحفة) وقال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الحبير 222/3) « وهو من أوهام مالك في اسمه ».

طعن الكوثري في الحديث

أن أبا حنيفة روى هذا الحديث[2]، وذكر أنه لم يطعن أحد فيه إلا المعتزلة هو والسمرقندي[3].

وأثبته شرّاح صحيح مسلم بتمامه وشرحوه كالحافظ النووي[4]. ولم يطعن أحد منهم في قصة الجارية.

قال ابن فورك: « اعلم أنه ليس يُنكر قولُ من قال: إن الله في السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به، وهو قوله: { **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } ومعنى ذلك: أنه فوق السماء »[5].

{ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** }، { **وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** }، قرن الإمام ابن قتيبة بين الآيتين ثم قال: « هكذا قال المفسرون »[6].

---

(1) انظر: موطأ مالك 776/2 كتاب العتق والولاء باب عتق أمهات الأولاد.

(2) مسند أبي حنيفة لأبي محمد الحارث باختصار صدر الدين الحصكفي مع شرح ملا علي قاري 157 .

(3) الفقه الأبسط بشرح أبي الليث السمرقندي 20 والتعليق الصبيح 72/4 .

(4) مسلم رقم (538) وأنظر شرح النووي على صحيح مسلم 24/5-26 .

(5) مشكل الحديث وبيانه 392 .

(6) تأويل مختلف القرآن 546 .

{ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ** }.
وفي سورة الأعراف { **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ** }.
كما قال: { **وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ** } أثنى على المؤمنين فقال: { **وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ** } [الأحزاب: 39].
قال الطبري[1]: { **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } وهو الله[2]. كذا روى ابن الجوزي عن ابن عباس[3]. والبغوي والسيوطي[4].
وقال أحمد: { **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } فهذا خبر من الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً[5].
وقال البيهقي: « معنى الآية والله أعلم: ءأمنتم مَن على العرش » « أي مَن فوقَ العرش »[6].
وروى القرطبي عن ابن عباس: « ءأمِنتم عذاب مَن في السماء إن عصيتموه »[7].
وروى السيوطي عن مجاهد { **مَّن فِي السَّمَاءِ** } أي هو الله تعالى[8].
وقال الألوسي: { **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** } « وهو الله عزّ وجلّ.. وأئمة السلف لم يذهبوا إلى غيره.. فهُم مؤمنون بأنه عزّ وجلّ في السماء على المعنى الذي أراده سبحانه مع كمال التنزيه، وحديث الجارية من أقوى الأدلة لهم في هذا الباب،

---

(1) وصفه الأحباش بالحافظ المجتهد (انظر مجلتهم منار "الهدى" 22/14).
(2) تفسير الطبري المجلد 29/12 وتقدم وصف السبكي له بأنه الإمام الجليل المجتهد المطلق أحد أئمة الدنيا علماً وديناً. قال السيوطي: هو عندي المبعوث على رأس المائة الثالثة (صون المنطق والكلام للسيوطي 87-88).
(3) زاد المسير 322/8 .
(4) معالم التنزيل للبغوي 371/4، والدر المنثور للسيوطي 238/8 .
(5) الرد على الجهمية 41 و 48 .
(6) الأسماء والصفات 116/2 و168 تحقيق حيدر، وكتاب الاعتقاد 113، تحقيق أحمد عصام الكاتب.
(7) تفسير القرطبي 215/17 .
(8) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور 249/6 .

وتأويله بما أوّلَ به الخلف خروجٌ عن دائرة الإنصاف عند أولـي الألباب »[1].

قال ابن المبـارك: « كل قوم يعرفون مـا يعبـدون إلا الجهميـة »[2].

أين كان قبل خلق المكان؟

نـصّ العـز بـن عبـد الـسلام علـى أن: « اعتقـاد موجـود لـيس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة فـي العـادة ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف علـى أدلـة صـعبة المدرك عسرة الفهم »[3].

وهو معكم أينما كنتم

قـال سـفيان الثـوري ومقاتـل بـن حيـان وأحمـد بـن حنبـل والـضحاك ونعيم بن حمـاد (هو علـى العرشـش وعلمـه معهـم)[4] وروى ابـن جريـر ذلـك عـن طائفـة مـن الـسلف واحـتج بـذلك ابـن الجوزي والسيوطي أيضاً[5].

وقولـه تعـالى: { **وَهُوَ اللّـهُ فِـي السَّمَاوَاتِ وَفِـي الأَرْضِ يَعْلَـمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَـا تَكْسِبُونَ** } [الأنعام: 3] قـال القرطبـي: « يعلم ويسمع نجواهم. يدل عليه افتتاح الآية بـالعلم ثم ختمهـا بـالعلم » فالمعيـة معيـة علـم. غيـر أن أهـل الزيـغ تعلقـوا بوسـط الآيـة وأغفلوا فاتحتها وخاتمتها.

قوله تعالى: { **وَهُوَ الَّذِي فِـي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِـي الأَرْضِ إِلَـهٌ** } قال مجاهد وقتادة في تفسير هذه الآيـة: « يُعبَد فـي الـسماء ويُعبد

---

(1) روح المعاني 15/29 .
(2) رواه البخاري في خلق أفعال العباد 20 .
(3) قواعد الأحكام الكبرى 170 .
(4) الأسماء والصفات 173/2، والمسائل لأبي داود 263، وانظر خلق أفعال العباد للبخاري 12 .
(5) تفسير الطبري مجلد 12 ج28 ص10، وزاد المسير 160/8، سير أعلام النبلاء 116/10، والدر المنثور 171/6 .

في الأرض »[1]. وحكى الحافظ ابن عبد البر الإجماع والاتفاق على هذا المعنى، وقال ابن جرير بنحو ذلك[2].

قال الجوهري: « ألَه بالفتح إلاهة أي: عبده عبادة، قال: ومنه قولنا: الله. وأصله: إلاه، على فِعَال، بمعنى: مفعول. بمعنى معبود، كقولنا: إمام: فِعَال بمعنى: مفعول لأنه مؤتم به. والتأليه: التعبيد والتأله: التنسك والتعبد[3]. ولذلك لم يقل الله تعالى: (إله السماوات والأرض) وإنما قال: { **رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** }.

رواية: (وهو الآن على ما عليه كان) المكذوبة حجة الجهمية والمعتزلة من قبلكم ردها ابن تيمية ووافقه الحافظ ابن حجر

رواية « كان الله ولا مكان » « وهو الآن على ما عليه كان » قال الحافظ ابن حجر ((تنبيه)) « وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبَّه على ذلك العلاّمة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] إلى آخره »[4].

ذكر الأشعري احتجاج المعتزلة بها وأنها من جملة مقالاتهم[5].

معراج النبي ρ دليل على الفوقية

حديث معراج النبي ρ مازال يعرَج بالنبي ρ حتى بلغ السماء السابعة. وأنه ρ مازال يتردد بين موسى وبين ربه، في كل مرة يقول له موسى ارجع إلى ربك. ونص الحديث:

« ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فأوحى إلي ما أوحى ». وجاء في الرواية التي عند البخاري (رقم 7517) « ثم علا به

(1) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص20، تفسير البغوي 224/7، زاد المسير لابن الجوزي 333/7 .
(2) التمهيد 134/7، تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ج2 ص62 .
(3) مختار الصحاح 22 .
(4) فتح الباري 289/6 .
(5) مقالات الإسلاميين 157 .

فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ».

أخذ الخطابي يشكك في رواية أنس قائلاً بأن: « القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي ρ » ثم غمز شريكاً وزعم أنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة.

وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: « وما نفاه من أن أنساً لم يسند هذه القصة إلى النبي ρ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي فإما أن يكون تلقاها عن النبي ρ أو عن صحابي تلقاها عنه، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون لها حك الرفع، كما رجحه الحاكم وحكاه عنه الزبيدي[1].

ثم نقل الحافظ قول الخطابي: « إن الذي وقع في نسبة التدلي للجبار عزّ وجلّ مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم منهم ومن تأخر ». ثم تعقبه ثانية بأن ذكر ما أخرجه الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله تعالى: **{ وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى }** قال: دنا منه ربه ».

قال الحافظ ابن حجر: « وهذا سند حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك ». وقال: « وأما ما جزم به الخطابي من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي ففيه نظر، فقد ذكرتُ من وافقه ».

ثم ذكر الحافظ تحريف القرطبي – مما هو عند أهل الكلام تأويل – لقول ابن عباس: « ولقد رآه نزلة أخرى: أي دنا منه ربه ». قال القرطبي: « والمعنى دنا أمره وحكمه » ثم تعقبه الحافظ بقوله: ويعكر عليه بعد ذلك **{ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }**.

ثم تعقب طعن ابن حزم وعبد الحق في جرحهما لشريك بأن نقل عن أبي الفضل بن طاهر قوله: « تعليل الحديث بتفرد شريك

(1) إتحاف السادة المتقين 531/4 .

ودعوى ابن حزم أن الآفة منه شيء لم يسبق إليه: فإن شريكاً قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به، وروى عبد الله بن أحمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين: «لا بأس به» وقال ابن عدي: « مشهور من أهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روي عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف، قال ابن طاهر: وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال، وعلى تقدير تسليم تفرده قبل أن يوحي إليه لا يقتضي طرح حديثه، فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين »[1]. ثم ذكر الحافظ جملة من المآخذ والإشكالات على هذه الرواية وأجاب عنها.

وتضعيف الحديث للهروب من صفة الدنو لا يفيد شيئاً، فعند البخاري أن رسول الله ρ قال: « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه » وفي لفظ: « يدنو أحدكم من ربه » وفي لفظ: « يدنى المؤمن من ربه » (2441 و6070 و7514 و4685) وأنا أقول ما قاله أبو بكر يوم سأله المشركون عن موقفه من قول النبي ρ إنه أسري به (إن كان قالها فقد صدق. وأقول يسرع إليهم الشيطان بإيحاءاته: قالها من هو أعلم منكم بربكم وأشده له خشية منكم.

ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى ρ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحطّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله

---

(1) فتح الباري 13/484-486 .

التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى عليه السلام. فقال: ارجع إلى فاسأله التخفيف. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه »[1].

القرآن كلام الله

قال النبي ρ : « ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي »[2].

{ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً }، **{ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى }** فبين جل جلاله أن الكتاب هو القرآن لا غير.

قال ρ : « نبدأ بما بدأ به الله »[3].

{ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً } فتأمل.

قال أحمد فيما رواه عنه أبو الفضل التميمي: « إن لله عزّ وجلّ كلاماً هو به متكلم، وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت، وامتدح بها نفسه فقال عزّ وجلّ في الذين اتخذوا العجل: **{ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً }** فعابهم لما عبدوا إلهاً لا يتملك ولا كلام له، فلو كان إلهنا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه وسقطت حجته على الذين اتخذوا العجل »[4].

قال الإمام الطحاوي في كلام الله: « منه بدأ بلا كيفية » في الرد على من قال بأن كلام الله معنى واحد لا يتصور سماعه[5] وأن إثبات كلام يوقل بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم، فكيف نثبت بالدليل المعقول شيئاً لا يعقل؟.

قال: ويؤيده المأثور عن السلف من أنه تعالى لم يزل متكلما

---

(1) الدليل القويم 188 .

(2) رواه أبو داود (7434)، والترمذي (2925)، وأحمد (390/3) وسنده صحيح.

(3) رواه مسلم (1218)، وأبو داود (1905)، والموطأ 374/1 .

(4) طبقات الحنابلة 296/2 .

(5) الفصل في الملل والنحل 123/1 .

إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم[1].

اعترف الرازي أن القول الكلام الأزلي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً فغير معلوم التصور وهو محض الجهالة[2].

السيوطي ينقل كلاماً يثبت حيرة الأشاعرة حول موقفهم من كلام الله[3].

رجع بعض محققي الأشاعرة عن هذا القول منهم الرازي و«الإيجي» صاحب المواقف كما حكاه عنه «الجرجاني» ومال إليه «الشهرستاني» ومن المتأخرين ابن الهمام «ملا علي القاري» والشيخ «إبراهيم الكوراني» في كتابه «إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام» قاله الألوسي[4].

بينما بقي أكثرهم على عقيدة أن الله لا يتكلم متى شاء وأن كلامه غير متعلق بمشيئته وقدرته. وإنما التكليم عندهم هو خلق الإدراك فقط.

قال الحافظ: « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء »[5].

ونقل عن أحمد قوله أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وعزا العلامة الحنفي هذا القول إلى أئمة السنة والحديث القائلين بأن كلام الله حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم وهو مختار الإمام (أي أبي حنيفة) والطحاوي[6].

وأن كلام الله « منه خرج وإليه يعود » حسبما رواه

---

(1) نظم الفرائد 11-13 .

(2) محصل أقوال المتقدمين والمتأخرين 266 .

(3) الحاوي للفتاوي 336/1-337 .

(4) فتح الباري 455/13، وانظر المطالب العالية 106/2-111 و106/2 و204/3-207، ونهاية الإقدام 312-313، المسامرة على المسايرة 89/1 .

(5) فتح الباري 496/13 .

(6) فتح الباري 493/13، و455/13، الفقه الأكبر 29-31 .

البيهقي[1].

قال ρ : **((إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء))**[2].

في رواية الخلال وأبي الفضل التميمي عن أحمد بن حنبل أنه كان يضلل من يقول: إن القرآن عبارة عن كلام الله عزّ وجلّ، وأنه قد جهل وغلط[3].

قال الدارمي: « أسماء الله لم تزل له كما لم يزل »[4].

شهادة خطيرة لابن الجوزي

قال ابن الجوزي[5]: « قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم فارتقوا منابر التذكير والوعظ وكانوا يقولون في مجالسهم: ليس لله في الأرض كلام. وهل المصحف إلا ورَقٌ. ثم قالوا: أين الحروفيّة الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت؟ هذا عبارة جبريل »[6].

وقالوا: لم ينزل القرآن ولا يُتصور نزوله، وكيف تنفصل الصفة عن الموصوف وليس في القرآن إلا حبرٌ وورق.

وقالوا: إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ρ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت إلى السماء. أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض.

- وقالوا: إن الله ليس في السماء ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل إلى السماء الدنيا بل النازل رحمتُه. فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها[7] فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في

---

(1) الأسماء والصفات 315-316 محققة: 381/1 .

(2) مسلم (811).

(3) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية الخلال ص107، تحقيق السيروان، طبقات الحنابلة 296/2 .

(4) النقض على بشر المريسي ص13 قال عنه الذهبي: « العلامة الحافظ الناقد فاق أهل زمانه وكان لهجاً بالسنة وكان جذعاً في أعين المبتدعة » (سير أعلام النبلاء 319/13-324).

(5) وهو ممن يحتج به الحبشي ويمتدحه ويقول بأنه من مُنزِّهة الحنابلة.

(6) صيد الخاطر 181 ط. المكتبة العلمية، وانظر: المنتظم 332/6 .

(7) كتاب صيد الخاطر 115 و116 ط. المكتبة العلمية، بيروت.

صدور أكثر العوام.

ابن الجوزي يوبخ الأشعري

قال ابن الجوزي: « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن إسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عَنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس » فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق[1]. وهو ما حكاه الشهرستاني عن الأشعري في الفصل في الملل والنحل (123/1).

وقال أبو نصر السجزي رحمه الله: « اعلموا أرشدكم الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق... في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً إلى أن ظهر ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: « ونعتقد أن أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة، لأن بها يصير الأخرس والساكت متكلماً، فمن جحد ذلك فقد كابر حسه وعميت بصيرته »[2]. وذلك خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم قديم بالنفس[3]. وانتهى إلى أن الآيات القرآنية والآثار تدل على أن كلام الله صوت لا كصوت الآدميين كما أن علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه صفات الآدميين، كذلك صوته، وقد نص أحمد وجماعة من الأصحاب على ذلك[4].

المعتزلة والأشاعرة متفقون على خلق الكلام

صرح الأشاعرة والماتريدية بأنهم متفقون مع المعتزلة في أن القرآن مخلوق والفرق بينهم وبين المعتزلة أن المعتزلة لا يؤمنون بالكلام النفسي[5].

---

(1) كتاب صيد الخاطر 181 و183، المنتظم 332/7 .
(2) الغنية لطالبي الحق 59 .
(3) الغنية 60 .
(4) الغنية 62 .
(5) إشارات المرام 144 للبياضي، شرح العقائد النسفية 57-58، شرح الفقه الأكبر عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي 374 لأبي الخير محمد أيوب علي.

صرح الجويني بأن الاختلاف مع المعتزلة هو اختلاف في العبارة والتسمية مع أنهم متفقون مع الأشاعرة في المعنى والجوهر فإن معنى قول المعتزلة: « هذه العبارات أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله ولكن نمتنع عن تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته »[1].

قال البيجوري: « يمتنع أن يقال أن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم »[2].

وقال الماتريدي: أن الله أفهم موسى كلامه بصوت تولى تخليقه موسى في الشجرة. قال محمد أبو زهرة: « وهو بذلك يلتقي مع المعتزلة »[3].

قال الحافظ: « وقالت المعتزلة أن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة »[4].

رفض ابن الهمام قول الماتريدي ورجح مذهب الأشعري عليه[5].

القول بالكلام النفسي مخالف لأهل السنة وأحمد

روى البخاري: « إن الله ينادي بصوت يسمعه من قرب » ثم قال: « وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذِكرُه يُسمَع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يُصعقون من صوته. فإذا تنادى الملائكة لم يُصعقوا »[6].

ونسب الحافظ ابن حجر الكلام النفسي إلى الأشاعرة، بينما

---

(1) الإرشاد 116-117، والمحصل للرازي 265-266 .

(2) جوهرة التوحيد 72، تحفة المريد 94 .

(3) التوحيد للماتريدي 59، تاريخ المذاهب الإسلامية 183، تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات 254 .

(4) فتح الباري 454/13-455 .

(5) المسامرة شرح المسايرة 89/1 .

(6) خلق أفعال العباد للبخاري 137 فقرة رقم (364).

ذكر هو والمرتضى الزبيدي تمسك أحمد بأن الله يتكلم بصوت، وهو ما أثبته أبو الفضل التميمي في روايته عن أحمد[1].

وكتب الموفق المقدسي رسالة « تحريم النظر في كتب علم الكلام » أثبت فيها بالأدلة أن الله يتكلم بحرف وصوت رداً على ابن عقيل شيخ ابن الجوزي.

وقد نبه المرتضى الزبيدي إلى أن من قال بالصوت نظراً للأحاديث الواردة فيه لا ينسب إلى الجهل[2]. وأثبت أحمد في رواية أبي الفضل التميمي عنه أن الله يتكلم بالحرف والصوت[3].

قال الأشعري: « ونحن بما كان عليه أحمد قائلون: ولمن خالف قوله مجانبون »[4].

والدليل على مخالفة الأشاعرة لأحمد ما حكاه السبكي من أن الحسين بن علي الطبري كان أشعري جرت مناظرات بينه وبين الحنابلة القائلين بالحرف والصوت[5].

وأنشد ابن أعين[6] في أحمد هذه الأبيات:

أضحى ابن حنبل محنة وبِحُبِّ أحمد يُعرَف

وإذا رأيتَ لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستُهتَك

الأدلة على بطلان الكلام النفسي :

قال ابن فارس في معنى الكلام « يدل على نطق مُفهم »[7].

وفي الحديث القدسي: « أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ

---

(1) فتح الباري 460/13، إتحاف السادة المتقين 79/2-80، طبقات الحنابلة 296/2 .

(2) إتحاف السادة المتقين 150/2 .

(3) طبقات الحنابلة 296/2 .

(4) تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر 158 .

(5) طبقات السبكي 350/4 .

(6) فيما نقله ابن عساكر عنه (التبيين 421).

(7) معجم مقاييس اللغة 131/5 .

ذكرته في ملأ خير منهم »[1].

وقال تعالى: { **وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ** } [المجادلة: 8] وقال رسول الله ρ : **((أن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به))**[2].

وقال عمر τ : « زورت في نفسي كلاماً » والتزوير إصلاح الكلام وتهيئته كما قال الأصمعي[3].

وقال النبي ρ : **((إن الله يحدث لنبيه ما شاء، وإن مما أحدث لنبيه أن لا تكلموا في الصلاة))**[4].

من طرائف المقدسي

لما كان عبد الرحمن بن عساكر يمر بالموفق بن قدامة المقدسي فيسلم عليه لا يرد الموفق عليه السلام. فسئل عن سبب امتناعه عن ذلك فقال: « إنه يقول بالكلام النفسي وأنا أرد عليه في نفسي »[5].

قال النجم الطوفي: « إن الكلام مشتق من "الكَلْم" لتأثيره في نفْس السامِع، والمؤثر في النفس إنما هو العبارات لا المعاني النفسية.

الباقلاني يحاول تقرير الكلام النفسي مستدلاً بالأخرس « الذي لا ينطق باللسان ولا يسمع بالصوت وإنما يفهمنا كلامه القائم بنفسه ونفهمه كلامنا القائم بأنفسنا بالإشارة دون نطق اللسان »[6]!

أكد القشيري أن الله أفرد موسى في وقته بأن أسمعه كلام "نفسه" بغير واسطة وأن مذهب القدرية أن موسى سمع كلاماً من

---

(1) البخاري 328/13، ومسلم رقم (2675).
(2) البخاري 478/11، ومسلم (127).
(3) البخاري (6830)، وفتح الباري 145/12، وانظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام 242/3 .
(4) أخرجه البخاري تعليقاً 496/13، وأحمد 377/1، وأبو داود (924).
(5) طبقات السبكي 184/8 محققة.
(6) الإنصاف 159 .

الشجرة فلزمهم أن يقولوا إنه سمع كلام الشجرة[1].

{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً }.

قال الحافظ: قال الأئمة هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة. وقال النحاس: إن الفعل إذا أُكّد بالمصدر لم يكن مجازاً ووجب أن يُحمل على الحقيقة التي تُعقَل[2]. واحتج بها الإمام أحمد على الجهمية في مناظرته أمام المأموم ليؤكد ميزة موسى على غيره في سماع كلام الله الحقيقي[3].

قال أبو حنيفة: « وسمع موسى عليه السلام كلام الله »[4]. قال عبد الله بن كلاّب شيخ الأشعري **{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ }** أي حتى يفهم كلام الله[5]!

قال الحارث المحاسبي: « إذ تكلم الله عزّ وجلّ به تكيماً من نفسه من فوق عرشه من فوق سماواته »[6].

قال السبكي: « القول بأن الكلام النفسي يُسمَع: هو أحد قولي الأشعري مرة قال يُسمع ومرة قال: لا يُسمَع »[7].

وحكى قصة المكالمة المباشرة التي جرت بين الله وبين أبي الحسن الخلعي قال: « غشيتني حُمّى، فهتف بي هاتف ناداني باسمي. فقلت: لبيك داعي الله، فقال: لا بل قل: لبيك ربي الله. ما تجد من الألم؟ فقلت: إلهي وسيدي ومولاي: قد أخَذَتْ مني الحمى ما قد علمت. فقال: قد أمرتها أن تقلع عنك[8].

{ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا }، وقال: **{ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ**

---

(1) طبقات السبكي 417/3 .

(2) فتح الباري 13: 479، الفقه الأكبر بشرح القاري 26 .

(3) رواه عنه حنبل في المحنة 63 .

(4) الفقه الأكبر 26 .

(5) مقالات الإسلاميين 585 .

(6) فهم القرآن ص302 و309 .

(7) طبقات السبكي 294/10 .

(8) طبقات السبكي 254/5-255 .

الأَيْمَن }، قال الطحاوي: أن كلام الله « قولٌ على الحقيقة »[1].

{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }، **{ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ }** [هود: 14]، **{ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ }** [آل عمران: 61].

{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ } زعم ابن كلاب شيخ الأشعري أن معناها (حتى يفهم كلام الله)[2] والفهم لا يحصل إلا بعد السماع: فموسى سمع أولاً ففهم معنى ما سمع ثانياً.

قال ρ : **((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان))**[3].

وقال لجابر بن عبد الله يوم استُشهد أبوه: **((إن الله كلّم أباك من غير حجاب))** وكيف يكلم الله أبا جابر بن عبد الله، وما ميزة «من غير حجاب»؟!!.

{ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ } [الفتح: 15].

كلام الله عندهم من نظم مخلوقاته

ذكر البيجوري والأمير في شرحهما على جوهرة التوحيد أن أهل السنة (يقصد الأشاعرة) على خلاف في ذلك.

فبعضهم يرى أن ألفاظه من عند جبريل.

والبعض الآخر يرى ألفاظه من عند محمد. وهو قول الأمير في شرحه على الجوهرة فهؤلاء وافقوا قول من قال: **{ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ }** [المدثر: 25].

ورجح البيجوري أن جبريل عبّر عنه بألفاظٍ من عنده[4].

وصرح الباقلاني أن « النظم العربي في القرآن هو قول جبريل لقوله تعالى: **{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ }** وهو الذي تلاه

---

(1) العقيدة الطحاوية 24 .
(2) مقالات الإسلاميين 585 .
(3) أخرجه البخاري (7512)، ومسلم (1016).
(4) شرح جوهرة التوحيد 73 .

باللغة العربية »[1].

صرح الحافظ ابن حجر أن أول من أحدث القول بالكلام النفسي عبد الله بن سعيد بن كلاب حيث جعل الكلام الذي تكلم الله به: صفة ذاتية قائمة به، وأنكر أن يتكلم الله بقدرته ومشيئته[2].

وهو أول من قال بأن القرآن "حكاية" كلام الله وليس كلام الله.

قال الذهبي: « وهذا القول لم يسبقه فيه أحد »[3].

ووصف الرازي موقف ابن كلاب من كلام الله بأنه « غاية في البُعد »[4].

ونص الشيخ عبد القادر الجيلاني أن عبد الله بن كلاب كان ينفي أن يكون القرآن حروفاً[5].

ثم جاء الأشعري من بعده فاستنكر قوله بأن القرآن «حكاية» كلام الله واستبدلها بلفظ «عبارة».

ثم جاء الباقلاني[6] وقرر أنه « ليس من مذهب أهل السنة والجماعة أن يقال: إن كلامه حكاية أو عبارة بل نقول: نتلو كلام الله ونكتب كلام الله ونتلو كتاب الله ».

ذكر المرتضى الزبيدي أن: ممن لهم تقدم ووجاهة وهو الشيخ علي الغزي الحنفي قال في شرح عقيدة الطحاوي: « وأما من قال بأنه – أي كلام الله – معنى واحد مستدلاً بقول الأخطل النصراني فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد. مع أنه يكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول... فلا يجوز الاستدلال به فإن النصارى قد ضلوا في

---

(1) الإنصاف 147 .

(2) فتح الباري 455/13 .

(3) سير أعلام النبلاء 174/11، ونقل ابن تيمية عن أبي نصر السجزي كلاماً مماثلاً نقله عن رسالته «الرد على من أنكر الحرف والصوت».

(4) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين 266 .

(5) الغنية لطالبي الحق 94 .

(6) الإنصاف 162 .

معنى الكلام »[1].

صرح الحافظ أن هذا القول لم يتكلم فيه أحد حتى جاء ابن كلاب وأحدثه وتابعه الأشعري والقابسي[2].

ونص الشهرستاني على أن القول بحدوث حروف القرآن وأنه كلام الله مجازاً: قول ابتدعه الأشعري وخرق به الإجماع وهو عين الابتداع[3].

شهد الإمام أحمد عل الجهمية أنهم قالوا: « أن الله لم يتكلم ولا يتكلم وإنما كوّن شيئاً فعبّر عن الله »[4].

أن الشيخ ملا علي قاري وصف القول بأنه يصح تسمية القرآن توراة إذا ترجم إلى العبرانية، أو التوراة «قرآناً» إذا ترجمت إلى العربية قول فاسد ورد عليه[5].

اعترف الآمدي بضعف مقولة الأشاعرة بأن القرآن كله شيء واحد وأورد رد الآخرين عليهم « فإذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً وأنواع الكلام راجعة إلى معنى واحد: فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع شيئاً واحداً »[6].

فقال الآمدي في أبكار الأفكار: « والحق أن ما أورد من الأشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف إلى التعلقات والمتعلقات مشكل، وعسى أن يكون عند غيري حله. ولعسر جوابه ذهب بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله تعالى القائم بذاته خمس صفات مختلفة »[7].

واعترف الشهرستاني بأن هذا الإشكال « هو الطامة الكبرى

---

(1) إتحاف السادة المتقين 146/2 .
(2) فتح الباري 455/13 .
(3) نهاية الإقدام 313 .
(4) الرد على الجهمية ص130-131، أثبت الحافظ نسبته إليه في الفتح 493/13 .
(5) الفقه الأكبر 28 .
(6) ومعناه أن صفات الله في القرآن ليست شيئاً واحداً، فإن كان القرآن شيئاً واحداً صارت صفاته شيئاً واحداً أيضاً وهذا لا يقوله عاقل.
(7) أبكار الأفكار 324/2، غاية المرام في علم الكلام 117-118 .

على المتكلمين حتى فرّ أبو بكر الباقلاني τ منها إلى السمع وقد استعاذ بمعاذ والتجأ إلى ملاذ والله الموفق »[1].

وهذا إلزام قوي ليس من السهل التخلص منه ويبطل به قول من ذهب من أئمة الأشعرية وغيرهم كالباقلاني والبيجوري إلى أن الكلام النفسي شيء واحد لا يتغير ولا يختلف وأن النهي والأمر والوعد والوعيد فيه شيء واحد على الحقيقة[2]. وهذا يؤدي إلى بطلان الشرائع حيث يجعل المنكر والمعروف والثواب والعقاب شيئاً واحداً، ويجعل الخبر واحداً وهو باطل. فالخبر عن الله ليس كالخبر عن الشيطان. وآية الكرسي ليست كآية الدين، ومعنى قصة بدر ليست كمعاني التوراة التي نزلت على موسى ولا كمعاني الإنجيل الذي نزل على عيسى.

وكيف يجعلون الصفات شيئاً واحداً وقد استعاذ النبي ρ ببعضها من بعضها فقال: « أعوذ برضاك من سخطك ».

دعواه أن القرآن لا يتبعّض

{ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء }.

قال رسول الله ρ : **((إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء. فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن))**[3] وكحديث **((إن الله يأمرك أن تقرأ على أحرف))**[4]. وحديث **((أقرأني جبريل على حرف))**[5]. وحديث **((إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف))**[6].

{ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ } [مريم: 52]. سأل عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل أباه عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يكلمه بصوت فقال أحمد: « بلى أن ربك عزّ وجلّ تكلم

---

(1) نهاية الإقدام 236-237 .
(2) جوهرة التوحيد 72، الإنصاف للباقلاني 158 .
(3) مسلم رقم (811).
(4) رواه مسلم رقم (821).
(5) رواه البخاري (4991)، فتح الباري 23/9 .
(6) رواه البخاري (4992).

بصوت. هذه الأحاديث نرويها كما جاءت »[1].

قال ρ : **((إن الله يتكلم يوم القيامة بصوتٍ يسمعه مَن قرُبَ كما يسمعه مَن بَعُدَ فيقول: أنـا الملك الديان))**[2]. فالنبي ρ أول القائلين بذلك.

أحمد الرفاعي يثبت لله صوتاً رفيعاً

زعم أحمد الرفاعي أن رسول الله ρ : « إن الله عزّ وجلّ قائم على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع. يسمع البعيد كما يسمع القريب »[3] وصرح أحمد أن الله يتكلم بصوت كما روى الحافظ ابن حجر عنه[4].

وفي حين يحكي الحافظ عن أحمد أنه يثبت أن الله يتكلم بصوت يحكي قول الأشاعرة المخالف لقول أحمد إذ قالوا: إن كلام الله ليس بصوت[5].

وأكد الشيخ عبد القادر الجيلاني صحة عقيدة أحمد في ذلك وقال: « فالأخبار تدل على أن كلام الله صوتٌ لا كصوت الآدميين.. وذلك خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بالنفس »[6].

وافق الماتريدية المعتزلة فزعموا أن هذا القرآن العربي مخلوق وأن الله أفهم موسى كلامه بحروف خلقها وصوت أنشأه[7]. مخالفين بذلك الأشاعرة الذين أجازوا سماع كلام الله

---

(1) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (533)، وانظر: فتح الباري 13: 460، إتحاف السادة المتقين 80/2 .

(2) فتح الباي 458/13 .

(3) البرهان المؤيد 65 .

(4) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (533)، وانظر: فتح الباري 13: 460 .

(5) فتح الباري 460/13 .

(6) الغنية لطالبي الحق 60 .

(7) التوحيد للماتريدي 59، وشرح الفقه الأبسط للسمرقندي 25، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني 58-61، والمسايرة لابن الهمام 87 وإشارات المرام.

النفساني[1].

رد البيهقي على من قال بتخليق الصوت إلا أنه نفى بدوره أن يصح حديث في إثبات الصوت وحمل حديث **((إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء))**[2] على احتمال أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة[3].

ولهذا تعقبه الحافظ ابن حجر في الفتح بأن هذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة. ويلزم منه أن الله لم يسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمهم إياه... وتعقبه أيضاً في تضعيفه لأحاديث الصوت مبيناً صحة طرقها ومنها حديث حشر العباد الذي أخرجه البخاري، وفيه « فيناديهم بصوت يسمعه من قرب: أنا الملك الديان »[4].

وصدق الحافظ ابن حجر فإن البيهقي قال: « ولم يثبت صفة الصوت في كلام الله أو في حديث صحيح عن النبي ε غير حديثه، وليس بنا ضرورة إلى إثباته »[5].

وانتهى الحافظ ابن حجر إلى القول بأن هذه الأحاديث أطبق أهل السنة على قبولها ثم قال: « وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به »[6].

والحديث رواه البخاري تعليقاً 174/1 كتاب العلم، وفي الأدب المفرد 337 باب المعانقة، واحتج في التاريخ الكبير 170/1/4 بأن أحمد وإسحاق كانا يحتجان بعبد الله بن عقيل، ونقله عنه

---

(1) إتحاف السادة المتقين 147/2 .

(2) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (536)، وابن خزيمة 146، والبيهقي في الأسماء والصفات 262، قال الألباني: «إسناده صحيح» على شرط الشيخين (سلسلة الصحيحة 1293).

(3) الأسماء والصفات 347 وقال الشيء نفسه ابن فورك كما في كتابه (مشكل الحديث 450-451).

(4) فتح الباري 457/13-458 والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله: **{ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ }**.

(5) الأسماء والصفات 347 .

(6) فتح الباري 460/13 .

تلميذه الحافظ الترمذي كما في التهذيب 13/6 وهذا يرد من زعم أنـه رواه بصيغة التمريض. ورواه الحافظ المنذري والحاكم في المستدرك 438/2 و574/4 وصححه ووافقه الذهبي.

وقد احتج البخاري بهذا الحديث ثم قال: « وفي هذا دليلٌ أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله يُسمع من قربٍ كما يُسمَع من بعد وأن الملائكة يُصعَقون من صوته. فإذا تنادى الملائكة لم يُصعَقوا »[1].

قال أبو حنيفة: « وقد كان الله متكلماً ولم يكن كلم موسى »[2].

قال ابن حزم: « ولو كان لم يزل يسمع الأصوات لكانت الأصوات لم تزل، وهذا لا يقوله مسلم »[3].

نقد الجويني شيخه الأشعري في مسألة أزلية كلام الله حين تساءل: إذا كان كلام الله أزلياً فكيف يخاطب الله معدوماً بالأوامر والنواهي. قال: « إن ظن ظان أن المعدوم مأمور فقد خرج عن حد المعقول... فلا شك أن الوجود شرط في كون المأمور مأموراً » ثم ذكر بأن مسألة « أمر بلا مأمور » هي معضلة حقاً.

وزاد عليه الشهرستاني بأن حكم على أبي الحسن الأشعري بأنه خرق الإجماع بهذا الكلام النفسي الذي أتى به، وانتقد الرازي أصحابه الأشاعرة لهذا السبب أيضاً ونص على أن ما زعموه غاية في البعد[4].

وقال النبي ε : **((نبدأ بما بدأ به الله. فبدأ بالصفا))**[5].

هذا مخالف لما أطبق عليه السلف من أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه يتكلم بصوت، كما حكاه عنهم المرتضى الزبيدي[6] وأن

---

(1) كتاب خلق أفعال العباد للبخاري 98 .
(2) الفقه الأكبر 26 .
(3) الدرة فيما يجب اعتقاده 273 .
(4) البرهان في أصول الفقه 270/1-273 نهاية الإقدام للشهرستاني 304-305 و313 والمحصل للرازي 184.
(5) رواه في الموطأ 1: 374 والنسائي 243/5 بسند صحيح.
(6) إتحاف السادة المتقين 79/2 .

كلامه متعلق بمشيئته وقدرته.

وعبارة أحمد « لم يزل الله متكلماً إذا شاء » كما هي ثابتة من كتابه الرد على الجهمية (133) الذي أقر الحافظ نسبته إليه وأقر هو والزبيدي بصحة نسبة عبارة (لم يزل متكلماً إذا شاء) إليه[1] وفي رواية أخرى عنه قال: « وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء » وفي رواية: « وإذا شاء أنزل كلامه، وإذا شاء لم ينزله ».

{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } ولكن هذا القول عند الأشاعرة مجازي وليس حقيقياً كما قاله الباقلاني وغيره[2].

قال الحافظ عند شرحه للآية التي ذكرها البخاري: « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء »[3].

ولكن الماتريدي حرف هذه الآية فزعم أن قوله «كن» ليست هي قول الله، لكنها عبارة بأوجز كلام يؤدي المعنى التام المفهوم، إنما هو مجاز وتمثيل عن «سرعة التكوين»[4].

ولقد نقل العلامة ملا علي قاري الحنفي[5] تشنيع السرخسي في أصوله على أبي منصور الماتريدي لقوله في هذه الآية بالمجاز محتجاً عليه بقوله تعالى: **{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ }**[6].

واعترف الفخر الرازي في المطالب العالية بأن قول من قال: إنه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح

---

(1) فتح الباري 493/13 و455/13، وإتحاف السادة المتقين 79/2-80 .
(2) التمهيد للباقلاني 274 .
(3) فتح الباري 496/13 .
(4) بحر العلوم للسمرقندي 465/1، مدارك التنزيل 83/1، إرشاد العقل السليم 151/1 .
(5) وصفه الكوثري بناصر السنة كما في تبديد الظلام (100).
(6) الفقه الأكبر بشرح ملا علي قاري 36 .

الأقوال نقلاً وعقلاً[1].

وقال الرازي في المطالب العالية: « هل يعقل أن يكون الله محلاً للحوادث؟ قالوا[2]: هذا قول لم يقل به إلا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم ». ثم صرح بأن عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي هي قول بعيد عن الصواب[3].

الدليل على أن أزلية الكلام مخالف لاعتقاد السلف

ويبطل هذا الاعتقاد:

نقل الحافظ ابن حجر عن ابن التين عن الداودي شرح حديث **((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه..))** فقال: « في هذا الحديث رد على من قال: إن الله لم يزل متكلماً بجميع كلامه لقوله "فيؤمر بأربع كلمات" لأن الأمر بالكلمات إنما يقع عند التخليق »[4].

وفي باب **{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ }** [فصلت: 22] قال الحافظ: « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء »[5].

وقال رسول الله ε : **((أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر))**[6].

وقال: **((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله))**[7].

قال الغزالي: « قال رسول الله ε : **((إن الله عزّ وجلّ قرأ طه**

---

(1) فتح الباري 455/13، وانظر: المطالب العالية 106/2-111 .

(2) يعني أصحابه من الأشاعرة.

(3) المطالب العالية 106/2 و204/3-207 .

(4) فتح الباري 441/13 .

(5) فتح الباري 496/13 .

(6) رواه البخاري (846)، وانظر: الفتح 333/2، ومسلم (71).

(7) رواه البخاري (4701 و4800)، وفي الفتح 380/8 و537/8 .

ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام))[1].

قال النبي ε : **((ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو))**[2].

وقال: **((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها... وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها))**[3].

قال الرازي: « أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وإن أنكروه باللسان:

فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بإرادة حادثة لا في محل.

وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات.

والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة.

والفلاسفة يقولون بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان، فيكون الله مع كل حادث.

قال: وذلك الوصف الإضافي حدث في ذاته »[4].

حديث **((إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله))**[5].

---

(1) إحياء علوم الدين 273/1، وإتحاف السادة المتقين 464/4 .

(2) رواه الحاكم 375/2 وقال: صحيح. ووافقه الذهبي. والبزار في كشف الأستار رقم (123، 2231، 2855) وقال: إسناده صالح. وقال الهيثمي في المجمع 55/7 رواه البزار ورجاله ثقات. وقال 171/1 رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن، وانظر تحسين الألباني به في غاية المرام رقم (22).

(3) رواه البيهقي في السنن 12/10، والحاكم 115/4، وحسنه النووي في رياض الصالحين (1832) وقال الألباني: «وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم» والحديث له علتان ناقشهما الألباني لكنه حسن بشواهده (انظر غاية المرام رقم 4 ومقدمة تحقيقه لرياض الصالحين ص11).

(4) الأربعين في أصول الدين 118 .

(5) قطعة من حديث الشفاعة: أخرجه البخاري ومسلم رقم (194).

ذكر الحافظ أن كثيراً من أهل الكلام أنكروا قيام الصفات الفعلية بمشيئة الله تعالى واختياره لئلا يلزم من ذلك قيام الحوادث به سبحانه، فقالوا صفات الله كلها أزلية. واضطروا إلى القول بعد ذلك أن الله تعالى كان يحب الصحابة أيام كانوا كفاراً. ويبغض المرتدين قبل حصول الردة منهم أيام.

وحجتهم في ذلك أنهم قالوا: إذا أثبتنا الصفات الفعلية الاختيارية قلنا بحلول الحوادث بالرب.

وخالفهم آخرون في الصفات الفعلية: فقالوا بحدوثها لئلا يلزم أن يكون المخلوق قديماً[1].

حتى أن البيهقي رحمه الله وجماعة قسموا جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة إلى قسمين:

1 - صفات الذات: وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال.

2 - صفات الفعل: وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، وهو قول البيهقي حكاه الحافظ العسقلاني في الفتح[2].

ونقل عن الكرماني تقسيم الصفات إلى ثلاثة أقسام آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال: « ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله »[3].

{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }.

{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ } [الأنبياء: 2]. وقال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: **{ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ }** وقوله: **{ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً }** بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }** وقال ابن مسعود عن النبي ε : **((إن الله عزّ وجلّ يحدث من أمره ما يشاء))**[4]. ونقل الحافظ عن

---

(1) فتح الباري 496/13 .

(2) فتح الباري 357/13، والاعتقاد للبيهقي 70-72 .

(3) فتح الباري 13/ 497 .

(4) البخاري 410/4 تحقيق عبد الباقي.

الكرماني تقسيم الصفات إلى ثلاثة أنواع آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال: « ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله »[1].

قال البيهقي بأن: « ما كان إثباته من الصفات وورود الخبر به كالاستواء على العرش والإتيان والمجيء والنزول يجب إثباته لورود الخبر به على وجه لا يوجب التشبيه »[2].

موقف أهل السنة من الصحابة

قال رسول الله ε : **((لا تسبوا أحداً من أصحابي))**[3].

وقال ε : **((من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))** زاد في رواية **((لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً))**[4] وفي رواية: **((لعن الله من سبّ أصحابي))**[5].

وقال ابن عباس: « وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ε فيكبّك الله في النار على وجهك »[6].

معاوية عند الحافظ ابن عساكر « أمير المؤمنين »

كان الحافظ ابن عساكر يصف معاوية بأمير المؤمنين ويترضى عنه دائماً، ويذكر أن المعتزلة كانوا لا يقبلون بشهادة معاوية وعائشة وطلحة والزبير ولو شهدوا على حبة واحدة ما قُبِلَتْ شهادتهم لأنهم كانوا على الخطأ. فخالفهم أبو الحسن الأشعري ووقف وقفة وسطية سنية وقال: « ونتولى سائر أصحاب النبي ε ونكف عما شجر بينهم »[7].

وكان المرتضى الزبيدي إذا ذكر معاوية يقول «رضي الله

---

(1) فتح الباري 497/13 .
(2) الأسماء والصفات 138 .
(3) البخاري (3673)، ومسلم (2829).
(4) رواه الطبراني بإسناد صحيح 1/174/3 (سلسلة الصحيحة 446/5).
(5) سلسلة الصحيحة (4987) وانظر: تطهير الجنان عن التفوه بثلب سيدنا معاوية بن سفيان ص1 للهيتمي.
(6) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة 633/4 .
(7) تبيين كذب المفتري 161 .

عنه»[1]. واستحسن قول ابن عربي: « معاوية كاتب رسول الله ع وصهره خال المؤمنين فالظن بهم جميل، رضي الله عنهم أجمعين، ولا سبيل إلى تجريحهم وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم وهم مأجورون في كل ما صدر عنهم عن اجتهاد سواء أخطأوا أو أصابوا » علق الزبيدي قائلاً: « وهو كلام نفيس يفتح باب حسن الاعتقاد في سلفنا ويتعين على كل طالب للحق معرفة ذلك ».

وكان ابن الجوزي يترضى عن معاوية عند ذكر اسمه وكذلك النووي رحمه الله[2].

وأعلن الأشعري أن « الصحابة لم يختلفوا في الأصول وإنما في الفروع فأدى اجتهاد واحد منهم إلى شيء فهو مصيب وله الأجر والثواب على ذلك »[3].

وهذا ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حزم[4].

وذكر ابن فورك من مقالات أبي الحسن الأشعري في حرب معاوية لعلي أنه « كان باجتهاد منه، وأن ذلك كان خطأ وباطلاً ومنكراً وبغياً على معنى أنه خروج على إمام عادل ولكنه كان بنوع من الاجتهاد ممن له أن يجتهد فيما له الاجتهاد فيه، ولم يطلق عليه اسم الفسق والكفر، وكان يُجري ذلك مجرى اختلاف الحاكِمَيْن إذا اجتهدا فأخطأ أحدهما وأصاب الآخر »[5].

وفي الزواجر لابن حجر الهيتمي: « الكبيرة رقم [465] شتْمُ واحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين »[6].

واعتبر الهيتمي الخوض فيم شجر بينهم من أشد الأمور تحريماً لما فيه من الفساد العظيم وإغراء العامة على تنقيص

---

(1) إتحاف السادة المتقين 201/1 و223/2-224 و225 .
(2) تلبيس إبليس 90، شرح النووي على مسلم 322/1 حديث رقم 34 .
(3) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري 152 .
(4) فتح الباري 63/1، الدرة فيما يجب اعتقاده 369 .
(5) مجرد مقالات أبي الحسن لابن فورك ص 188 .
(6) الزواجر 379/2 .

أصحاب رسول الله ع [1].

وقال الغزالي: « واعتاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم. وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد »[2].

وذكر أن الروايات التي تحكي عنه العجائب من روايات الآحاد وأن الصحيح منه مختلط بالباطل وأن أكثره من اختراعات الروافض.

ثم نهى عما خاض به من لعن معاوية والطعن فيه فقال: « فلو سكت إنسان مثلاً عن لعن إبليس أو لعن أبي جهل لم يضره السكوت، ولو هفا هفوة بالطعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى فقد تعرض للهلاك »[3].

حجة رفاعية جوزية غزالية على الحبشي

والرفاعية كانوا يترضّون عن معاوية كلما أوردوا اسمه في كتبهم فيقولون «رضي الله عنه»[4].

وكان أحمد فاروقي السرهندي (صاحب المكتوبات) يترضى عن معاوية كلما ذكره[5].

وكتب الفرهاروي النقشبندي كتاباً بعنوان (الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه) طبع في تركيا لدى مكتبة الحقيقة أو وقف الإخلاص.

وكان الشيخ أحمد الرفاعي « يأمر بالكف عما شجر بين الإمام علي ومعاوية ويقول: معاوية اجتهد وأخطأ وله ثوابُ اجتهاده، والحق مع علي وله ثوابان، وعلي أكبر من أن يختصم في الآخرة مع معاوية على الدنيا، ولا ريب بمسامحته له، وكلهم

---

(1) تطهير الجنان 41 .

(2) إحياء علوم الدين 115/1 .

(3) الاقتصاد في الاعتقاد 202-203 ط: مكتبة الجندي تحقيق أبو العلا.

(4) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ص291 .

(5) رسالة في رد الروافض ولها عنوان آخر (المقدمة السنية في الانتصار للفرقة السنية) ص73 .

على الهدى »[1].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: « اتفق أهل السنة على وجوب الكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله والإمساك عن مساوئهم وإظهار فضائلهم ومحاسنهم، وتسليم أمرهم إلى الله عزّ وجلّ على ما جرى من اختلاف عليّ وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم »[2]. وأكد ابن حجر الهيتمي اتفاق أئمة هذه الأمة على ذلك[3].

حجة مرتضوية زبيدية

قال الزبيدي رحمه الله: « والحق الذي عليه أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة وحسن الظن بهم والتأويل لهم وأنهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا »[4] انتهى.

حجة شافعية على الحبشي « المتشفع »

« وكان الشافعي إذا سئل عما جرى بين الصحابة يردد قول عمر بن عبد العزيز « تلك فتنة قد طهر الله منها أيدينا، أفلا نطهر منها ألسنتنا » وهو عين احتجاج الإمام أحمد بالآية[5].

وفي الفقه الأكبر « فأهل السنة لا يخوضون في هذه الفتن ويقولون: تلك فتنة قد طهر الله منها أيدينا، أفلا نطهر منها ألسنتنا »[6].

حجة هيتمية

وبما أن أحمد بن حجر الهيتمي معتبر عند القوم فإني أذكرهم

---

(1) روضة الناظرين 56 .

(2) الغنية لطالبي الحق 79 و86 والكتاب أثبت المرتضى الزبيدي نسبته إلى الجيلاني (إتحاف السادة المتقين 249/2).

(3) تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان 40 .

(4) إتحاف السادة المتقين 10/10 .

(5) مناقب الشافعي للرازي 449/1، الحلية 114/9، جامع بيان العلم 93/2، الفقه الأكبر 58، طبقات الحنابلة 272/2 .

(6) الفقه الأكبر 58 .

بأنه كتاباً بعنوان « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان » دعاه إلى تأليفه السلطان همايون أكبر سلاطين الهند.

حجة نقشبندية

قال خالد النقشبندي: « فتفسير الحروب التي وقعت بين الصحابة بأنها كانت لأجل الرئاسة ومن أجل هوى النفس والظن بهم ظن السوء علامة على النفاق وسبب للهلاك... كيف يجوز التفكير بأنهم تقاتلوا من أجل جيفة الدنيا... كلا لا يجوز تفكير مثل هذه الأشياء اقبيحة لأصحاب النبي ε ... ولهذا قالت أئمة الدين: ما آمن بالرسول ε من لم يوقر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ولن تكون محاربة الجمل وصفين سبباً لذمهم... والمحاربة التي دارت بين كبار الصحابة ليست نتيجة العناد أو العداوة بل نتيجة الاجتهاد منهم... علينا أن نحفظ لساننا من التكلم في حقهم... كما أن الله لم يلطخ أيدينا بدماء هؤلاء العظماء رضي الله عنهم... والمحاربات التي وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين »(1).

حجة جوينية

قال الجويني: « فإن علياً كرم الله وجهه قاتل معاوية رحمه الله في الإمامة، وعلي كان مصيباً ومعاوية كان مخطئاً رضوان الله عليهما وكان معذوراً في خطئه لقوله ε : **((من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر))**(2).

وجاء في كتاب الزبد:

وما جرى بين الصحاب عنه وأجر الاجتهاد نثبت

وقال أبو نعيم صاحب (حلية الأولياء)(3): « فمن أظلم حالاً

---

(1) كتاب الإيمان والإسلام ص36-39 ط: مكتبة الحقيقة بتركيا.

(2) مغيث الخلق في ترجيح القول الحق 9 ط: المطبعة المرصية 1934 .

(3) وهو الذي روى عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة (433/3) أنه قال: كان معاوية من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً وصحب النبي وكتب له.

مِمَّن خالف الله ورسوله، ألا ترى أن الله أمر نبيه ع بأن يعفو عن أصحابه وأن يستغفر لهم، قال تعالى: { **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ** } فمن سبّهم وأبغضهم، وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم: على غير الجميل الحسن فهو العادل (أي المنحرف) عن أمر الله، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ع وصحابته والإسلام والمسلمين »[1]. قال: « ولا يتتبّع هفوات أصحاب رسول الله وزللهم إلا مفتونُ القلب في دينه »[2].

وكان أحمد بن حنبل يأمر بضرب من يجمع الأحاديث التي فيها شيء على أصحاب رسول الله ع زجراً له عن ذلك وكان إذا سئل عن كتابتها قال: لا تنظر فيها. وأي شيء في تلك من العلم؟ عليكم بالسنن والفقه وما ينفعكم[3].

وقال الأوزاعي: « لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير، العلم ما جاء عن أصحاب محمد ع وما لم يجيء عنهم فليس بعلم »[4].

اعترف الزركشي بأن أكثر الأشاعرة وافقوا الشيعة في تفسيق معاوية وأصحابه وأن منهم من لم يوافق عليه كالقاضي أبي بكر[5].

قال ابن فورك: « ولم يطلق [أبو الحسن] اسم الفسق أو الكفر »[6] يعني على معاوية وقومه.

وقالت عائشة: « أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ع فسبّوهم »[7].

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: « لا تسبّوا أصحاب محمد ع

---

(1) الإمامة لأبي نعيم 375-376 ط: مكتبة العلوم والحكم.
(2) الإمامة 344 .
(3) انظر: السنة للخلال 501/2 رقم 800 و506/2 رقم 811 .
(4) سير أعلام النبلاء 120/7 .
(5) أظهار العقيدة السنية 226 .
(6) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري 188 .
(7) مسلم (3022).

فإن الله قد أمَرَ بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون »[1].

وقال القاضي عياض: « وسب أحدهم من الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزَّر ولا يُقتَل »[2].

روى ابن الجوزي عن الإمام أحمد أنه كان لا يمس معاوية بسوء بل كان يرى له فضلاً ويُعرض عمن يتكلم عنه بسوء، وإذا سئل عما جرى بين علي ومعاوية يقول: ما أقول فيهما إلا الحسنى[3].

وكان لا يتبرأ من عين رأت رسول الله ε إلا أن يُجمع المسلمون على التبرئ منها ويقول: « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص »[4]، وكان يقول: « من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ε كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً... رحمهم الله أجمعين: ومعاوية وعمر وابن العاص » وكان يقول: « وإذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوءٍ فاتهمه على الإسلام »[5].

وقال أبو زرعة الرازي: « إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسنة أصحابُ رسول الله ε ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا [الصحابة] ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[6].

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى { **يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ**

---

(1) رواه أحمد في الفضائل رقم (187-1741) وروي ذلك عن الضحاك كما في الاعتقاد للبيهقي 323 .

(2) الشفاء 1108/2 .

(3) المناقب لابن الجوزي 164، مقدمة المسند للذهبي ص81، والسنة للخلال 460/2 رقم 713، وانظر مقدمة ابن خلدون ص210 .

(4) طبقات الحنابلة 24/1 و303 للحافظ ابن رجب.

(5) مناقب أحمد لابن الجوزي 160، البداية والنهاية لابن كثير 142/8، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للأحمدي 363/2 .

(6) الكفاية للخطيب البغدادي 67 .

الْكُفَّارَ }: « وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور »(1).

وقد سبقه إلى هذا القول الشيخ عبد القادر الجيلاني(2).

قال مالك رحمه الله: « من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ε فقد أصابته هذه الآية »(3).

قال القرطبي: « لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين »(4).

قال ابن كثير: « ومن هذه الآية انتزع مالك في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك ».

وقال ابن حجر الهيتمي المكي مثل قول ابن كثير وزاد: « وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم وافقه الشافعي τ في قوله بكفرهم، ووافقه أيضاً جماعة من الأئمة »(5).

ضابط التشيع عند المحدّثين

وكان يكفي لرمي الراوي بالتشيع أن يطعن في معاوية ويسبّه ويخوض في الفتنة مع الخائضين. ذكر السبكي قول الناس في الحاكم صاحب المستدرك بأنه « كان منحرفاً غالياً عن معاوية وأهل بيته يتظاهر به ولا يعتذر منه » ثم عقب السبكي بقوله: « ولم يبلغنا أن الحاكم ينال من معاوية ولا يُظنّ فيه ذلك... ومقام الحاكم أجلّ عندنا من ذلك »(6).

---

(1) زاد المسير 204/2 .

(2) الغنية لطالبي الحق 79 .

(3) رواه أبو نعيم في الحلية 127/6 .

(4) الجامع لأحكام القرآن 195/16، وابن كثير 204/4، والبغوي 238/7 .

(5) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة 317-318 ط: دار الكتب العلمية ببيروت. وقد ألحق بالكتاب: كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان.

(6) طبقات السبكي 163/4 .

قال الذهبي في محمد بن عبد الله الأبار: « فيه تشيع » ومن أسباب ذلك أنه كان يطعن في معاوية وآله[1].

وقال عن (محمد بن يوسف ابن مسدي): « فيه بدعة وتشيع » لأنه كتب قصيدة طويلة ينال فيها من معاوية وذويه[2].

هل ثبتت لمعاوية فضائل ؟

قال ابن حجر الهيتمي: « الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون والحافظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب » وتعقب من قال بأن البخاري لم يجد في فضائل معاوية شيئاً بأنه إن كان المراد أنه لم يصح منها شيء وفق شرطه فأكثر الصحابة كذلك[3].

وثبت دعاء النبي ρ لمعاوية عند غير البخاري وفيه « اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به » (وقد أخرجه البخاري في التاريخ 327/1/4 وابن عساكر في تاريخه 1/133/2) ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وحكم عليه الألباني بالصحة وذكر تحسين الترمذي له في (سننه 3842) وذكر له خمسة طرق صحيحة وقال: « وبالجملة فالحديث صحيح وهذه الطرق تزيده قوة »[4] مستدركاً بذلك على تضعيف الحافظ له.

واعتبر ابن حجر الهيتمي هذا الحديث من غرر فضل معاوية وأظهرها ثم قال: « ومن جمع الله بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوله المبطلون ووصمه به المعاندون؟»[5].

وتحت عنوان (معاوية بن أبي سفيان وخلافته رضوان الله عليه) احتج الخلال بحديث « يكون بعدي اثنا عشر أميراً أو قال خليفة » (رواه البخاري).

---

(1) سير أعلام النبلاء 336/23 .
(2) تذكرة الحافظ (1149).
(3) تطهير الجنان عن التفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان 11-12 .
(4) سلسلة الصحيحة 9691/4 .
(5) تطهير اللسان 14 .

وقد احتج ابن حجر الهيتمي بهذا الحديث وبالحديث الذي أثنى فيه النبي ρ على الحسن لتنازله عن الخلافة إلى معاوية حاقناً بذلك دماء المسلمين حيث قال: « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين ». قال ابن حجر: « وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه، وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق يومئذ »[1].

وقال الخلال: « أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قلت لأحمد بن حنبل: أليس قال النبي ρ : « كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي »؟ قال: بلى، قلت: وهذه لمعاوية؟ قال: نعم، له صهر ونسب، قال: وسمعت ابن حنبل يقول: ما لهم ولمعاوية.. نسأل الله العافية »[2].

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي ذلك من أبرز فضائله فقال: « ومنه فوزه بمصاهرته ρ فإن أم حبيبة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أخته... فلعلك تنكف أو تكف غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله »[3]. قال: « وحاشا معاوية صاحب رسول الله ρ وصهره وكاتبه وأمين وحيه... أن يكون جاهلاً أو مغروراً »[4].

معاوية خال المؤمنين

قال الخلال: « أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: وجّهنا رقعة إلى أبي عبد الله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسي غصباً؟ قال أحمد بن حنبل:

---

(1) انظر: تطهير الجنان 19 و21-22 و49 للهيتمي وسير أعلام النبلاء 145/3-146، وتاريخ بغداد 139/1، والبداية والنهاية لابن كثير 17/8-20، 24، 45 .

(2) السنة للخلال 432/2 رقم 654 وإسناد الحديث حسن.

(3) تطهير الجنان ص17-18 .

(4) تطهير الجنان 51 .

هذا قول سوء رديء يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون ونبيِّن أمرهم للناس »[1].

وقال: « أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله: أيهما أفضل ؟ معاوية أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ρ أحداً، قال النبي ρ : « خير الناس قرني الذين بُعِثتُ فيهم »[2].

وفي رواية: « من رأى رسول الله ρ » أي من رآه فهو أفضل[3]. وفي رواية ذكرها ابن حجر الهيتمي: « لا يقاس بأصحاب النبي ρ أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله »[4]. وفي رواية أخرى: « كان معاوية أفضل من ستمائةٍ مثل عمر بن عبد العزيز »[5].

ونهى أحمد بن حنبل عن مؤاكلة منتقص معاوية. فعن أبي بكر (حبيش) بن سندي قال: سمعت أبا عبد الله وسأله رجل: لي خال ينتقص معاوية وربما أكلت معه، فقال أبو عبد الله مبادراً: لا تأكل معه »[6].

بل قد نهى أحمد عن التسليم على الرافضي أو الصلاة عليه إذا كان داعية لمذهبه[7].

عقيدة الطحاوي في الصحابة

قال الطحاوي رحمه الله: « ونحب أصحاب رسول الله ρ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دين

---

(1) السنة للخلال 434/2 رقم 659 .
(2) السنة للخلال 434 رقم 660 والحديث رواه البخاري.
(3) السنة للخلال 434/2 رقم 661 .
(4) تطهير الجنان 12 .
(5) السنة للخلال 435/2 رقم 664 .
(6) رواه الخلال في السنة 448/2 .
(7) السنة للخلال 494/2 رقم 785 .

وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »[1] وأوضح موقف أهل السنة من الخف الذي جرى بين علي ومعاوية كما في كتاب النفائس الذي جمعه (الحوت) تلميذ الحبشي[2].

وإنما نازعه معاوية بشبه عن الصواب نائية
تأولا بقاتلي عثمانا خطأ فيه وادعى عدوانا
لكنه مع الخطأ لا يكفر قد ضل أهل الرفض فيما ذكروا
إذ هو من أكابر الصحابة العارفين سبل الإصابة

قال ابن الهمام في المسايرة: « وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة »[3].

نقلوا عن الشيخ أحمد الرفاعي نفس أنه: « كان يأمر بالكف عما شجر بين الإمام علي ومعاية ويقول: معاوية اجتهد وأخطأ وله ثوابُ اجتهاده، والحق مع علي وله ثوابان، وعليّ أكبر من أن يختصم في الآخرة مع معاوية على الدنيا، ولا ريب بمسامحته له، وكلهم على الهدى »[4].

وقد أثبت الرفاعيون كلام شيخهم في أكثر كتبهم، بل ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أن الله عفا عنهم جميعهم ولا يؤاخذهم بما جرى بينهم[5].

وقرر ابن حجر الهيتمي من أن معاوية مجتهد مخطئ خطئاً معفواً عنه وأنه ساعٍ في رضا الله بحسب اجتهاده[6].

بل أحسن ابن حجر حين احتج بقول ابن عباس في معاوية

---

(1) الرسالة الطحاوية 545 .
(2) النفائس 59 .
(3) المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة ص47 .
(4) روضة الناظرين 56 .
(5) ضوء الشمس في قول النبي ρ بني الإسلام على خمس 225/1 .
(6) تطهير الجنان 6-7 و19-21 و47 .

(إنه فقيه)[1] ثم قال: « والفقيه في عُرف الصحابة هو المجتهد المطلق، وصدور هذا الوصف من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله وابن عم علي من أجلّ مناقب معاوية »[2].

نصيحة ذهبية غزالية

وقد نص الذهبي على أنه يجب « الكفّ عما شجر بين أصحاب النبي ρ وعن قتالهم رضي الله عنهم أجمعين، ومازال يمر بنا [قصص] في الكتُب، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف، وبعضه كذبٌ، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيُّه وإخفاؤه لتصفو القلوب، وتتوفّر على حب الصحابة والتّرضّي عنهم، وكتمان ذلك متعيِّنٌ على العامة وآحاد العلماء.

قال: « وقد يُرخَّص في مطالعة ذلك خلوةً للعالم المنصف، العريّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله حيث يقول: { **وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا** } [الحشر: 10].

أضاف: « فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك فأكثره باطلٌ وكذبٌ وافتراء، فطريقة الروافض رواية الأباطيل » وقال بمثله الغزالي[3].

وقال في معاوية: « ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريء من الهنات، والله يعفو عنه »[4].

وأخرج ابن عساكر[5] في ترجمة معاوية من طريق ابن مندة ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال: « جاء

---

(1) رواه البخاري رقم 3764 .
(2) تطهير الجنان 26 .
(3) سير أعلام النبلاء 10:93 الاقتصاد في الاعتقاد 202 .
(4) سير أعلام النبلاء 159/3 .
(5) فتح الباري 86/13 .

رجل إلى عمي فقال إني أبغض معاوية. قال: لماذا؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق. قال أبو زرعة الرازي: رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم فما دخولك بينهما؟ ».

قال الجويني أن: « معاوية – وإن قاتل علياً – فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً، وعليّ رضي الله عنهم وعنه متمسك بالحق »[1].

وقال الذهبي: « ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير، ونترضى عنهم ونقول: هم طائفة من المؤمنين بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية)) فنسأل الله أن يرضى عن الجميع وأن لا يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين، ولا نرتاب أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق: رضي الله عنه »[2].

قال ابن حجر الهيتمي: « وسبقه – أي معاوية – إلى مقاتلة علي من هو أجلّ من معاوية كعائشة والزبير وطلحة ومن معهم من الصاحبة فقاتلوا عليًّا يوم الجمل »[3].

مفهوم البغي

همت عائشة أن تعود عن عزمها على التوجه إلى البصرة حين تذكرت قول النبي ρ : ((كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب))[4] لكنها لم تفعل حين أدركها جيش علي ووقع يومئذ من القتال ما وقع بين الجيشين إلى أن زال النهار وقتل من جيش علي الكثير وكثرت الجراحات في الفريقين[5].

وقد ساق الحافظ مجموعة من الروايات بأسانيد صحيحة تثبت

---

(1) لمع الأدلة ص115 تحقيق الدكتورة فوقية محمود .
(2) سير أعلام النبلاء 209/8 .
(3) تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان 47 .
(4) رواه أحمد في المسند 52/6 .
(5) انظر البداية والنهاية لابن كثير 232/7-234 .

تحديد تلك الوقعة وذلك في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وأن علياً رضي الله عنه بقي يقاتلهم إلى غروب الشمس[1].

وقد أدت هذه المعارك إلى نقمة الخوارج على علي رضي الله عنه لأنهم لما قاتلوا معه في معركة الجمل أباح لجنوده سلب أموالهم ولم يستحل لهم النساء والذرية، فقال لهم علي: « لو أبحت لكم النساء: فأيُّكم يأخذ عائشة في سهمه؟ »[2] وهذا دليل على أنها شاركت رضي الله عنها.

ولذلك قال عمار بن ياسر: « إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تعالى ابتلاكم ليعلم أياه تطيعون أم هي »[3].

جواب الحافظ ابن حجر على شبهة (يدعونه إلى النار)

وأجاب الحافظ ابن حجر عن قول النبي ρ يدعونه إلى النار: « فإن قيل: كان قتل عمار في "صفين" وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ قال: فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم كانوا يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم. فالمراد بالدعاء إلى الجنة: دعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام. وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم »[4].

جواب النووي على شبهتين

---

(1) فتح الباري 57/13 .
(2) انظر الفرق بين الفرق 58 .
(3) رواه البخاري في الفتن (7100) .
(4) فتح الباري 542/1 وحمله ابن حجر الهيتمي على بعض أتباع معاوية الغير مجتهدين (تطهير الجنان 65) .

روى مسلم أن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: « إن ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، فسكت عبد الله بن عمرو ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله »[1].

أجاب النووي عن هذه الشبهة فقال: « المقصود بهذا الكلام أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يُقتل: فاعتقد هذا القائل أن هذا الوصف [صار لازماً] في معاوية لمنازعته علياً رضي الله عنه وكانت قد سبقت بيعة علي، فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه في حرب علي ومنازعته ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل ومن قتل النفس لأنه قتال بغير حق، فلا يستحق أحد مالاً في مقاتلته »[2]. أ.هـ.

جواب النووي على الشبهة الثانية

روى مسلم[3] قول النبي في معاوية: ((لا أشبع الله بطنه)) [4].

وسمى النووي هذا الباب عند مسلم (باب من لعنه النبي ρ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة). وصدّر مسلم هذا الباب بقول النبي ρ : ((اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً)) وفي رواية: ((إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة)).

وقال الإمام النووي: « وأما دعاؤه على معاوية أن لا يُشبع بطنه حين تأخر ففيه جوابان:

أحدهما: أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن

(1) مسلم (1844) .
(2) شرح النووي على مسلم 476/12 .
(3) رقم (2603) .
(4) إظهار العقيدة السنية 214 .

الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ρ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك. وهو ρ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

الثاني:أن هذا ليس بمقصود، وإنما هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله تربت يمينك و[ثكلتك أمك] وفي حديث معاوية ((لا أشبع الله بطنه)) ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ρ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى رغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن ρ فاحِشاً ولا متفحشاً ولا لعّاناً ولا منتقماً لنفسه، وقد قالوا له: ادع على دوس فقال: ((اللهم اهد دوساً)) وقال: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))[1].

وقد قال بمثل ذلك ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه تطهير الجنان (37).

قال ابن حجر المكي: «وكان معاوية يكتب الوحي للنبي ρ وناهيك بهذه المرتبة الرفيعة»[2].

وقال الذهبي: « حسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم (وهو ثغر) فيقوم بمهمته أتمّ قيام ويرضي الناس بسخائه وحلمه »[3].

قال ابن حجر الهيتمي: « وإذا تأملت عزل عمر لسعد بن أبي وقاص الأفضل من معاوية بمراتب، وإبقائه لمعاوية على عمله من غير عزل له: علمت بذلك أن هذه تنبئ عن رفعة كبيرة لمعاوية »[4].

خلافة معاوية عن الجيلاني شرعية

---

(1) شرح النووي على مسلم 8/387-390 .
(2) تطهير الجنان 12 .
(3) سير أعلام النبلاء 3/132 .
(4) تطهير الجنان 21 .

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: « وأما خلافة معاوية فثابتة صحيحة بعد موت علي رضي الله عنه وبعد خلع الحسن بن علي نفسه عن الخلافة وتسليمها إلى معاوية لرأي رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له، وهي حقن دماء المسلمين وتحقيق قول النبي في الحسن رضي الله عنه: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) فوجبت إمامته بعقد الحسن له، فسمي عامه عام الجماعة لارتفاع الخلاف بين الجميع واتباع الكل لمعاوية **رضي الله عنه** »[1].

الصحابة بشر وليسو معصومين

وإذا كان الرسول ρ يقول: ((إنما أنا بشر فأيما امرئ سابته...)) مما يبين أن ما يمكن أن يعتري النفس البشرية من ثورة وغضب مع أنه نبي، فحصوله من غير الأنبياء من باب أولى، وقد وقع بين الصحابة شجار وسباب لا يجوز أن يستغله الصائدون في الماء العكر ويجيرونه لتأييد عقائدهم الخبيثة، بل نسكت عما شجر بينهم، فإن ستر عورات الصحابة أولى من ستر عورات عامة المسلمين.

ثم إن أسباب من باب ما يقع للأقران مما يجب الإعراض عنه مثلما يحدث بين العلماء الأقران في حق بعضهم البعض. بل السباب ليس شيئاً أما القتال وقد تقاتلوا.

أن معاوية كان يأمر بسب علي رضي الله عنه حيث أمر سعد بن أبي وقاص بذلك قائلاً: « ما منعك أن تسب أبا التراب؟ »[2].

نص النووي على أن قول معاوية ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسببه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً فإن كان ذلك تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر،

---

(1) الغنية 78 و74 .

(2) صريح البيان 111 أو237 من الطبعة الجديدة المجلدة التي زعموا أنها الطبعة الأولى .

ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال»[1].

وقد سب المغيرة علياً رضي الله عنه فقام إله زيد بن أرقم وقال: « يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله ρ نهى عن سبّ الأموات فلم تسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه »[2].

ذكر السبكي في فتاويه أن: « مذهب أبي حنفية وأحد الوجهين عند الشافعي والظاهر من الطحاوي في عقيدته: كفر سباب أبي بكر[3]. وقال في شرح الفقه الأكبر: وقد ذكر في كتب الفتاوى أن سب الشيخين كفر وكذا إنكا إمامتهما »[4] ونقله عن القونوي.

قال الجويني بأن: « معاوية – وإن قاتل علياً – فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً، وعلي رضي الله عنهم وعنه متمسك بالحق »[5].

قال ابن الجوزي (منزه الحنابلة عند القوم) ما نصه: « تعصب قوم من "الرافضة" فوضعوا في ذمه (معاوية) أحاديث »[6].

وقد ذكر ابن الهمام في المسايرة أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم[7]. ففرق بين البغي وبين غيره.

أفعال العباد عند الحبشي

قال الشيخ زادة: « لا يُقال الكفر والمعاصي بقضاء الله

---

(1) شرح مسلم للنووي 15/175-176 أو طبعة الميس 15/184-185 .
(2) أخرجه الحاكم 1/385 وصححه .
(3) فتاوى السبكي 2/590 .
(4) الفقه الأكبر 128 و135 .
(5) لمع الأدلة ص115 تحقيق الدكتورة فوقية محمود .
(6) الموضوعات لابن الجوزي 2/15 .
(7) إتحاف السادة المتقين 2/225 .

والرضا بالقضاء واجب فيكون الرضا بالكفر واجباً »[1]. والرضا بالكفر كفر[2].

رأي ابن حزم أن هناك فرقاً بين الرضى بما قضاه من المصائب وبين المعاصي، فيجب الرضا بما قضاه من المصائب دون المعاصي[3].

إعانة الله الكافر على الكفر

ذكر البغدادي أن جهم بن صفوان كان ينكر الاستطاعات كلها[4] وقال الأشعري: « إن عبّاداً من المعتزلة كان يقول: إن الله قد قوّى الكافرَ على الكفر وأقدره عليه »[5].

قال تعالى: { **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً** } [طه: 112].

تحديدهم لقدرة الله

قال ابن حجر المكي: فذهب في شرحه على الأربعين النووية: « شرح حديث إني حرمت الظلم على نفسي » إلى أن بعضهم ذهب إلى أن الله قال: إن الله حرم الظلم على نفسه أي نزّه نفسه عنه.

قال ابن فورك في مجرد المقالات (147): قال النّظّام من المعتزلة حيث قال: « مذهب النّظّام أنه لا يصح وصف الباري بالقدرة على الظلم » وكما في مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص555).

وحكى الأشعري تناقض أبي الهذيل المعتزلي ثم قال: « فأما أنا فأقول إن كل ما وُصِف بالقدرة على أن يخلقه كسباً لعباده فهو قادر أن يضطرهم إليه وجائز أن يضطرهم الله سبحانه إلى الجور

---

(1) نظم الفرائد 10 .
(2) الإعلام بقواطع الإسلام ص66 .
(3) الفصل في الملل والنِحَل 92/3 .
(4) الفرق بين الفرق 199 ، الملل والنحل 110 .
(5) مقالات الإسلاميين 239 .

» وقال أيضاً: « وقال بعض المتكلمين: يقدر الله أن يفعل الظلم وخلافه والصدق وخلافه، فإن قال قائل أفمعكم أمان من أن يفعله؟ قلنا: نعم هو ما أظهر من حكمته على نفي الظلم والجور والكذب »[1].

قال الحافظ: قال الجهم بن صفوان: « إنما يُنسَب الفعل إلى العبد مجازاً »[2].

روي أن سارقاً احتج في زمن عمر بالقدر على سرقته فقال له عمر: « وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره »[3].

جاء في الفقه الأكبر: « خلق الخلق سليماً من الكفر والإيمان. ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم. فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق وبخذلان الله تعالى إياه. وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له[4].

حكى الأشعري عقيدة أهل السنة أنهم يقولون إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وإن كان مريداً له[5].

مذهب الجبرية

وقد عرّف الشهرستاني الجبر بأنه: « نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله » ثم بَيّن أن الجبرية على أنواع منها الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل، والجبرية المتوسطة الذين يثبتون قدرة للعبد غير مؤثرة.

قال: « فأما من أثبت لقدرة العبد الحادثة أثراً وسمى ذلك كسباً فليس بجبري. ثم صرح بأن أصحاب المقالات عدّوا أبا الحسن الأشعري موافقاً للجهم بن صفوان في الجبر، والجهم

---

(1) مقالات الإسلاميين 552 و556 .
(2) فتح الباري 345/13 .
(3) شرح الفقه الأكبر 39 .
(4) الفقه الأكبر 168 .
(5) مقالات الإسلاميين 294 .

جبري خالص يرى أن العبد مضطرٌ مجبورٌ فيما يفعل، وأن الأفعال تُنسَبُ إليه مجازاً كما يقال: أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر[1].

أضاف: « وعلى أصل أبي الحسن الأشعري فإنه لا تأثير للقدرة في الإحداث »[2].

وهذا قياس مع الفارق: فالشجرة والماء لا إرادة لهما أصلاً، بينما الإنسان له إرادة جعلها الله للتفريق بين إرادة الخير وإرادة الشر. ومن سوى بين الماء وبين الإنسان فهو وافق الجبر وخالف العقل.

مفهوم كسب العبد عند الأشاعرة

جاء في القاموس المحيط: « الكسب في اللغة بمعنى الطلب والجمع ». ويستعمل في القرآن في فعل الصالحات والسيئات[3] كقوله تعالى: { **أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** } وقوله: { **وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** } فتفسير الأشاعرة للكسب بالمقارنة شيء جديد لم يُسبَقوا إليه.

وصف المرتضى الزبيدي مسألة الكسب بأنها: « من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين ولم تحصل على طائل في تحقيق المتأخرين... حتى قال السعد التفتازاني في شرح العقائد بأن فحول أهل السنة قد عجزوا عن تحقيق معناه » وأن الأشاعرة هم مجبرة متوسطة[4].

وحتى قال الرازي بأن الكسب اسم بلا مسمى[5]. ووصفه ابن عذبة بأنه « صعب دقيق »[6].

---

(1) الملل والنحل 1: 110 .

(2) الفصل في الملل والنِحَل 1: 109 و 110 .

(3) القاموس المحيط مادة كسب وانظر مفردات القرآن للراغب 709 .

(4) إتحاف السادة المتقين 169/2، المواقف للإيجي 428 .

(5) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين 199 ط: مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

(6) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية 42 .

وحكى الشيخ محمد بن درويش الحوت أن كسب الأشعري بلغ من غموضه أن صار يضرب به المثل فيقال: « هذا أخفى من كسب الأشعري »[1].

وتبرم الجويني من الشكوك والحيرة اللتين أورثهما الكسب الأشعري ثم قال: « ولا ينجي من هذا المتلطم ذكر اسم محض، ولقب مجرد من غير تحصيل معنى »[2].

انتهى فهم الرازي والأشاعرة لنظرية الأشاعرة في الكسب إلى أن قال بأن الإنسان مجبور في صورة مختار[3]. وصرح الرازي والإيجي بأن: « القول بالجبر هو القول الحق »[4].

الغزالي ومذهب الجبرية

وانتهى الغزالي إلى أن العبد مضطرٌ في جميع أفعاله ومشيئته وأن مجبورٌ على الاختيار وأنه محلٌّ لإرادة حدثت فيه جبراً[5] ثم شبّه أفعال المخلوقات بالدّمى التي يراها الناظر وهي تتحرك فيظن أنّها تتحرك من تلقاء نفسها[6] وإنما تحركها خيوط عنكبوتية ممتدة من السماء حُجب العوام عن رؤيتها ورآها الخواص من أهل الكشف! ولهذا لم يكن الغزالي يرى في الوجود إلا الله وأفعاله ((وليس في الوجود إلا الله وأفعاله))، وكان يكرر هذا القول في أكثر كتبه[7].

قال: « فالعبد وفعلُه مخلوقان لله وهو محلٌّ للطاعة والمعصية فقط وليس فاعلاً لهما. فأنت وفعلُك عطاءٌ من الله ومن حيث أنت محلُّه فقد أثنى عليك. فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد

---

(1) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص60 .
(2) العقيدة النظامية 32 .
(3) معالم أصول الدين 107، شرح المقاسد للتفتازاني 263/4 .
(4) المطالب العالية 19/8-20، المواقف للإيجي 324-325 .
(5) إحياء علوم الدين 4/4، و5 و255 و261 .
(6) الإحياء 97/4 .
(7) الإحياء 1: 330 و4: 86 و5: 30، جواهر القرآن 11، مشكاة الأنوار 18 .

فعلَيْه سبباً لانصراف فعله الثاني، فالمخلوقات مجاري قدرة الله ومحل أفعاله »[1].

أضاف: « وقالوا يا أيها الرجل تحركت ورميتَ وكتبْتَ. ونودي من وراء حجاب الغيب وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »[2].

وأما العباد فإن الفعل ينسب إليهم مجازاً. وهذا عين قول الإيجي والتفتازاني[3].

قال الدكتور عاطف العراقي: « إن آراء الأشاعرة برغم ما بذلوه من جهد كبير في التوصل إليها تمثل الغموض والتناقض والتذبذب إلى درجة كبيرة جداً. إنهم مثلاً يحيطون فكرتهم عن الكسب بهالة من الغموض حتى يُدخلوا في أذهاننا أنها دقيقة وعميقة، وأنها اكتشاف بكر، ولكن متى كان الغموض معبراً عن دقة الفكرة »[4].

تعديل نظرية الكسب

أعطى الباقلاني للكسب مفهوماً يختلف عن شيخه الأشعري حيث فرّق عند تعريفه للكسب بين حركة الإنسان الاختيارية وبين حركة المرتعش من الفالج كالتفريق بين المشي بالاختيار وبين السحب والجر[5] فهو يثبت تأثيراً للعبد في القدرة بخلاف المصاب بالفالج الذي تدفعه دفعاً ليتحرك. وقد كانت هذه محاولة منه لسد الثغرة التي كان ينفذ منها من ألزموا الأشعري بالقول بالجبر[6].

وأجرى الجويني تعديلاً على مذهب الأشعري في الكسب

---

(1) الإحياء 4: 89 .
(2) الإحياء 4: 6 .
(3) المواقف للإيجي 323 ، وشرح المقاصد للتفتازاني 282/4 .
(4) تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية 38 .
(5) التمهيد 347 تحقيق حيدر، وانظر: الفصل في الملل والنحل 127/1 .
(6) القضاء والقدر 3: 352-354 فاروق الدسوقي.

وأثبت تأثيراً لقدرة العبد بعد أن كان الأشعري ينفيها[1] حتى قال: « أما نفي القدرة والاستطاعة فمما يأباه العقل والحسّ، وأما إثبات قدرةٍ لا أثر لها فهي كنفي القدرة ... إلخ.

وذكر أن: « المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله: قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون »[2].

ثم انتهى إلى نسبة العبد إلى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق[3].

قال: « وقد زعم من لم يُوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدورها » وأجاب عن تمسكهم بقوله تعالى: { **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** } فقال: « كلمة حق أريد بها باطل » وذكر بأن نفي تأثير قدرة العبد في فعله « فيه إبطالٌ للشرائع وردٌّ لِمَا جاء به النبيّون »[4].

وصرح الجويني بتخبط مذهب الأشعري في مسألة القدرة قائلاً: « ومذهب أبي الحسن مختبط عندي في هذه المسألة... فقد لاح سقوط مذهبه في كل تقدير »[5].

وانتقد كثيرون موقف الجويني والباقلاني اللذين تراجعا عن الجبر الجهمي المتدثران في الثوب الأشعري[6] حيث تعرض للتضليل والتسفيه من المتعصبين للمذهب حتى اتهموه بالارتداد إلى مذهب المعتزلة[7]. وأنكر آخرون صحة نسبة هذا الكلام إلى الجويني لكن المرتضى الزبيدي أكد أن هذا كلامه كما في رسالته النظامية التي هي من آخر مؤلفاته[8]. وذكر أن صفي الدين

---

(1) الملل والنحل 125-128 .
(2) العقيدة النظامية 30 .
(3) الملل والنحل 28 لمع الأدلة 121 تحقيق د. فوقية محمود.
(4) العقيدة النظامية 31-32 تحقيق الكوثري.
(5) البرهان في أصول الفقه 195/1-196 فقرة (186).
(6) وحتى الكوثري طعن في نظرية الكسب الأشعرية ونقدها نقداً شديداً.
(7) إتحاف السادة المتقين 9/2 .
(8) إتحاف السادة المتقين 169/2 .

القشاشي ألف رسالة وافق فيها إمام الحرمين.

ومن هنا اضطر الرازي في الأربعين إلى مخالفة الأشعري وإثبات قدرة للعبد مؤثرة في الفعل[1].

ونقد الشيخ السنوسي القائلين بالكسب وقال: « فإذا قيل لهم ما معنى التأثير الذي نفيتموه أنتم مع تسميتكم لها قدرة؟ لم يأتوا من الجواب إلا بجعجعة ليس لها طحين وهمهمة ليس معها تبيين مع أن الشيخ – أي الأشعري – مصرح بعدم تسميته وصف العبد قدرة إلا على وجه المجاز... وقد تحاشى الأقدمون من أهل السنة والسلف الصالح[2] عن تسمية وصف العبد قدرة فلا تكاد تسمع في مؤلفاتهم إلا الكسب... فقالوا: قدرة لا تأثير لها. فأثبتوا للعبد قدرة فراراً من قول الجبرية وقالوا: لا تأثير لها: فراراً من قول القدرية. ولعمري إنها لعبارة حسنة في بادئ الرأي متوسطة بين قولَيْ الإفراط والتفريط: وإنها إذا حُكّت على معيار التحقيق وطولب صاحبها كل المطالبة أدت إلى شيء لا يدرك له صاحبه معنى ولا يجد له مفهوماً. ولقد تكلمت مع بعض من زعم أنه ألف في الرد عليه فقال لي: إني حرت في كلام هذا الرجل، فبينما أنا أقول: هو قدري محض لما يظهر من كلامه إذ رجع رأيي فيه إلى أنه جبري محض فلا أدري من أي الجهتين هو... وهكذا كلام العارف: إذا سمعت قوله: لقدرة العبد تأثير قلت: هذا قريب من مذهب القدرية، وإذا سمعت قوله: إنما هي قدرة واحدة ولا قدرة للعبد أصلاً إنما يظهر من أثر قدرة الحق في محله: قلتَ هذا قريب من مذهب الجبرية، وهذا لعمري غاية التحقيق لمن علمه »[3].

الحبشي وتهمة المجوسية

نص ابن حجر الهيتمي على أن من زعم أن الله لا يخلق فعل

---

(1) الأربعين 227 في أصول الدين.

(2) يعني سلفه من الأشاعرة.

(3) إتحاف السادة المتقين 171/2 .

العبد لا يكفر لأن هذا القول نظير قول المعتزلة[1].

الفصل بين الأشاعرة والمعتزلة
في مسألة القضاء والقدر

صرح الأشاعرة بأن كل ما يريده الله فهو يحبه، وأن الله يريد الكفر ويحبه ويرضاه، وأن الإرادة والرضى والمحبة بمعنى واحد[2].

وعزا السبكي القول باتحاد الإرادة والمحبة إلى جمهور الأشاعرة غير أنه اختار لنفسه خلاف ما اختاره عامة الأشاعرة فقرر أن الرضا غير الإرادة[3]. وهو ما اختاره الشيخ محمد بن درويش الحوت[4].

والباقلاني (إمام الأشاعرة) جعل المحبة والرضى والغضبِ كلها معان ترجع إلى الإرادة قائلاً: « ورضا الله وغضبه وسخطه إنما هي إرادته وقصده إلى نفوذ من في المعلوم أنه ينفعه وضرر من سبق علمه وخبره أنه يضره »[5] ولا فرق عنده بين الإرادة والمشيئة والاختيار، وصفاته أزلية ولهذا فإنه لم يزل راضياً عن سحرة فرعون يوم كانوا طائعين لفرعون مروجين للسحر، ولم يزل راض عن الفاروق عندما كان يعبد الأصنام قبل إسلامه[6].

وذكر البغدادي قول بعض الأشاعرة إن الله يريد حدوق جميع الحوادث خيرها وشرها، لكنه يمتنع في التفصيل عن القول بأن الله يريد الكفر والمعاصي، ومنهم من قال أراد الكفر والمعاصي كسباً للعباد وقبيحاً منهم ولم يقل أراد الكفر والمعصية على الإطلاق من غير تقييد، ونسب هذا القول للأشعري. وهذه التفرقة

---

(1) الإعلام بقواطع الإسلام ص68 .
(2) انظر: كتاب الأصول والضوابط للنووي ص24، طبقات السكبي 385/3، محققة، وانظر: الإرشاد للجويني 239 .
(3) طبقات السبكي 295/10 و385/3 محققة.
(4) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص67 .
(5) التمهيد 48، الإنصاف 63 .
(6) الإنصاف 69 .

إن دلت على شيء فإنها تدل على تحرج الأشاعرة من إطلاق القول بأن الله يريد القبائح.

قال الرازي: « إن غالب أحكام الشرع معلل برعاية المصالح المعلومة » وذكر أدلة تفيد التعليل ونقضها بأدلة أخرى على عادته في التأرجح[1].

وقال التفازاني: « والحق أن تعليل بعض الأفعال لا سيما شرعية الأحكام بالحِكَم والمصالح ظاهر... ولهذا كان القياس حجة إلا عند شرذمة لا يعتد بهم، وأما تعميم ذلك بأن لا يخلو فعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث »[2].

قال البيجوري: « فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وإنما هما إمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى حتى لو عكس دلالتهما بأن قال الله: (من أطاعني عذبتُه، ومن عصاني أثبْتُهُ) لكان ذلك حسناً منه »[3].

وعندهم يجوز أن يكلف الله الإنسان فوق ما يطيق[4].

ثمرات نفي الحكمة والتعليل

قال الأشعري: « إن الخبز لا يُشبع والماء لا يُروي والنار لا تَحرق »[5]، وأن القول بأن الأسباب مؤثرة في مسبباتها يفضي إلى القول بشريك مع الله يؤثر في الأفعال، والله عزّ وجلّ هو المؤثر وحده[6]. وذكر الزبيدي أن الله: « يخلق الري عند شرب الماء ويخلق الشبع عند أكل الخبز ومن اعتقد غير ذلك فقد جعل

---

(1) المحصول في علم أصول الفقه 114/5 .
(2) شرح المقاصد 302/4-303 .
(3) شرح جوهرة التوحيد 108 .
(4) انظر: الإرشاد 203 للجويني.
(5) حكاها عنه السبكي في طبقاته 227/8 محققة، وانظر: مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري 282 .
(6) تحفة المريد للباجوري ص98-99 ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

لله شريكاً في أفعاله »[1].

ذكر المرتضى الزبيدي أنه يجوز أن يعذب الله الطائعين والأطفال والمجانين بل والأنبياء ويخلدهم في النار، وأن يثيب العاصي والكفار ويدخلهم الجنة لكنه لا يفعل[2].

وقال الغزالي: « ندعي أن الله تعالى إذا كلف العباد فأطاعوه لم يجب عليه الثواب، بل إن شاء أثابهم وإن شاء عاقبهم ولا يبالي لو غفر لجميع الكافرين وعاقب جميع المؤمنين »[3].

قال السبكي: « لله عندنا أن يعذب الطائعين ويثيب العاصين » وأنشد يقول:

لله تعـذيب المطيـع ولـو	ما كان من ظلم ولا عدوان
فنفـى العقـاب وقـال سوف	فلـه بـذلك علـيهم فـضلان
هذا مقـال الأشـعري إمامنـا	وسواء مأثور عن النعمان

وقد عللوا سبب مفهومهم أن الله متصرف في ملكه، وهو لا يُسأل عما يفعل. لأن إرادته مطلقة وقدرته عامة. كما يجوز منه أن يعذب الأطفال في الآخرة بغير جرم منهم ولا ذنب. ويكون ذلك منه عدلاً وحكمة، لأن الملك ملكه والمشيئة مشيئته ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولو عذب المطيعين وكافأ العاصين لم يكن ظالماً.

ولقد صرّح الفخر الرازي بقول عجيب حين تناول تفسير قوله تعالى: { **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } وافترض السؤال التالي: كيف جاز لعيسى أن يقول: (وإن تغفر لهم). والله لا يغفر الشرك؟ قال: يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يُدخَلَ الكفار الجنة، وأن يُدخل الزّهّاد والعبّاد النار

---

(1) إتحاف السادة المتقين 508/8 .

(2) إتحاف السادة المتقين 9/2 .

(3) الاقتصاد في الاعتقاد 117، قواعد العقائد 61، المحصل للرازي 295، المواقف 329، العقائد العضدية مع شرحها للجلال الدواني 193/2 .

». قال:

وقوله: **{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ }** نقول: « إن غفرانه جائز عندنا »[1].

الصحابة مقلدون

قال أبو منصور البغدادي: « قال أصحابنا: كل من اعتقد أركان الدين تقليداً... فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له، بل هو كافر... ومنهم من قال: لا يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه... وهذا اختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركاً ولا كافراً وإن لم يسمه على الإطلاق مؤمناً »[2].

قال السيوطي: « إن المقلد لا يسمى عالماً »[3].

{ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } [النساء: 59].

قال ابن حجر الهيتمي في فتح الأربعين (ص221) قال بعض أئمتنا: لا يجوز تقيد غير الأئمة الأربعة.

ولئن كانت طريقهم مثل طريقة المقلدين اليوم فلماذا نصرهم الله وخذلنا وتخلى عنا؟ لقد نصرهم الله حين جعلوا الغيرة على دين الله فوق أي اعتبار آخر.

ذكر الدهلوي في الإنصاف أن بدعة التقليد لا دليل يدل عليها بل الصحيح أن التقليد لم يأخذ شكله إلا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله ρ .

أنكر ابن عباس على قوم كانوا يعارضون السنة لقول أبي بكر وعمر فقال: « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر[4].

---

(1) التفسير الكبير للرازي (ص36/12).

(2) أصول الدين 254-255 .

(3) نقله السندي في حاشية ابن ماجه 7/1 وأقره.

(4) جامع بيان العلم 196/2، الفقيه والمتفقه 145/1 .

قال الكرخي: « كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ »[(1)].

وقال أحمد: « عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: { **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك »[(2)].

قال أبو بكر: « أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم فإن عصيتُه فلا طاعة لي عليكم »[(3)].

{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** } يقول الحافظ ابن عبد البر: « فإن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك... ولم تختلف العلماء أ، العمة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عزّ وجلّ: { **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** } [الأنبياء: 7].

وقال ابن تيمية: « والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجمل والتقليد جائز في الجملة: لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد »[(4)].

قال أبو عبد الله بن خويز منداد المالكي: « التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قولٍ لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوعٌ منه في الشريعة »[(5)].

قال عمّار بن ياسر عن عائشة: « والله إنها لزوجة نبيكم في

---

(1) الأصل للكرخي 152 ملحقه بتأسيس النظر للدبوسي.
(2) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية 260/1 .
(3) البداية والنهاية 5: 248 .
(4) مجموع الفتاوى 202/20 .
(5) جامع بيان العلم 143/2 لابن عبد البر.

الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم: إياه تطيعون أم هي »[1].

قال الشافعي: « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ρ فقولوا بها، ودَعوا ما قلتُه »[2].

وقال: « كل ما قلتُ فكان عن النبي ρ خلاف ما قلتُ مما يصح: فحديث النبي أولى فلا تقلدوني ». وقال: « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ρ لم يكن له أن يدعها لقولِ أحد »[3]. فهل يعي مقلّدو الشافعي تحذير الشافعي؟!

العز بن عبد السلام يمقت التعصب المذهبي

قال العز بن عبد السلام: « ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مذهب إمامه، بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، وهو مع ذلك يقلده فيه، ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه، بل يتحيّل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة: نضالاً عن مقلَّده ...

قال: وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه، بل يُصرُّ عليه مع علمه بضعفه وبُعده.. وإذا عجز عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه... فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليدُ بصره، حتى حمله على مثل ما ذكرتُه، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان، وعلى لسان من ظهر، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام، ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر من لسان الخصم »[4].

نقل الشعراين في الميزان عن الإمام أحمد قوله: « كثرة

---

(1) البخاري (7100).

(2) سير أعلام النبلاء 34/10 و78، مناقب البيهقي 472/1 .

(3) سير أعلام النبلاء 33/10، آداب الشافعي ومناقبه 69، للرازي تحقيق عبد الغني عبد الخالق.

(4) قواعد الأحكام 135/2-136 .

التقليد عمىً في البصيرة. كأنه يحث العلماء على أن يأخذوا أحكام دينهم من عين الشريعة ».

روى الرازي في تفسيره الكبير عن شيخه أنه قال: « شاهدتُ جماعةً من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب: كيف يمكن العمل بظاهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها! قال: ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا ». وقال الرازي: « الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم »[1].

يقول الشافعي: « إذا صح الحديث فهو مذهبي »[2]. قال الشاعر:

وقول أعلام الهدى لا يعمل ... بقولنا بدون نص يقبل

فيه دليل الأخذ بالحديث ... وذاك في القديم والحديث

قال أبو حنيفة الإمام ... لا ينبغي لمن له إسلام

أخذاً بأقوالي حتى تعرضا ... على الكتاب والحديث

ومالك إمام دار الهجرة ... قال: وقد أشار نحو الحجرة

كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول

والشافعي قال إن رأيتم ... قولي مخالف لما رويتم

من الحديث فاضربوا ... بقولي المخالف الإخبارا

وأحمد قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته بل أصل ذاك

(1) تفسير الرازي 431/4 .

(2) سير إعلام النبلاء 35/10 .

فـانظر مـا قالـت الهـداة وخـذ بهـا فـإن فيهـا منفعـة

لقمعهـا لكـل ذي تعـصب والمنـصفون يكتفون بـالنبي

التمذهب والتعصب الأعمى في أحلك وأظلم صوره

لقـد قـال مقلـدة الأحنـاف: يجـوز للحنفـي أن يتـزوج مـن الشافعية ولا يجوز للشافعي أن يتزوج الحنفية. تُنـزلهم منـزلة أهل الكتاب[1].

قال مقلدة الشافعية: يجوز للشافعي أن يتحنّف، ولا يجوز للحنفي أن يتشفع[2].

قال السيوطي: « من أدى صلاته على مذهب الشافعي كان على يقين من صحتها، ومن صلاها على مذهب مخالف وقع الخلاف في صحة صلاته »[3].

قال العلائي: « ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض »[4].

نقل ابن الهمام عن أبي اليسر البزدوي عدم جواز اقتداء الحنفـي بالـشافعي فـي الـصلاة، واشـترط بعـضهم لـصحة الاقتداي به أن لا يكون شاكاً في دينه، كأن يقول: « أنا مؤمن إن شاء الله »[5].

حكى النووي عن الإسفرائيني أنه لا يصح اقتداء الشافعي بـالحنفي فـي الـصلاة لعـدم اسـتيفاء الحنفـي شـروط الوضـوء

---

(1) الفتـاوى البزازيـة علـى هـامش الفتـاوى الهنديـة 112/4، والبحـر الرائـق 46/2 .

(2) الفوائـد البهيـة للكنـوي 32، والـدر المختـار 80/4، وإرشـاد النّقـاد 147، وكشف الظنون 612/1-618، وتحفة الأنام للسندي 45-47 .

(3) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب 14 مخطوط.

(4) نقد الطالب 118 .

(5) فـتح القـدير 311/1-312، وشـرح العنايـة علـى الهدايـة للبـابرتي، علـى هامش فتح القدير 310/1، الفوائد البهية للكنوي 216-217 .

والطهارة. وعجيب أن نرى تأييد النووي لهذا القول[1].

وكان بعضهم يتطاول على أهل المذهب الآخر ويلعنونهم على المنابر[2] وأدى هذا التعصب إلى حروب طاحنة بين الشافعية والحنفية بمدينة أصفهان أدت إلى خراب البلاد ونهب البيوت[3].

وكان إذا مرّ شافعيٌّ بين متعصبة الحنابلة أغروا به العميان حتى يكاد يموت[4].

وكانت العطاءات والرواتب والمناصب تُقسَّم على من يتمذهب بالمذهب الحنفي حتى اضطر جمعٌ من الشافعية للتحول إلى المذهب الحنفي[5].

وكان محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق (توفي 506هـ) يقول: « لو كان لي أمر لأخذتُ الجزية من الشافعية »[6].

وفي كتاب مراقي الفلاح حول حكم ماء البئر النجس قال: « فإن عجن بمائها يُلقى للكلاب، أو يُعلف به المواشي، وقال بعضهم: يُباع لشافعي »[7].

المسيح والمذهب الحنفي

قال الحفصكي: « والحاصل أن أبا حنيفة النعمان من أعظم معجزات المصطفى بعد القرآن. وقد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام إلى أن يحكم بمذهبه

---

(1) انظر: المجموع 258/1 و184/4 .
(2) سير أعلام النبلاء 8/19 .
(3) معجم البلدان لياقوت الحموي 273/1 و355/4 ط. الخانجي.
(4) الكامل لابن الأثير 308/8 .
(5) الدرر الكامنة 439/4 .
(6) ميزان الاعتدال 52/4 .
(7) مراقي الفلاح 21-22 .

عيسى عليه السلام[1].

وزعم الفاروقي السرهنيد أنه رأى الخضر وإلياس وأخبراه أنهما يصليان وراء قطب المدار على المذهب الشافعي لكونه شافعي المذهب ولكن إذا نزل يعمل بعد نزوله بمقتضى مذهب أبي حنيفة[2]. يزعم السرهندي أن الخضر أفاده بأن كمالات الولاية موافقة المذهب الشافعي وأن كمالات النبوة موافقة المذهب الحنفي ولكن مع أن الله قد أعفاه من الشرائع إلا أنه يقتدي في صلاته وراء قطب المدار بالمذهب الشافعي.

الله يأمر بالمذهب الشافعي !!

قال السبكي: « قال أبو المظفر: لما اختلج في ذهني تقليد الشافعي وزاد التردد عندي رأيت رب العزة في المنام فقال: عد إلينا يا أبا المظفر. فانتبهت وعلمت أن الله يريد مذهب الشافعي فرجعت إليه »[3].

لكنه حنفي عند الشعراني
وكان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة

زعم الشعراني أن بعض شيوخه ذكروا له أن الخضر كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة بعد صلاة الصبح، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربَّه أن يردّ روح أبي حنيفة حتى يتم للخضر إتمام علم الشريعة، فكان بعد ذلك أن صار يأتي الخضر قبر أبي حنيفة ويتلقى منه علم الشريعة وهو داخل القبر[4]. وعجباً أن يتعلم الخضر من أبي حنيفة مع أن موسى

---

(1) الدر المختار شرح تنوير الأبصار 1: 55-56 .
(2) مكتوبات الإمام الرباني السرهندي 305 المكتوب رقم (282).
(3) طبقات السبكي 338/5 محققة.
(4) معارج الألباب 44 .

هو الذي جاء إلى الخضر ليتعلم منه فتأم!!

عاقبة التنقل من مذهب إلى آخر

كان الملك عمر بن علي بن رسول حنفياً في أول الأمر ثم صار شافعياً بسبب رؤيته للنبي ρ وهو يقول له: يا عمر: صِرْ إلى مذهب الشافعي، فاعتمد حينئذ مذهب الشافعي[1].

ورأى محمد الكاشغري النحوي (توفي 705) في الرؤيا يوم القيامة والناس يدخلون الجنة، قال: فعبرت مع زمرة فجذبني شخص وقال: يدخل الشافعية قبل أصحاب أبي حنيفة، فأردت أن أكون مع المتقدمين. وكانت هذه الرؤيا المنامية سبب تحوله إلى المذهب الشافعي[2].

غير أن القاضي شمس الدين المعروف بابن زهرة (توفي 830هـ(كان أبوه شافعياً، ثم عدل عن مذهب الشافعي إلى المذهب الحنبلي بسبب رؤيا منامية أيضاً رأى أحدهم فيها النبي ρ وهو يقول: **((إن خالداً سيكون له ولدٌ حنبلي))** فتخلى عن الشافعية وانكبّ على كتب الحنابلة !

وكان إبراهيم بن محمد بن محمود برهان الدين يلقب بـ« النّاجي » لنجاته من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي[3] قال بكر بن أبي زيد: « ومعنى هذا أن من لم يترك مذهب الحنابلة في الأصول فليس ناجياً، نسأل الله السلامة ونعوذ به من انقلاب المفاهيم »[4].

وكان محمد بن حمد بن خلف أبو بكر حنبلياً ثم تحول إلى المذهب الحنفي ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ولهذا لقبوه « حنفش » اختصاراً لأسماء المذاهب الثلاثة. قال الحافظ: «

---

(1) العقد الثمين للفاسي 348/6 .
(2) بغية الوعاة 230/1، طبقات المفسرين للداودي 245/2 .
(3) الضوء اللامع 166/1 .
(4) النظائر 140 .

تحنبل ثم تحنف ثم تشفع فلذلك لُقب حنفش »[1].

الأحناف مغفور لهم !!!

ويزعم الهمداني فيما نقله الكردري أن الله نادى أبا حنيفة قائلاً: « غفرنا لك ولمن كان على مذهبك إلى يوم القيامة »[2].

أي المذاهب أفضل

كتب الجويني كتاباً يطعن فيه بالمذهب الحنفي بعنوان مغيث الخلق يوجب فيه على الناس اتباع مذهب الشافعي ونبذ ما سواه من المذاهب.

ومما قاله فيه:

« من انغمس في مستنقع نبيذ، وليس جلد كلب غير مدبوغ وأحرم بالصلاة مبدلاً بصيغة التكبير تركياً أو هندياً، ويقتصر في القرآن على ترجمة (مدهامتان) ثم يترك الركوع وينقر نقرتين لا قعود بينهما، ولا يقرأ التشهد، ثم يُحدث (يضرط) عمداً في آخر صلاته بدل التسليم، أو انفلت منه (الضراط) فيعيد الوضوء في أثناء صلاته... قال الجويني: « والذي ينبغي أن يقطع به كل ذي دين أن مثل هذه الصلاة لا يبعث الله بها نبياً... وقد زعم (أي أبو حنيفة) أن هذا القدر أقل الواجب، فهي الصلاة التي بعث الله النبي ρ وما عداها آدابٌ وسنن ». فانبرى له الكوثري ينافح عن المذهب الحنفي وكتب رسالة أسماها « إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق ».

أصول المذهب أهم من أصول الدين

قال أبو زيد الدبوسي: « الأصل عند أصحابنا أن خبر الآحاد متى ورد مخالفاً لنفس الأصول مثل ما روي عن النبي

---

(1) لسان الميزان 168/5، تبصير المنتبه 541/2، وميزان الاعتدال 528/3 .
(2) مناقب أبي حنيفة للكردري 62/2 .

ρ أنه أوجب الوضوء من مس الذكر، لم يقبل أصحابنا هذا الخبر لأنه ورد مخالفاً للأصول »[1].

وقال الكرخي في الأصول: « أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تُحمَلُ على النسخ أو الترجيح والأولى أن تُحمل على التأويل »[2] وهكذا بات قول الكرخي والدبوسي وصمة عار في المذهب لأنها تجعل نصوص الكتاب والسنة تبعاً لأصول المذهب الحنفي، وكأنه عند التنازع يجب الرد إلى أصول المذهب وليس إلى الله ورسوله.

قال صاحب كتاب الهداية (462/1) عند الحديث عن موقف الإمام في الصلاة على الجنازة « ويقوم الذي يصلي على الرجل والمرأة بحذاء الصدر لأنه موضع القلب، وفيه نور الإيمان، فيكون القيام عنده إشارة إلى الشفاعة ».

قال: هذا مع أنه ذكر حديث أنس الصحيح الصريح بأن من السنة أن يقف الإمام عند رأس الرجل، ووسط المرأة، ومع ذلك قدّم الرأي السابق عليه.

وقال صاحب شرح العناية على الهداية الحنفي (225/1) على هامش فتح القدير: « إن حضورهن (أي النساء) إلى صلوات الجماعات متروك بإجماع المتأخرين » وقال صاحب فتح القدير مثل قوله، مخالفاً بذلك الحديث الصحيح **((لا تمنعوا نساءكم المساجد))**[3]. وقد قالها من قبل ولد لعبد الله بن عمر « فإني أمنعهنّ » فقال له أبوه: « أقول لك قال رسول الله وتقول لي هذا؟ والله لا أكلمك أبداً » فما كلّمه حتى مات.

الانحطاط الخُلقي بين الفقهاء

وعند الجباوي والشرنبلالي وهما من الفقهاء المتأخرين «

(1) تأسيس النظر 141 .
(2) الأصل للكرخي 152 ملحقة بتأسيس النظر للدبوسي.
(3) البخاري (900)، ومسلم (442).

والأحق بالإمامة السلطان أو نائبه... فالأحسن خُلُقاً فالأحسن وجهاً فأكثرهم بشاشة فالأحسن صوتاً فالأحسن زوجة فالأكثر مالاً فالأنظف ثوباً، فالأكبر رأساً فالأصغر عضواً »[1].

موجبات الغسل عند الباجوري

وذكر الباجوري من موجبات الغسل: « إنزال المني سواء من طريقه المعتاد أو من غيره. كأن انكسر صُلبه فخرج منيه ».

قال: « ولو شق ذكره قسمين فأدخل أحدهما في زوجة والآخر في زوجة أخرى وجب الغسل عليه دونهما ».

« ولو كان له ذَكَران أصليان أجنب بكلٍّ منهما...» « ولو دخل رجلٌ فرج امرأة وجب عليهما الغسل ...».

« والفرج: أيٌّ قُبُلٍ أو دُبُرٍ ولو من نفسه، كأن أدخل ذكره في دُبُره فيجب عليه الغسل ». « ولو أدخل ذكره في ذكرٍ آخر وجب الغسل على كل منهما »[2].

الكعبة تزور الأولياء في الله

قال ابن عابدين: « وفي البحر عن عدة الفتاوى: الكعبة إذا رُفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها »[3].

وهذه دعوى يروّج لها مشايخ الضلال فقد زعموا أن النبي ρ جاء ومعه الكعبة قصداً لزيارة الشيخ الرفاعي في موطنه بقرية أم عبيدة[4].

وزعموا أن ابن عربي أتت الكعبة إليه هي والحجر الأسود

---

(1) كتاب رفيق الأسفار 43 .

(2) حاشية الباجوري على ابن قاسم 72/1 .

(3) حاشية ابن عابدين 302/1 المطبعة الأميرية.

(4) إرشاد المسلمين 84، روضة الناظرين 59، إحياء علوم الدين 269/1 .

وطافت حوله ثم تلمذت لـه وطلبت منـه ترقيتها إلـى المقامات العليا فرقاها وناشدها أشعاراً وناشدته[1]. وأنها كانت تطوف بالشيخ إبراهيم المتبولي والشيخ أبو بكر العردوك[2].

ألفاظ فقهية فاسدة

ونرى آثار الفساد المنهجي في الفقه وثمراته السيئة تتجلى في كلام الحبشي الذي قال:

« خروج المني أي ظهوره إلى ظاهر الحشفة ووصوله إلى ظاهر فرج البكر، أو وصوله إلى ما يظهر من فرج الثيب عند قعودها على قدميها.

وعلامة المني التي يُعرف بها: التدفق أي الانصباب بشدة أو التلذذ بخروجه أو ريح طلع النخل أو العجين في حال الرطوبة، وريح بياض البيض بعد الجفاف وهي علامات مشتركة بين الرجال والنساء.

والجماع: هو إيلاج الحشفة أو قدرها من فاقدها في فرج ولو دبراً أو فرج بهيمة أو ميتة. فلا يجب غسل الميتة من ذلك.

والنفاس: هو الدم الخارج بعد الولد <u>ولو مجة أي قدر بزقة واحدة</u> »[3].

وهكذا تجد التفصيل إلى درجة التجرد من أدنى درجات الحياء. قارن قلة الحياء هذه بقول النبي ρ حين سألته امرأة عن كيفية الطهارة من الحيض فقال: « سبحان الله، تطهري ».

ثناء أهل العلم على ابن تيمية

عاتب الهيتميُّ ابنَ عربي عتاباً رقيقاً <u>لاعتقاد هذا الأخير</u>

---

(1) جامع كرامات الأولياء 120/1 .

(2) جامع كرامات الأولياء 245/1 و257 .

(3) الدليل القويم 70 .

بإيمان فرعون قائلاً: « فنحن وإن كنا نعتقد بجلالة ابن عربي فقوله بإيمان فرعون مردود »[1].

الزبيدي والقاري يثبتان قول ابن عربي بإيمان فرعون

قال المرتضى الزبيدي: « وممن قال بإيمانه – أي فرعون – الشيخ محيي الدين بن عربي في مواضع من فتوحاته وفصوصه: لا يستريب مطالعهما أنه كلامه وأنه غير مدسوس عليه » وقد رد على الشيخ عبد الوهاب الشعراني زعمه أن هذا الكلام مدسوس على ابن عربي. قال: « وممن شنع على الشيخ محيي الدين ابن المقري صاحب الإرشاد والحافظ ابن حجر وتلميذه البقاعي ومن المتأخرين ملا علي القاري من الحنفية والذي يصف ابن عربي بأنه زنديق منافق إمام الاتحادية[2]. وكتب رسالة بعنوان: « فر العون من القول بإيمان فرعون » وقال في شرح الفقه الأكبر: « وفيه رد على ابن عربي ومن تبعه كالجلال الدواني، وقد ألفتُ رسالة مستقلة في تحقيق هذه المسألة »[3]. وحكى عن العلامة ابن نور الدين أنه صنف مجلداً كاملاً في الرد على ابن عربي[4].

وممن ذهب إلى تأييد كلامه في وحده الوجود شُرّاح الفصوص الجندي والكازروني والقيصري والجامي وعلي المهايمي والجلال الدواني وعبد الله الرومي وللكازروني كتاب بالفارسية سماه «الجانب الغربي» رد فيه على من

---

(1) الزواجر 33/1 .

(2) الرد على القائلين بوحدة الوجود 56 و60 وانظر 64 تحقيق على رضا ط: دار المأمون للتراث. دمشق.

(3) الفقه الأكبر 25 وقال مثله في كتابه « الرد على القائلين بوحدة الوجود » ص32 و37 .

(4) الرد على القائلين بوحدة الوجود 37 .

اعترض على الشيخ ابن عربي منها هذه المسألة[1].

شهد العز بن عبد السلام (سلطان العلما) على ابن عربي بالزندقة والانحلال وذلك حين سأله عنه ابن دقيق العيد فأجابه قائلاً (ابن عربي) « شيخ سوءٍ كذّاب، يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجاً »[2].

واعترف ابن حجر الهيتمي بأنه كان يصرّح بإيمان فرعون[3].

واتهمه الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حيان النحوي بالقول بوحدة الوجود المطلقة والتعصب للحلاج[4].

واتهمه السخاوي بالقول بوحدة الوجود وأنه من جملة الاتحادية المحضة القائلين بوحدة الوجود بين الله وخلقه كالحلاج وابن الفارض، وعاتب ابن قطلوبغا وابن الغرس لمناضلتهما عن ابن عربي بالرغم مما كان معروفاً عن ابن قطلوبغا من حسن العقيدة[5].

ذكر النبهاني أنه كان يقول بأن الأولياء ينتقلون إلى مقام كريم يقولون للشيء كن فيكون[6].

وقال ابن المقرّي في ابن عربي: « من لم يُكَفِّره كان كمن لم يُكَفِّر اليهودَ والنصارى »[7] حكاه عنه ابن حجر المكي. غير أنه علق على ذلك بقوله: « وهذا اعتراض منه على ابن عربي وابن الفارض ».

---

(1) إتحاف السادة المتقين 246/2 .

(2) سير أعلام النبلاء 48/23-49 ورسالة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود ص34 .

(3) الزواجر 35/1 .

(4) لسان الميزان 384/2، تفسير البحر المحيط 449/3 .

(5) الضوء اللامع 186/6 و 220/9-221 .

(6) جامع كرامات الأولياء 32/1 .

(7) الزواجر عن اقتراف الكبائر 379/2 .

ثم تساءل عن الدليل الذي يبرر تكفيره! متجاهلاً بذلك ما في الفتوحات والفصوص من مقولات الكفر الصريح في حين يرمي ابن تيمية بسلسلة من التهم ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل عليها من كتبه. فأجدر به أن يُلحَق بطائفة المتعصبين الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل.

إفحام المتعصبين

وكبار الأئمة كالحافظ ابن حجر وابن عبد السلام وابن المقري سراج الدين البلقيني[1] وأبي حيان قالوا بكفر ابن عربي.

وأبي بكر محمد بن صالح المعروف بابن الخياط والقاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر علي الناشري وهما مما يقتدى بهما من علماء اليمن[2]:

ثناء بدر الدين العيني على ابن تيمية

وقد أثنى بدر الدين العيني على ابن تيمية ومواقفه الشجاعة من التتار، وأنه كان يحرض الناس على قتالهم حتى دحرهم[3]، ولهذا كان العيني يُجِلّه ويدعو له بالرحمة[4].

ويذكر أنه كان ينزل إلى الأسواق مع تلاميذه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده، وأن أهل دمشق شكوه إلى السلطان لأنه ذهب لقلع صخرة يعتقدون أن النبي ρ قعد عليها فكانوا يعظمونها ويسألون الله عندها، فأخذ ابن تيمية فأساً ونزعها فلما بلغ الأمر السلطان أثنى عليه لذلك، وكان يقوم بنفسه بإزالة المنكرات فيقلب الرقع التي توضع عليها

---

(1) الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي 77 .
(2) الرد على القائلين بوحدة الوجود للشيخ علي قاري 135 و138-139 .
(3) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 30/4 الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(4) عقد الجمان 223/4 .

الشطرنج ويمر ومن معه على الخمارات وأماكن الفواحش فيريقوا الخمور ويكسِروا أوانيها[1].

وذكر العيني مناظرة ابن تيمية المشهورة مع دجاجلة الرفاعية وأنه عرض عليهم حين زعموا أنهم أصحاب كرامات يدخلون النار فلا يصيبهم شيء منها: عرض أن يدخلها معهم واشترط عليهم أن يغتسل الجميع بالماء الحار والخل وأثبت أنهم يستخدمون بعض الدهون يحتالون بذلك على العامة حتى يظنوا فيهم الولاية، وأن زعيمهم اعترف لابن تيمية أن كراماتهم تظهر أمام التتار وأما قدّام الشرع فلا[2].

وأوضح العيني أن الشكوى ازدادت من ابن تيمية لكثرة ما ينال من ابن عربي حتى سُجِن بإشارة من المنبجي[3].

الذين أثنوا على ابن تيمية

الشيخ محمد ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي (ت842هـ) الذي كتب كتاباً بعنوان (الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية «شيخ الإسلام» كافر) رداً على العلاء البخاري صاحب هذه العبارة. أورد فيه شهادات المئات من كبار الأئمة في الثناء على ابن تيمية. وقرظه: الحافظ ابن حجر والعيني والتفهني والبلقيني[4] وهذا العلاء كان طعاناً بالنووي ويحرم النظر إلى كتبه. بل كان يحكم بكفر ابن عربي كما حكاه ابن طولون في (القلائد الجوهرية 538/2-539) وصاحب كتاب براءة الأشعريين (65/2-66) وكتب في الرد عليه كتاب «فاضحة الملحدين». فإن كانت شهادته عندكم

---

(1) عقد الجمان 357/4، العقود الدرية 288، البداية والنهاية 11/14 .
(2) عقد الجمان 473 .
(3) عقد الجمان 460/4-461 .
(4) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية 72 لمرعي الحنبلي.

معتبرة فخذول بحكمه في النووي وابن عربي!

الحافظ ابن حجر العسقلاني، أثنى عليه في الدرر الكامنة 154/1 ودعا له بالرحمة فقال: « قال شيخ شيوخنا الحافظ المزي[1] في ترجمة ابن تيمية: «كان يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته.. برز على كل أبناء جنسه»[2].

مازال الحافظ ابن حجر يحتج بأقواله، بل يسلّم له في نقده في الحديث كما في رواية (كان الله ولا مكان)[3]. بل أعطاه (((حافظ))). فقد ذكر في (التلخيص الحبير 109/3) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال: « وهذا الحديث سئل عنه الحافظ ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرَف في شيء من كتب المسلمين المروية ».

ووصفه الشيخ ابن عابدين الحنفي صاحب الحاشية المشهورة بصفة (الحافظ)[4].

الشيخ ملا علي القاري[5] الذي كان يذب عنه وعن تلميذه ابن القيم ويقول: « ومن طالع كتاب مدارج السالكين تبين له أنهما من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة »[6].

الحافظ عمر بن علي البزار، له كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ذكر فيه فضائله ومناقبه ومنزلته عند

---

(1) قال فيه السبكي: « حامل راية أهل السنة والجماعة » (طبقات السبكي 395/10 محققة).
(2) الدرر الكامنة 1: 156 و157 .
(3) فتح الباري 289/6 .
(4) رد المحتار على الدر المختار 257/2 ط: دار إحياء التراث العربي.
(5) وصفه الكوثري بأنه «ناصر السنة» (تبديد الظلام 100).
(6) مرقاة المفاتيح 8: 251-252 .

العلماء.

محمد بن عبد البر السبكي الذي قال: « والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به »[1].

ابن الزملكاني الذي أوذي بسبب حبه لابن تيمية وذلك بإشارة من المنبجي الذي كان ينتصر لعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود، وأدى إنكاره إلى النقمة عليه والوشاية به: قاله الحافظ[2].

تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية[3].

وابن دقيق العيد الذي قال لابن تيمية لما اجتمع به: « ما أظن بقي يُخلَق مثلك ». ذكره الحافظان ابن كثير وابن رجب[4].

وأنصفه الحافظ ابن كثير: وأوضح حقيقة عقيدته وعمله وكيد الحاسدين له.

وقد زعم الحوت في رسائله السبكية أن الأرموي ناظر ابن تيمية وأفحمه، مع أن ابن كثير كذّب ذلك وأكد « أن ساقية الأرموي لاطمتْ بحراً »[5]. وأنهم لما عقدوا له مجلساً لمناقشة رسالته الحموية أجابهم بما أسكتهم[6]. وكتب لهم عقيدته الواسطية، وأمهلهم ثث سنوان أن يراجعوها ويجدوا فيها ما يخالف عقيدة السلف.

وشرف الدين المقدسي الذي كان يفتخر بابن تيمية ويفرح

---

(1) الرد الوافر 95 .
(2) الدرر الكامنة 147/1، البداية والنهاية 50/14 .
(3) البداية والنهاية 13: 303 .
(4) البداية والنهاية 14: 37 الذيل على طبقات الحنابلة 392/2 .
(5) البداية والنهاية 14: 36. وقد وصف السبكي الأرموي بأنه كان رجلاً ساذجاً (طبقات السبكي 163/9 محققة).
(6) البداية والنهاية 14: 4 .

به[1].

وابن منجا التنوخي.

والشيخ أحمد ولي الله الدهلوي كما في كتابه التفهيمات الإلهية.

وشيخ الحزاميين الواسطي الذي قال: « فوالله ثم والله لم يُر تحت السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخُلُقاً واتباعاً وكرماً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته »[2].

وأثنى عليه الشيخ شهاب الدين الأذرعي وذكر شيئاً من كراماته. قاله الحافظ ابن حجر[3].

وابن طولون الحنفي[4].

وابن عبد الهادي، وله كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية. رد فيه على السبكي وكشف ضعفه في الحديث واعتماده في رده على ابن تيمية حول شرعية شد الرحال إلى القبور على الروايات الضعيفة والموضوعة.

وبالغ الحافظ العلائي في الثناء عليه إلى أن قال: « اللهم متّعنا بعلومه الفاخرة وانفعنا به في الدنيا والآخرة »[5].

والحافظ عبد الرحمن ابن رجب الذي أثنى عليه كثيراً وقال: « هو الإمام الفقيه المجتهد المحدّث الحافظ المفسر الزاهد. تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام، وعَلَم الأعلام، وشُهرته تغني عن الإطناب في ذكره.. كان رحمه الله فريد دهره في فهم القرآن، ومعرفة حقائق الإيمان »[6].

---

(1) البداية والنهاية 14: 341 .
(2) البداية والنهاية لابن كثير 137/14 .
(3) الدرر الكامنة 1: 160 .
(4) القلائد الجوهرية 538/2 في تاريخ الصالحية.
(5) الدرر الكامنة 1: 159 .
(6) الذيل على طبقات الحنابلة 387/2-392 .

والحافظ العراقي.

وعمر بن سعد الله ابن نجيح.

وحافظ زمانه الشيخ أبو الحجاج المزي.

وأبو بكر الرحبي.

وفضل الله العمري.

والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي.

وشيخ الإسلام عمر بن رسلان البلقيني مجتهد عصره.

وإمام الحنفية الشيخ بدر الدين (محمود بن أحمد) العيني الذي قال: « فمن قال أن ابن تيمية كافر: فهو الكافر حقاً، ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق، وكيف ذاك، وقد سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق »[1].

الحافظ السخاوي الذي لم يزل يحتج ويعتمده في ترجيح درجة الأحاديث « وناهيك بابن تيمية اطلاعاً وحفظاً أقرّ له بذلك المخالف والموافق، وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا، وقد قال عنه الحافظ شمس الدين الذهبي: ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه: كأن السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة.

ووصفه العلامة فتح الدين ابن سيد الناس مصنف السيرة النبوية المشهورة فقال: « وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً » ثم قال السخاوي بعدما هذا النقل: « نعم. قد نسبت إليه مسائل أُنكِرَت عليه مقررة عند أهل العلم، والسعيد من عُدّت غلطاته رحمه الله وإيانا »[2].

وقد امتلأ كتابه « المقاصد الحسنة » بالاحتجاج بابن تيمية في نقده للأحاديث والروايات تصحيحاً وتضعيفاً ونحيلك إلى جملة من هذه الأحاديث: حديث رقم (45) و(17) و(229)

---

(1) الرد الوافر 345 .

(2) الفتاوى الحديثية عند حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين).

و(233) و(384) و(609) و(838) و(856) و(883) و(714) و(1356) و(1126). ولم يزل يحتج بتصحيحه وتضعيفه لروايات الحديث فيقول مثلاً: « قال ابن تيمية: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم »[1].

تعظيم الزبيدي لابن تيمية

ومازال الزبيدي يعظم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كقوله: « والله يغفر لابن القيم » (39/1). ويكثر من الاحتجاج بأقوال ابن القيم (67/1 و132 و406 و413 و420 2/270). وبأقوال شيخه ابن تيمية (170/1 و176). ويصف ابن تيمية بـ(الحافظ) (400/1) (106/2) و(الإمام) (170/1) بل وبشيخ الإسلام كما قال: « شيخ الإسلام رحمه الله تعالى » (482/3 و537/4).

ويحتج هو والحافظ العراقي بتصحيحات وتضعيفات ابن تيمية في الحديث كما في شرح الإحياء (449/1) فقد قال عن حديث « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » « قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له ».

ولقد قرأت كتابه (الإتحاف كله) وعرفته رجلاً دمث الخلق موقراً لأهل العلم ولو كان مخالفاً لهم.

السيوطي ينقل ثناء الزملكاني على ابن تيمية

والسيوطي عادة ما يصف ابن تيمية « شيخ الإسلام أحد المجتهدين » «تقي الدين» ويصف تلميذه بـ«العلامة شمس الدين ابن القيم»[2].

---

(1) انظر الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص200 و204 تحقيق الصباغ ط: الوراق – الرياض.

(2) صون المنطق 201، الحاوي للفتاوي 123/1 و221 و136/2 و341 .

ونقل السيوطيُّ رحمه الله عن الزملكاني ثناءه على ابن تيمية وذكر أنه « سيدنا وشيخنا الإمام العالم الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة، مُحيي السنة، ومن عظُمَت به الله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة، تقي الدين ابن تيمية: أعلى الله منارَهُ وشيد من الدين أركانه ».

ثم أنشد يقول:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّتْ عن الحصر

هو حجةٌ لله قاهرةٌ هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة أنواره أرْبَت على الفجر

قال السيوطي: نقلتُ هذه الترجمة من خط العلاّمة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين الزّملْكاني رحمه الله.

وكان يقول: « لم يُرَ منذ خمسمائة سنة أحفظ منه »[1].

وكان السيوطي يدعو لابن تيمية[2]. ويحتج كثيراً بأقوال تلميذه ابن القيم ويصفه بالعلامة شمس الدين[3].

وينقل ثناء البرزالي عليه

قال السيوطي: « ونقلتُ من عِلم الدين البرزالي: قال: قال سيدنا شيخنا الإمام العالم العلامة القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الورِع، إمام الأئمة، حبر الأمة، مفتي الفِرق، علامة

---

(1) الأشباه والنظائر النحوية 681/3، وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين الصفدي 71/1، والذيل على طبقات الحنابلة 392/2-393 .

(2) صون المنطق 201 .

(3) صون المنطق 201، الحاوي للفتاوي 123/1 و221 و136/2 و341 .

الهدى، ترجمان القرآن، حسنة الزمان، عمدة الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، زكي الشريعة والفنون البديعة، ناصر السنة، قامع البدعة، تقي الدين ابن تيمية الحرّاني، أدام الله بركته ورفع درجته »[1].

الذين لقبوا ابن تيمية « شيخ الإسلام »

الحفاظ: السيوطي وابن رجب والشعراني الذين لقبوه بهذا اللقب. فقد جاء في كلام السيوطي عن ابن تيمية « شيخ الإسلام، الحافظ الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، نادرة العصر، علم الزُّهّاد »[2].

والزبيدي صاحب تاج العروس وإتحاف السادة: وصفه في كتابه (إتحاف السادة) بشيخ الإسلام وأثنى عليه واحتج بأقواله مرات عديدة في إتحافه ثم بعد أن وصفه بشيخ الإسلام ونقل له كلاماً عظيماً في أصول القرآن قال: « انتهى ملخصاً من كلام ابن تيمية وهو كلام نفيس جداً »[3].

<u>وكان التاج السبكي يفخر بأن الحافظ أبا الحجاج المزّي لم يكتب بخطه لفظ (شيخ الإسلام) إلا لاثنين: لأبيه تقي الدين السبكي ولتقي الدين ابن تيمية</u>[4].

واعترف الحافظ العلائي بأن المزي لم يكن يثبت لفظ «شيخ الإسلام» إلا للتقي السبكي ولابن تيمية[5].

والشيخ ملا علي القاري الحنفي الذي كان كثير الذب عن

---

(1) الأشباه والنظائر النحوية 681/3-683 .

(2) انظر: طبقات الحفاظ 516، ترجمة رقم (1144)، ومقدمة كتاب السيوطي صون المنطق والكلام ص1، والأشباه والنظائر للسيوطي 683/3 .

(3) إتحاف السادة المتقين 537/4 .

(4) طبقات الشافعية 195/10، الذيل على طبقات الحنابلة 387/2، وانظر: ثناء السيوطي على ابن تيمية كما في الأشباه والنظائر 681/3-683 .

(5) نقد الطالب لزغل المناصب 54 للعلائي.

ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كما في شرح الشمائل ووصفهما بأنهما شيخا الإسلام ومن أولياء هذه الأمة وأكابرها.

والشعراني (عبد الوهاب) الذي كان يصفه « شيخ الإسلام »[1].

قال الشيخ شمس الدين محمد بن صفي الدين الحنفي: « إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟ وقالها قاضي القضاة ابن الحرير الحنفي الذي لقي الأذى بسبب وقفته المنصفة تجاهه »[2].

وابن طولون الذي يصفه بـ«التقي شيخ الإسلام» ويشهد له بأنه «علاّمة زمانه»[3].

موقف الرفاعية من ابن تيمية

الصيادي (محمد أبو الهدى) كان يدعو لابن تيمية قائلاً: « نسأل الله أن يرحمه ويعفو عنه »[4]. وكذلك الوتري[5].

وكان الشيخ صالح المنيعي الرفاعي يصفه بـ«العالم المبارك» مع معاداته له[6].

وكان عبد الوهاب الشعراني يصف ابن تيمية[7].

قال العلامة ابن عابدين في محشى «الدر المختار» في كتابه «سلُّ الحسام»[8] «إن هذه القاعدة [الجرح مقدم على التعديل] إنما هي في غير من اشتهرت عدالته، وفي غير من

(1) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق 556 .
(2) الدرر الكامنة 147/1، البداية والنهاية لابن كثير 142/14 .
(3) القلائد الجوهرية في تأريخ الصالحية 452/2 و458 .
(4) قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد بن حسن وادي الصيادي 208 و215 و217 .
(5) روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للوتري 141 .
(6) روضة الناظرين 141 .
(7) لطائف المنن والأخلاق 556 .
(8) لعله نقلها عن السبكي.

عُلم أن التكلم فيه ناشئ عن عداوة أو جهالـة وغباوة، فقد قال الحافظ الباجي: الصواب عندنا أن من كَثُر مادحوه ومزكّوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالـة على سبب جرحـه من تعصب مذهبي أو غيره فإنّا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالـة، وإلا: فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجُرح على إطلاقه لما سَلَمَ لنا أحدٌ من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

وعن مالك بن دينار « يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا في قول بعضهم في بعض »[1].

قال: « ومما ينبغي أن يُتفقّد عند الجرح: حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارحُ المجروحَ في العقيدة فجرحه لذلك. وإليه أشار الرافعي بقوله: « وينبغي أن يكون المُزكّون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثيرٍ من الأئمة، جُرِحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب ».

وقال الذهبي والحافظ ابن حجر العسقلاني وأبو نعيم الأصفهاني: « إن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، لا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو مذهب، إذ الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى. قال الذهبي: « وما علمتُ عصراً سلِمَ أهلُه من ذلك ».

وقال عند ترجمة الفضيل: « إذا كان مَثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ومثل الفضيل بن عياض يتكلم فيه، فمن الذي يَسْلم من ألسِنَة الناس؟ ولكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في

---

(1) طبقات السبكي محقق 9/2 غير محقق و 188/1 .

العلماء يفتقر إلى وزن بالعدل والورع »[1].

قال القنوجي في هداية السائل إلى أدلة المسائل: « قد فتح باب التقليد والتمذهب عداوات وتعصّبات قلَّ من سَلِمَ منها إلا من عصمه الله »[2].

قال الإمام أحمد: « كل رجل ثبتت عدالته لم يُقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه »[3].

قال ابن جرير الطبري: « لو كان كلٌّ من ادُّعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعى به، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم تركُ أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قومٌ ما يُرغَبُ به عنه. ومن ثبتت عدالته لم يُقبل فيه الجرح، وما تسقط العدالة بالظن »[4].

عصور التعصب والمذهبية

شهد الحافظ ابن حجر وابن قاضي شهبة والمقريزي والسخاوي أن الحصني كان شديد التعصب[5].

وكان الحصني يصرّح بكفر ابن تيمية، فأهانه القضاة والحنابلة وأهالي دمشق إهانات كثيرة واحتقروه[6].

نقل الإمام السخاوي عن الإمام المقريزي شدة عصبية الحصني وغلوه تجاه ابن تيمية بل وتجاه الحنابلة بشكل عام. فيقول: «وذكر المقريزي في عقوده أن الحصني كان شديد

---

(1) سير أعلام النبلاء 448/8 .

(2) ميزان الاعتدال 111/1، سير أعلام النبلاء 399/5، وانظر: كلام الصيادي في ذلك (قلادة الجواهر 207).

(3) تهذيب التهذيب 273/7 .

(4) هدي الساري ص428 .

(5) الضوء اللامع 83/6، إنباء الغمر بأبناء العمر 110/8-111، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 98/4، الضوء اللامع 83/6 .

(6) الرد الوافر 261، الضوء اللامع 145/1، البدر الطالع 28/1 .

التعصب للأشاعرة، منحرفاً عن الحنابلة انحرافاً يخرج منه عن الحد. وتفحش في ابن تيمية، وتجهر بتكفيره من غير احتشام، بل يصرح بذلك في الجوامع والمجامع، بحيث تلقى ذلك عنه أتباعه واقتدوا به جرياً على عادة أهل زماننا **<u>في تقليد من اعتقدوه</u>**، وسيُعرضان جميعاً على الله الذي يعلم المفسد من المصلح. ولم يزل على ذلك حتى مات عفا الله عنه »[1].

وذكر السخاوي أيضاً أن الشيخ إبراهيم بن محمد الطرابلسي اجتمع بالحصني وقال له: « لعلك التقي الحصني. ثم سأله عن شيوخه فسمّاهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطّ عليه أنت؟! فما وسع الحصني إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر يردّ عليه »[2] انتهى قول السخاوي.

حكى السيوطي عن أبي العباس الطنجي تلميذ أحمد الرفاعي أن الشيخ عبد الرحيم بقنا قال له: « اذهب إلى بيت المقدس لتعرف رسول الله هناك. قال: فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ρ »[3].

هل يعني ذلك جواز لعن ابن فورك والخطيب ؟

روى الخطيب في تاريخه رواية: « الكرسي الذي يجلس عليه الرب عزّ وجلّ، وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد » قال الخطيب: قال أبو بكر المروذي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن العابد – حين قدمنا بغداد – أخرج ذلك الحديث الذي

---

(1) الضوء اللامع 83/6-84 .

(2) الضوء اللامع للسخاوي 145/1، البدر الطالع للشوكاني 30/1 .

(3) الحاوي للفتاوي 260/2 و265 .

كتبناه عن أبي حمزة، فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً.

وقال أبو بكر بن سلم: « إن الموضع الذي يفضل لمحمد ρ ليجلسه عليه، قال أبو بكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروذي وعلى أبي بكر بن سلم العابد » (تاريخ بغداد 52/8).

وروى ابن فورك هذا الحديث الباطل وهو « إن الله ملأ العرش حتى إن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد قائلاً هكذا ووضع إحداهما على الأخرى، قال: ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى ».

ثم حاول أن يوجد له تأويلاً على عادته في سياقه الروايات الباطلة وتأويلها فقال: « يحتمل أن يكون المراد ملأه عظمة ورفعة »[1].

صرح الحافظ ابن حجر بأن الإشكال بين أبي حيان وابن تيمية إنما وقع حول قضية تتعلق بالنحو فقد دار جدال بينهما في النحو فخطأ ابن تيمية سيبويه في مسائل فلما عارضه أبو حيان قال له ابن تيمية: « لم يكن سيبويه نبياً معصوماً ». قال ابن حجر[2]: « فاعتبر أبو حيان هذه الكلمة ذنباً لا يُغتفر، وكان هذا سبب مقاطعته إياه ».

اختبار الصدق

فقد قال أبو حيان في قوله تعالى: **{ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }**: « ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تسربل بالإسلام ظاهراً وانتمى إلى الصوفية: [استنبط] حلول الله في الصور الجميلة. ومن ذهب

---

(1) مشكل الحديث وبيانه 341 .

(2) الدرر الكامنة 1: 152-153 .

من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج والشوزي وابن عربي المقيم بدمشق وابن فارض والملعون العفيف التلمساني، وإنما سردتُ أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله تعالى وليحذر المسلمون منهم »[1] انتهى.

ونص ابن طولون على أن غالب الفقهاء وجميع المحدّثين يعتقدون في ابن عربي أنه مبتدع اتحادي ملحد، قال: وسمعت الشيخ الكفر السوسي يقول: رقاهم بعض المتأخرين إلى نحو خمسمائة منهم قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري، والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحرانين وعلامة زمانه تقي الدين ابن تيمية والعلامة كمال الدين جعفر الأدفوي، والحافظ ابن كثير، ونادرة زمانه علماً وعملاً علاء الدين البخاري، وقاضي القضاة أبو زرعة العراقي وقاضي القضاة بدر الدين العيني، وشيخ الإسلام شمس الدين البلاطنسي، والعلامة محمد بن إمام الكاملية الصوفي، وحافظ العصر شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، والفقيه تقي الدين ابن الصلاح، وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وبدر الدين ابن جماعة، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي[2].

وقد شرح ابن سبعين كتاب الفصوص لابن عربي[3].

موقف التقي السبكي

وقد وبّخ الذهبيُّ السبكيَّ لتكلمه في حق ابن تيمية فأجابه السبكي برسالة أثنى فيها على ابن تيمية.

قال الحافظ ابن حجر: « وكتب الذهبي إلى السبكي يعاتبه

---

(1) تفسير البحر المحيط 449/3 .

(2) القلائد الجوهرية في تأريخ الصالحية 538/2-539، عقد الجمان لبدر الدين العيني 86/2، النجوم الزاهرة للأتابكي 232/7 .

(3) مخطوط بمكتبة برلين 2849 .

بسبب كلامٍ وقع منه في حق ابن تيمية فكان من جملة جواب السبكي:

« وأما قول سيدي الشيخ في حق ابن تيمية، فالمملوك يتحقق كبيرَ قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره (أي قدر ابن تيمية) في نفسي أكبر من ذلك وأجل، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان » انتهى قول السبكي فيما حكاه الحافظان ابن حجر وابن رجب[1].

كان التقي السبكي يدعو لابن تيمية بالرحمة بالرغم من العداء العقائدي بينهما ويصفه بـ«تقي الدين»[2].

تهوّر السبكي الابن

بقي يطعن في ابن تيمية حتى نسبه السخاوي إلى التعصب المقيت لقوله في طبقاته « وهل ارتفع للحنابلة قط رأس ».

قال السخاوي: « وهذا من أعجب العجاب وأصحب للتعصب. ولذا كتب تحت خطه قاضي عصرنا وشيخ المذهب العز الكناني ما نصه « وكذلك والله ما ارتفع للمعطلة رأس...» إلى أن قال عن التاج السبكي « هو رجل:

1 - قليل الأدب.

2 - عديم الإنصاف.

3 - جاهل بأهل السنة ورُتبهم »[3] انتهى.

---

(1) الدرر الكامنة 159/1، الذيل على طبقات الحنابلة 392/2 .

(2) انظر: كتابه شفاء السقام 139، 145، 147، 148، 150، 129-132 .

(3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ 94 ط: الرسالة.

ولقد عامل الله السبكي بما يستحق، فقد ذكر الشعراني في الأجوبة المرضية أن الناس شهدوا على السبكي بالكفر والانحلال والزنا وشرب الخمر وأنه كان يلبس الغيار والزنار بالليل ويخلعهما بالنهار [1].

قال ابن كثير: « وعقد مجلس لقاضي القضاة السبكي بسبب عظائم اتهموه بها ينبو السماع عن استماعها »[2].

روى السخاوي عن الكناني أن السبكي رجل « قليل الأدب، عديم الإنصاف، جاهل بأهل السنة ورُتبهم »[3]؟!

دعاؤه لابن تيمية بالمغفرة يكشف أحقاد المعاصرين

وكان السبكي الأب يدعو له من وقت لآخر كما قال في طبقاته: « يغفر الله لابن تيمية ولا حرمَه وسيلة النبي ρ »[4]. ويصفه بالشيخ تقي الدين[5]، ومعلوم أن (تقي الدين) وصف له وليس اسماً.

كما ترحّم الذهبي على ابن تيمية وكان يدعو له في كل مناسبة يذكره فيها[6] خاصة بعد موته، ودعا له الوتري[7] والصيادي[8] والإمام الأذرعي كما حكاه الحافظ[9] ودعا له بدر الدين العيني بالرحمة[10].

من تعصب التاج السبكي قوله عن أبيه وهو يترجم له «

---

(1) قلادة الجواهر 206 جلاء العينين 24-25، والأعلام للزركلي 184/4 .
(2) البداية والنهاية 14: 316 .
(3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ 94-95 .
(4) طبقات السبكي 149/10 محققة، ذكر ذلك عند ترجمة والده.
(5) طبقات السبكي 167/10 و195 محققة.
(6) المعجم المختص 25 .
(7) روضة الناظرين 141 .
(8) قلادة الجواهر 208 و217 .
(9) الدرر الكامنة 160/1 .
(10) عقد الجمان 223/4 .

اعلم أن باب مباحثه بحرٌ لا ساحل له، بحيث سمعتُ بعض الفضلاء يقول: أنا أعتقد أن كل بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له، أو مستمد من كلامه وتقريراته التي طبقت الأرض...»[1].

وكانت دعواته تخترق السماوات السبع الطباق، وتفترق بركاتُها فتملأ الآفاق، وتسترق خبر السماء[2].

« وأقسِمُ بالله إنه لَفَوْقَ ما وصفتُه، وإني لناطِقٌ بهذا وغالب ظني أني ما أنصفتُه » إلى أن قال: « وما ساقَه الله حين قبضه إلا إلى جنة عدن، أُعِدَّت لأمثاله من المتقين الأبرار »[3] وما عانده أحد إلا وأخذه الله بعقوبته سريعاً[4].

وسافر إلى مصر وكان يذكر أنه لا يموت إلا في مصر[5].

وكأن الله استثناه من الآية { **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** } فصارت: إلا السبكي!

وزعم أن رجلاً رآه في المنام فسأله عما فعل الله به فقال: فُتِحَتْ لي أبواب الجنة وقال لي: ادخل، فقلت: وعزتك لا أدخل حتى يدخل كل من حضر الصلاة عليّ[6].

أما أبوه فكان يتلو القرآن جهراً ولو في الحمام، وإذا كانت له حاجة يكتب مطلبه بخطه إلى الله تعالى ويعلقها على خشبة السطح[7].

---

(1) طبقات الشافعية 266/10 .

(2) وما أدراك أيها الغالي. ويحك قطعت ظهر أبيك!

(3) طبقات الشافعية 142/10-143 محققة، وقد سقطت العبارة الآتية من النسخة المطبوعة (وإن الغبي سيظن فِيّ أمراً ما تصورته) وجاء في الطبقات الوسطى (ولو عددتُ ما شاهدتُ وحكيت ما عانيت لطال الفصل وقال الغبي النذل: ولدٌ يشهد لأبيه.

(4) طبقات السبكي 210/10 .

(5) طبقات السبكي 315/10 .

(6) طبقات السبكي 317/10 .

(7) طبقات السبكي 205/10 و215، مفتاح السعادة 329/2 طاش كبري زادة.

وكان يسعى سعياً حثيثاً إلى منصب القضاء[1] في حين كان يعتبر هروب كثيرين من القضاء منقبة وفضيلة. وكان قد أمر المؤذنين بزيادات طويلة بعد الأذان وقبله[2].

وكان الناس يبغضونه وينقمون منه[3].

وكان عصبي المزاج متعصب المنهاج لا يتورع عن وصف مخالفي رأيه بالزندقة فقد حكى عنه الهيتمي قوله: « لا ينقص الغزالي إلا حاسد أو زنديق »[4].

قال ابن الجوزي: « وجاء أبو حامد فصنف لهم كتاباً على طريقة القوم (الصوفية) وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم أنوارٌ هي حُجُبُ الله ولم يُرِد هذه (الكواكب) المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية، وأن الصوفية في يقظتهم يشاهدونَ الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق »[5].

وأوصى الغزالي سالك التصوف أن « لا يفْرُق فِكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث » وذكر في ميزان العمل (31) أنه رغب مرة في قراءة القرآن فمنعه شيخه الصوفي من ذلك قائلاً: « السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية ».

طلب علم الحديث ركون إلى الدنيا ؟؟؟

---

(1) البداية والنهاية 14: 204 .
(2) البداية والنهاية 14: 194 .
(3) البداية والنهاية 14: 206 .
(4) الزواجر 379/2، الإعلام بقواطع الإسلام 77 .
(5) تلبيس إبليس 166، وانظر: المنقذ من الضلال للغزالي 50 .

وأما طلب علم الحديث فقد نقل عن الداراني قوله: « إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا لأن الزهد عندنا تركُ كل شيء يشغلك عن الله عزّ وجلّ[1].

علّق ابن الجوزي على ذلك قائلاً: « عزيزٌ عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه، فإنه لا يخفى قبحه فإنه طيٌّ لبساط الشريعة التي حثّت على تلاوة القرآن وطلب العلم »[2]!

موقف الحافظ ابن حجر من ابن تيمية

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح 289/6) ما نصه: « تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبَّه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] إلى آخره »[3].

حكى المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء (449/1) عن الحافظ العراقي احتجاجه بحكم ابن تيمية على الحديث فقال عن حديث: « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » « قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له ».

قال الحافظ: « وقرأتُ بخط الحافظ صلاح الدين العلائي عن وصف ابن تيمية منها قوله: « متّعَنَا الله بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الإمام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني إمام الأئمة بركة الأمة وارث علوم الأنبياء: آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين شيخ الإسلام حجة الأعلام، قدوة الأنام، برهان المتعلمين، قامع المبتدعين

---

(1) الإحياء 61/1، 24/2، 237/2، 229/4 .
(2) تلبيس إبليس 323 .
(3) فتح الباري 289/6 .

سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين، ترجمان القرآن أعجوبة الزمان، فريد العصر والأوان، تقي الدين، إمام المسلمين، حجة الله على العالمين، اللاحق بالصالحين والمشبه بالماضين، مفتي الفرق، ناصر الحق، علامة الهدى عمدة الحفاظ فارس المعاني والألفاظ ركن الريعة ذو الفنون البديعة، أبو العباس ابن تيمية »[1].

إذا ذكره الذهبي قال: «شيخنا» وتارة يقول «شيخ الإسلام»[2].

قال في كتاب دول الإسلام: « وفي ذي القعدة توفي بالقلعة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، عن سبع وستين سنة وأشهر، وشيّعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفاً، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل »[3].

وقال في تذكرة الحفاظ: « كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد: أثنى عليه الموفق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان. وقد امتُحن وأوذي وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين وبها توفي ثم جُهّز وأخرج إلى جامع البلد فشهده أمم لا يُحصَون فحرزوا بستين ألفاً. وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فما رأيتُ مثله »[4].

« نصر السّنّة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة حتى

---

(1) الدرر الكامنة 159-160، وللمزيد طالع الكتاب المذكور. وانظر: كتاب الأشباه والنظائر 681/3-683 للسيوطي.

(2) سير أعلام النبلاء 373/7 و350/11 و156/21-161/21 .

(3) دول الإسلام للذهبي 237 ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 .

(4) تذكرة الحفاظ 1497/4 .

أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته »[1] والدعاء له، وكَبَت أعداءه، وأحيا به الشام: بل والإسلام، وهو أكبر من أن يُنبِّه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلَفْتُ أني ما رأيت بعيني مثله[2].

وقال في المعجم المختص: « فوالله ما مقلت عيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه »[3].

ونقل الحافظ ابن رجب عن الذهبي أن ابن تيمية « كان إماماً متبحراً في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم كثير المحاسن، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم، فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له إلا نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه..» ونقل الذهبي عن إعجاب ابن سيد الناس به وقوله: « إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو ذو رايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، لم تر عيني مثله ولا رأت عينه مثل نفسه »[4].

وقال الذهبي: « قد سجن غير مرة ليفتر عن خصومه ويقصر عن بسط لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح إلى أن توفي معتقلاً بقلعة دمشق، وشيعه أمم لا يُحصون إلى مقبرة الصوفية، غفر الله له ورحمه آمين[5] انتهى.

وقال في كتاب زغل العلم: « فوالله ما رمقت عيني أوسع

---

(1) ولذلك بغضته قلوب أهل الكلام لأنهم كما وصفهم أبو حنيفة (ليس عندهم ورع ولا تقوى) سير أعلام النبلاء 399/6، مفتاح دار السعادة 136/2، والذيل على طبقات الحنابلة 389/2-390 .

(2) الذيل على طبقات الحنابلة 390/2 .

(3) المعجم المختص 25 تحقيق محمد حبيب الهيلة.

(4) الذيل على طبقات الحنابلة 390/2 .

(5) المعجم المختص 25 .

علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية، مع الزهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن... مقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا للكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة ومحبة الظهور نسأل الله تعالى المسامحة، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا بأعلم منه ولا أزهد منه، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم، وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون »[1].

تزوير آخر من الحبشي

وقد جرى على السبكي فتن ومحن فقد شهد عليه الناس بالكفر والانحلال وشرب الخمر وغير ذلك من الاتهامات[2]. وتعرض الحصني لنقمة أهل الشام عليه وإذلالهم له[3].

وقال الكتّاني: « ابن تيمية من الأفراد الذين كثر الخلط فيهم بين مكفّر وبين ذاهب بهم إلى منزلة المعصومين ». والإنصاف فيه قول الحافظ ابن كثير: « كان من كبار العلماء وممن يُخطئ ويصيب ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطأه أيضاً مغفور له كما في الصحيح »[4].

وقال فيه ابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات): «... وصار [ابن تيمية] من أئمة النقد وعلماء الأثر مع التديُّن والذكر والصيام والنزاهة عن حطام هذه الدار، ثم أقبل على الفقه ودقائقه، أما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج

---

(1) كتاب زغل العلم 38 تحقيق محمد بن ناصر العجمي ط: الصحوة، الكويت.

(2) الأعلام للزركلي 184/4، قلادة الجواهر 206، جلاء العينين 24-25، البداية والنهاية 14: 316 .

(3) انظر: البدر الطالع للشوكاني 28/1 .

(4) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني 201/1-202 تحقيق إحسان عباس.

والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره، مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله، والشجاعة المفرطة والفراغ من ملاذ النفس ».

ثم نقل عن الذهبي قوله: «... وكان قوّالاً بالحق، نهاه عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة »[1].

إتهام ابن تيمية بأنه من المشبهة

قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: « ونحن نعجب عندما نجد غلاة يكفّرون ابن تيمية رحمه الله ويقولون أنه كان مجسداً، ولقد بحثت طويلاً كي أجد الفكرة أو الكلمة التي كتبها أو قالها ابن تيمية والتي تدل على تجسيده فيما نقله عنه السبكي أو غيره فلم أجد كلاماً في هذا قط، كلُّ ما وجدته أنه في فتواه يقول: « إن لله يداً كما قال، واستوى على العرش كما قال، وله عين كما قال ».

أضاف البوطي: « ورجعت إلى آخر ما كتبه أبو الحسن الأشعري – وهو كتاب الإبانة – فرأيته هو الآخر يقول كما يقول ابن تيمية. واقرأوا كتاب الإمام أبي الحسن الأشعري (الإبانة) الذي يقول فيه: نؤمن أن لله يداً كما قال، وأنه استوى على العرش كما قال ». « إذن، فملاذا نحاول أن نعظم وهماً لا وجود له؟ ولماذا نحاول أن ننفخ في نار شقاق؟ والله سبحاه وتعالى سيحاسبنا على ذلك[2] انتهى كلامه النفيس.

ذكر الحافظ ابن حجر أن ابن بطوطة لم يكتب تفاصيل رحلته وإنما جمعها منه أبو عبد الله بن جزي ونمقها وكان البلفيقي يتهمه بالكذب[3].

---

(1) فوات الوفيات 5/1 و74-80 تحقيق إحسان عباس.
(2) ندة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر 264-265، محاضرات ألقيت في البحرين 1985/2/25م.
(3) الدرر الكامنة 480/3 .

ولقد عجب محقق كتاب رحلة ابن بطوطة (الدكتور علي المنتصر الكتاني) من هذا الكذب فقال: « هذا محض افتراء على الشيخ رحمه الله، فإنه كان قد سُجِنَ بقلعة دمشق قبل مجيء ابن بطوطة إليها بأكثر من شهر، فقد اتفق المؤرخون أنه اعتقد بقلعة دمشق لآخر مرة في اليوم السادس من شعبان سنة 726هـ ولم يخرج من السجن إلا ميتاً، بينما ذكر المؤلف في الصفحة (102) من كتابه هذا أنه وصل دمشق في التاسع من رمضان ». وهذا ما نص عليه الحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب والحافظ ابن عبد الهادي حيث ذكروا أن ابن تيمية مكث في السجن في السادس من شعبان سنة ست وعشرين سنة 726 حتى موته[1].

رأي ابن تيمية في المشبهة

قال في مجموع الفتاوى: « فمن قال إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي.. أو استواؤه على العرش كاستوائي أو نزوله كنزولي، أو إتيانه كإتياني: فهذا قد شبه الله بخلقه، تعالى الله عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر[2].

وقال: « ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا »[3].

صرح ابن حجر الهيتمي يصرح بأننا لا نكفّر المشبهة على المشهور إلا إن اعتقدوا لازم ما يثبتونه من الحدوث[4]. أي يعتقدوا أن الله حادث.

أول القائلين بالتجسيم عند ابن تيمية

(1) طبقات الحنابلة 405/2، البداية والنهاية 123/14، العقود الدرية 329 .
(2) مجموع الفتاوى 482/11، الرسالة التدمرية 20 ط. المكتب الإسلامي.
(3) مجموع الفتوى 352/5 .
(4) الإعلام بقواطع الإسلام 68 .

صرّح أبو جعفر السمناني رأس الأشاعرة وكبيرهم[1] أن « من سمى الله جسماً من أجل أنه حاملٌ لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ في التسمية »[2].

(((حكم التجسيم عند الشافعة)))

نص ابن حجر المكي الهيتمي على أن المشهور [بل] الصحيح من المذهب عدم تكفير المجسمة كما قاله جمع من المتأخرين: من أن المجسمة لا يكفرون، ولكن أطلق في المجموع تكفيرهم[3].

قال: « وينبغي حمل الأول [أي عدم التكفير] على ما إذا قالوا جسمٌ لا كالأجسام، والثاني [أي التكفير] على ما إذا قالوا: جسمٌ كالأجسام، لأن النقص اللازم على الأول قد لا يلتزمونه، ولازم المذهب ليس بمذهب[4] وانتهى إلى أن الصحيح أننا لا نكفر الجهوية[5] ولا المجسمة إلا إن صرّحوا باعتقاد لوازم الحدوث...» إلخ.

ونصّ العز بن عبد السلام على أن معتقد الجهة مخطئ خطأ معفوّاً عنه، لأن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم[6].

قال: فإن قيل يلزم من الاختلاف في كونه سبحانه في جهة أن

---

(1) فتح الباري 70/1 .

(2) سير أعلام النبلاء 17: 651-652 .

(3) الإعلام بقواطع الإسلام ص38 و50 .

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر 358/2، وانظر 351 و387 .

(5) أي القائلين على الله بالجهة.

(6) قواعد الأحكام الكبرى 170، الحاوي للفتاوي 133/2، والحمد لله على اعتراف العز بأن طريقة أهل الكلام صعبة المدرك عسيرة الفهم فهذا أحد أهل السنة على بطلان طريقة أهل الكلام.

يكون حادثاً؟ قلنا: لازم المذهب ليس بمذهب لأن المجسمة جازمون بأنه في جهة وبأنه قديم أزلي ليس بمحدث، فلا يجوز أن ينسب إلى مذهب من يصرح بخلافه وإن كان لازماً من قوله »[1].

وقال الأسنوي: « لا نكفّر المجسمة على المشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات »[2].

وقال به أبو حامد الغزالي[3].

وقال الجلال الدوّاني في شرحه على العقائد العضدية (ص532): « ومنهم من تستّر بالبلكفة وقال: هو جسم لا كالأجسام، وله حيّز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيزه ليست كنسبة الأجسام إلى أحيازها، وهكذا ينفي عنه جميع خواصّ الجسم حتى لا يبقى إلا اسم الجسم، وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية ».

وقال العضد الإيجي في المواقف (273):

« أنه تعالى ليس بجسم، وذهب إلى ذلك بعض الجُهّال كالكرّامية، وقالوا: هو جسم: أي موجود، وقوم قالوا: هو جسم: أي قائم بنفسه، فلا نزاع معهم إلا في التسمية.

قال الذهبي: « والجّهّال يتكلمون على الحنابلة ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك إلا النادر والله يغفر لهم »[4] وصدق الذهبي بذلك فإن المعتزلة المعطلة يقولون لمن أثبت الصفات وخالفهم في التأويل: يلزم من ذلك التجسيم والتشبيه[5].

وعند أهل الكلام أن حد الشيء معناه: الذي لأجله استحق

---

(1) قواعد الأحكام الكبرى 172 .
(2) الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي 25 و38 و50 .
(3) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة 129 و148 .
(4) زغل العلم 39 .
(5) مجموعة الرسائل الكبرى 1: 418 .

الوصف المقصود بالذكر.

وعند أهل المنطق: هو القول الدال على ماهية الشيء. ويطلق ويراد به نهاية الشيء[1].

قال النبي ρ : **((جعل الله الرحمة مئة جزء))** نقل الزبيدي تعليق التوربشتي على الحديث بقوله: « رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم... ولم يرد – أي النبي – به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعديد ما جاوز العد »[2].

قال أبو القاسم التيمي: « تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره »[3].

يتجاهلون تحديد الغزالي لقدرة الرب

وقد حدد الغزالي قدرة الله حين قال: « ليس في الإمكان أفضل مما كان »[4].

عبد الله ابن المبارك وموقفه من لفظ الحد

روى البيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن الحسن قال: « سألت عبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإن الجهمية تقول: هو هذا. قال: إنّا لا نقول كما قالت الجهميّة، نقول هو هو. قلت: بحد؟ قال: أي والله بحد »[5].

---

(1) معيار العلم للغزالي 234، والبحر المحيد للزركشي 29/1، الكافية في الجدل 1 .

(2) إتحاف السادة المتقين 557/10-558 .

(3) سير أعلام النبلاء 86/20 .

(4) الإملاء في أشكالات الأحياء 13/5 بهامش إحياء علوم الدين، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص40 .

(5) الأسماء والصفات 169/2، والسنة لعبد الله بن أحمد 175/1، والرد على الجهمية للدارمي 162، والرد على بشر المريسي الجهمي 34. قال الذهبي

القول بالجهة

قال الجيلاني: « وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، وأن استواء الله هو (ذات) على العرش لا على معنى القعود والمماسةولا على العلوِّ والرِّفعة كما قالت الأشعرية، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال: { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** }[1].

وقد مشى الغزالي[2] وابن عبد السلام[3] وابن احجر الهيتمي[4] على عدم تكفير القائل بالجهة.

لفظ الحركة

قال ابن عباس τ : « ووهب بن منبه وهو مختار البخاري » كما حكاه الحافظ ابن حجر[5]: « قال ابن عباس {**يُحَرِّفُونَ**}

في مختصر العلو: « هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك » غير أن الكوثري أعلّ هذا الأثر بثلاث علل: أولاً: الحسن بن الصباح راويه عن علي بن الحسن عند البيهقي: قال النسائي: «ليس بالقوي» ثانياً: ابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء. ثالثاً: اختلاف الروايات عن ابن المبارك كما ترى (الأسماء والصفات بتحقيق الكوثري ص537) وقد رُدّ على هذه العلل بما يلي: أولاً: الحسن بن الصباح مُتابَعٌ من غير واحد، فضلاً عن أن قول النسائي هذا فيه غير مقبول كما تراه بالدلائل في دفاع الحافظ ابن حجر عنه في «هدي الساري ص397». ثانياً: الطعن في ابن شقيق بالإرجاء غلط من وجهين: أحدهما: أن الطعن بالبدعة – على الراجح – لا يطعن براوية الثقة من الحُفّاظ، وبخاصة أن روايته هذه ليس لها مدخل في شيء من الإرجاء. ثانيهما: أن دعوى الإرجاء باطلة مردودة، فقد قيل له في ذلك فقال: «لا أجعلكم في حل» وقد جاء في تاريخ بغداد (ص371) وتهذيب الكمال (372/20). ثالثاً: دعوى اختلاف الروايات مردودة إذ ليس هناك أدنى وجه في وجوه الاختلاف.

(1) الغنية لطالبي طريق الحق 56 .
(2) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة 129 و 148 .
(3) قواعد الأحكام 170-172، الحاوي للفتاوي 133/2 .
(4) الزواجر 351/2 و358 و378 .
(5) فتح الباري 523/13 .

يزيلـون، ولـيس أحـد يُزيـل لفـظ كتـاب مـن كتـب الله، ولكـنهم يحرفونــه: يتأولونــه مـن غيـر تأويلـه » قـال الحـافظ فـي فـتح الباري بأن تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا ينكر بـل موجـود عنـدهم بكثـرة » أضـاف: « قـال الراغـب: التحريـف: الإمالـة، وتحريـف الكلـم أن يجعلـه علـى حـرف مـن الاحتمـال بحيث يمكن حمله على وجهين فأكثر »[1].

أثبت ابن حجر أن هذا مـا رجحـه الإمـام البخـاري صـاحب الصحيح. فقال: « قال شيخنا ابن الملقن في شرحه: هذا الـذي قالـه أحـد القـولين فـي تفسير هذه الآيـة وهـو مختـار البخـاري »[2].

وأخـذ الحـافظ يسرد الأقـوال التـي قيلـت فـي تفسير معنـى التحريـف: حتى وصـل إلـى القو الثالـث: وهو أنـه وقـع اليسير منها، ومعظمها باق على حاله، ونصره الشيخ تقـي الـدين ابـن تيمية في كتابه (الرد الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ولقد رد الحافظ ابن حجر على الزركشي دعواه إبطال هذا القول فقال: « وفي وصفه القول المذكور بـالبطلان نظـر، فقد نـسب لوهـب بـن منبـه وهـو مـن أعلـم النـاس بـالتوراة، ونـسب لابــن عبــاس ترجمــان القــرآن، وكــان ينبغــي لــه تــرك الـدفع بالصدر والتشاغل بِرَدِّ أدلة المخالف التي حكيتها » انتهى.

هل قال ابن تيمية بفناء النار

قد تجد من الأشعرة كأبي منصور البغدادي من يجوز فنـاء النار في العقل مع قوله بدوامها حسبما جاء في الخبر[3].

القاري ينفي التهمة عن ابن تيمية

(1) فتح الباري 524/13 .
(2) فتح الباري 523/13 .
(3) أصول الدين 230 .

وقد نفى العلامة القاري هذه التهمة عن ابن تيمية فقال في رسالته القيمة التي رد بها على ابن عربي « وأما قول المؤول إن ابن تيمية الحنبلي ذهب إلى أن الكفار في عاقبة الأمر يخرجون من النار فافتراء عليه »[1].

أن ابن عبد الهادي ذكر في العقود الدرية أثناء سرده لمؤلفات ابن تيمية أن « له كتاباً قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار »[2].

من القائلون بفناء النار

أخرجه ابن المنذر عن الحسن قال: قال عمر τ : « لو لبث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه »[3].

وقال الشعبي: « يأمر النار أن تأكلهم ». وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: « ما في القرآن أرجى لأهل النار من هذه الآية » وقال: « جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً »[4].

وقال في قوله تعالى: **{ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ }** وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم[5].

وأخرج إسحاق بن راهويه عن أبي هريرة قال: « سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد ».

وعن ابن مسعود قال: « ليأتينّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً ».

---

(1) الرد على القائلين بوحدة الوجود 86 .

(2) العقود الدرية في مناقب لشيخ الإسلام ابن تيمية 67 دار الكتب العلمية.

(3) قال الألباني في شرح الطحاوية 484 « ضعيف فإن الحسن لم يدرك عمر بن الخطاب ».

(4) تفسير الطبري المجلد السابع 71/12، والدر المنثور للسيوطي 350/3 .

(5) تفسير القرطبي 100/10 .

قيام الحوادث بالرب هو قول الأشعري

أما عن استنكار الحبشي قول ابن تيمية: « فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب. قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل »[1]:

فالحبشي يكتم الناس أن هذه من مسائل الأشعري نفسه خالفه فيها الماتريدية وأن الأشاعرة يوافقون ابن تيمية في ذلك.

الرازي يصرح بقيام الحوادث بالرب

صرح إمامهم في المذهب الأشعري وهو الرازي بأن أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وأن أنكروه باللسان: فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بإرادة حادثة لا في محل.

وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات.

والفلاسفة يقولون بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث. قال الرازي: وذلك الوصف الإضافي حدثٌ في ذاته.

والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة[2] وانتهى إلى أن القول بقيام الصفات الفعلية (ذكر منها صفة الكلام) بمشيئة الله واختياره هو أصح الأقوال عقلاً ونقلاً، قال الحافظ ابن حجر: « وهو المحفوظ عن السلف »[3].

وقال في المطالب العالية: « هل يعقل أن يكون الله محلاً

---

(1) المقالات السنية 19 .

(2) الأربعين في أصول الدين للرازي 118 .

(3) فتح الباري 441/13 .

للحوادث؟ قالوا[1]: هذا قول لم يقل به إلا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم ». ثم أوضح بطلان عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي وأنه قول بعيد عن الصواب[2].

اعترف الحبشي بأن معظم الأشاعرة خالفوا الماتريدية قائلين: إن الصفات الفعلية ليست أزلية لأنها لا تتعلق بذات الله تعالى[3] وإنما تقوم بإرادة الله ومشيئته[4].

واعترف بصحة ما ذكره الحافظ ابن حجر في (الفتح 439/13) بمعارضة الأشعري القول بأزلية كل الصفات لله تعالى مما جعل الماتريدية يلزمونه بأنه يقول بحلول الحوادث بالله[5]. وبقي هذا الخلاف قائماً بين الفريقين إلى اليوم:

فالأشاعرة يقولون بأن الصفات الفعلية لله ليست أزلية بخلاف الصفات الذاتية فإنها أزلية وهذا باعتراف الحبشي نفسه[6].

التعلقات والإضافات هروب شبيه بالكسب

وفسروا أفعال الله بالتعلقات والإضافات وهي في الحقيقة ليست إلا الأفعال، ولهذا ألزم الرازي الأشاعرة بأن التعلقات والإضافات التي يقول بها المتكلمون هي الحدث بنفسه في الله[7].

---

(1) يعني أصحابه من الأشاعرة.
(2) المطالب العالية 106/2 و 204/3-207 .
(3) أظهار العقيدة السنية 31 .
(4) فتح الباري 441/13 و455 و491 .
(5) الدليل القويم 76 .
(6) الدليل القويم 75 .
(7) الأربعين في أصول الدين 118 .

نفي قيام الحوادث بالرب
ذريعة اعتزالية قديمة موروثة

قال البخاري في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: { **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** } وقوله: { **لَعَلَّ اللَّـهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً** } بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** }.

قال النبي ρ : « لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه رحمتي سبقت غضبي »؟!

مسألة قدم العالم

قرر الفخر الرازي في «شرح إشارات ابن سينا» (42/1-43) أنه لا كُفرَ لمن يقول بقدم العالم على طريقة الفلاسفة مع إثبات الخالق وأن العالم مخلوق لازم لذات الله، بل لم يجعلها من مسائل التوحيد مادام الكل متفقاً على أن الله هو خالق كل شيء.

قال: « فأما القائلون بأن واجب الوجوب واحد، فقد اختلفوا على قولين:

فمنهم من قال: « إنه تعالى لم يكن في الأزل فاعلاً، ثم صار فيما لا يزال فاعلاً، ثم صار فيما لا يزال فاعلاً وهم المليون بأسرهم. ومنهم من قال: إنه كان في الأزل فاعلاً، وهم الفلاسفة ». ثم قال بعد سطور: إنه كان في الأزل فاعلاً وهو الفلاسفة.

قال: « فثبت أنه لا تعلق لمسألة القدم والحدوث بالتوحيد ».

اختبار الصدق

أبرز القائلين بقدم العالم ابن عربي كما صرّح به العز بن عبد السلام: (الذي كان معاصراً لابن عربي) وأبو حيّان

النّحوي والحافظ ابن حجر بأنه يقول بقدم العالم ولا يحرِّم فرجاً[1].

قال الذهبي عن كتب ابن عربي: « إن لم تكن كفراً فلا يوجد في الدنيا كُفر »[2].

ذكر الصيادي في قلادته الصلاة الرفاعية ونصها: « اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدن وحيوان ونبات[3].

ووصفه الصيادي بأنه ρ نور من نور الله وسر من أسراره[4]. وهذا السر قديم مع قدم الله.

وهذا ما صرح به المهدي الرواس في كتابه (بوارق الحقائق)[5] حيث جعل نور النبي ρ أزلياً وأن عمامته فوق عرش الله، قال:

وهو نور أزليٌّ طرزُه ... صار في وجه وجود الكون

طُوِيَ العالم في جبّته ... وعلى العرش علت منه

والصيادي يزعم أنه لولا محمد لما خلق الله السماوات والأرض. قال: « فالكل لأجله كان وبه نظم، بمعنى لولاك لما خلقت الأفلاك »[6].

---

(1) لسان الميزان 384/2، سير أعلام النبلاء 48/23، تفسير البحر المحيط 449/3، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي 157، للبقاعي طبقات ابن الملقن (153) صفحة 469 .

(2) سير أعلام النبلاء 48/23 .

(3) قلادة الجواهر 249 وهذا الكتاب يعتمده الحبشي ويعظمه.

(4) قلادة الجواهر 263 .

(5) بوارق الحقائق ص333 وص15 من المجموعة النادرة.

(6) قلادة الجواهر 252 .

عقيدة مصطفى نجا من وحدة الوجود

قال عبد السلام بن بشيش: « اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة »[1]. واستحسنها الشيخ مصطفى نجا[2].

وكان يؤمن بقدم نور نبينا ρ وأن من نوره ρ خلق الله الأشياء، وأن نور النبي ρ أول صادر عن الله[3].

وأنه لولا محمد ما خلق الله سماءً ولا أرضاً، ولم يخرج شيء من العدم إلى الوجود لولا سريان سره في الأشياء وإمداده لها: لم يصح بقاء موجود[4].

وزعم أن الله يتجلى لمن شاء من خلقه كما وقع لموسى حين تجلى الله له على النار المخلوقة[5].

ثبت عنه ρ أن الله **((قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة: وكان عرشه على الماء))** (مسلم 6253) وعن أبي هريرة τ عن النبي ρ أنه قال: **((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء))** (مسلم 2713).

القائلون من أئمة الكلام بتسلسل الآثار[6]

قال الأسنوي في شرح منهاج الوصول (103/2): « وأجاب في التحصيل (للأرموي) بجوابين... الثاني أن المحال من التسلسل إنما هو التسلسل في المؤثرات والعِلل، وأما التسلسل في الآثار فلا نسلّم أنه ممتنع.

---

(1) النفحة العلية في أوراد الشاذلية 16 .

(2) كشف الأسرار لتنوير الأفكار ص9 طبع على نفقة أحمد اليشرطي شيخ الطريقة اليشرطية الشاذلية، مجلة منار الهدى 47/43 .

(3) كشف الأسرار ص128 .

(4) كشف الأسرار 74-75 وانظر 86 .

(5) الكشف الإلهي 80 .

(6) هذا الفصل مستفاد من الكتاب القيم المسمى (دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية) ص38 لمؤلفه مراد شكري شكر الله سعيه.

قال الأصفهاني في (شرح المحصول) وفيه نظر لأنه يلزم منه تجويز حوادث لا أول لها، وهو باطل على رأينا » انتهى كلام الأسنوي ونقلُه.

قال العلامة محمد بخيت المطيعي في الصفحة نفسها على (شرح الأسنوي) معلقاً على كلام الأرموي قال: « كلام جيد، وأما قول الأصفهاني: (وفيه نظر...) فلا يلزم من كونه باطلاً على رأيه أنه باطل في الواقع ونفس الأمر، فإنه لغاية الآن لم يقم دليل على امتناع التسلسل في الآثار الموجودة في الخارج، وإن اشتهر أن التسلسل فيها محال، ولزوم حووادث لا أول لها يضر بالعقيدة إلا إذا قلنا: لا أول لها: بمعنى لا أول لوجودها: وهذا مما لم يقم به أحد، بل الكل متفق على أن ما سوى الله تعالى – لما كان أو يكون – حادث: أي موجود بعد العدم بقطع النظر عن أن تقف آحاده عند حدٍّ من جانبي الماضي والمستقبل أو لا تقف عند حد من جانبيهما ».

فالأرموي مجوّز، والأصفهاني مبطل بقوله (وفيه نظر) والإسنوي ناقل، وبخيت المطيعي شيخ الأزهر ناصر لقول الأرموي، وكذلك أثير الدين الأبهري[1] في كتابه المعروف بـ«تحرير الدلائل في تقرير المسائل» قائل بها، والشيخ محمد عبده والجلال الدواني قائل بذلك كما ستراه: ومع هذا فلا تفسيق ولا تضليل ولا تكفير على النحو الذي نراه من الحبشي وأضرابه.

وقد رجّح الدّوّاني القول بحوادث لا أول لها في حدوث العالِم فقال: « أنت خبير مما سبق أنه يمكن صدور العالم مع حدوثه، وعلى هذا الوجه، فلا يلزم القِدَم الشخصي في شيء من أجزاء العالم، بل القدم الجنسي بأن يكون فرد من الأفراد

---

(1) أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري السمرقندي صاحب كتاب (هداية الحكمة) شيخ الأصفهاني شارح المحصول توفي سنة 363هـ.

لا يزال على سبيل التعاقب موجوداً »؟

وقال الشيخ محمد عبده في حاشيته على « شرح الدّوّاني للعقائد العضديّة » (ص179) ما نصه: « وقد استشهد الحكماء على قدم الممكنات بدليل نقلي، وهو ما ذمّ الله به اليهود { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** } وبيانه: أنه لو قيل بحدوث العالم فقد قيل بأن الحق في أزليته لم يزل معطلاً عن الفيض والجود أزمنة غير متناهية لا ابتداء لها ثم أخذ يعطي الوجود، ومعلوم أنه على فرض أنه لم يزل خلاّقاً إلى الأبد فكل ما خلقه فهو متناه، ونسبة المتناهي إلى غير المتناهي كلا نسبة، وذلك جلي التصور، فنسبة إعطاء الحق للوجود إلى منعه عن كل موجود ليست بشيء، وإن هذا إلا غلّ اليد، حيث أن الإعطاء ليس بشيء يُذكَر في جانب المنع، وهذا من الشناعة بمكان... والجواب أنّ ذلك – التخلص من الشناعة – لا يتوقف على القول بقدم شيء من أجزاء العالم، بل يكفي أن يقال: إن الله لم يزل خلاّقاً، وإن كان كل جزء من أجزاء العالم حادثاً، فلا أول لعطائه، ولا مانع يقهره سبحانه، وهو الجواد الحق، ينفِق كيف يشاء، ولا شيء من العالم قديم، بل كل حادث فهو مسبوق بالعدم، فلا دلالة في الآية على القِدم » انتهى.

إقعاد النبي ρ على العرش

رواية مجاهد التي صححها الطبري في تفسير قوله تعالى: { **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** } روى لها المحدِّثون كالخلال في السُّنَّة أسانيد كثيرة جداً. بلغ بعضها الصحة. قالوا إن الله يُقعِد النبي ρ ليُرِيَ الخلائقَ منزلتَه[1].

قال الحافظ ابن حجر: « قال ابن الجوزي: وقيل إن المقام

(1) رواه الخلال في السنة 218، وانظر: العلو للذهبي 75 .

المحمود أي إقعاده على العرش، وقيل على الكرسي وحكي كلا من القولين عن جماعة »[1].

ورواه الطبري عن جماعة من السلف ولم ينكر رواية مجاهد في إقعاد النبي ρ على العرش[2].

ورد الحافظ ابن عبد البر كلام مجاهد واعتبره مخالفاً للصواب ومهجوراً عند أهل السنة[3].

ومنهم من أيد قول مجاهد وبالغ في الانتصار له كأبي بكر المروزي الذي جمع فيه كتاباً وروى عن إبراهيم بن عرفة سمعت ابن عمير يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: « هذا قد تلقته العلماء بالقبول ». وكذلك انتصر وأفتى بوجوب التسليم له جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو داود السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي ومحمد بن مصعب العابد شيخ بغداد وخلقٌ كثير، بحيث قال ابن الإمام أحمد عقيب رواية قول مجاهد: « أنا منكرٌ على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم، سمعته من جماعة وما رأيت محدّثاً ينكره، وعندنا إنما تنكره الجهمية » بل انتصر له ابن جرير وقال: « ليس في فرق الإسلام من يُنكِر هذا » وقال بأن ما قاله مجاهد غير مدفوع صحته لا من خبر ولا من نظر[4]. وذكر بأنه لا يلزم منه لوازم باطلة.

ابن فورك يقر الإقعاد فهل تكفرونه؟

وابن فورك روى رواية مجاهد أن الله يقعد محمداً ρ على العرش وجعل لها تأويلاً محتملاً وهو أن معنى (يقعده معه على العرش) أي بمعنى النصر والمعونة. فقد قال: « فإن قيل:

---

(1) فتح الباري 2: 95 .
(2) تفسير الطبري المجلد الثامن الجزء 15 .
(3) التمهيد 157/7 .
(4) تفسير الطبري المجلد الثامن 8 15/98-99، والعلو للذهبي 124 .

فما تقولون فيما روي عن مجاهد أنه قال في تأويل قوله تعالى: { **عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَّحْمُودًا** } قيل... يحتمل أن يقال إنه معه بمعنى النصر والمعونة (مشكل الحديث وبيانه 339).

ثم قال: « ولم ينكر إقعاد النبي ρ على العرش تأويلنا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة والمعونة » (391). انتهى كلامه. فها هو ابن فورك يثبت الرواية ويصرح باعتقادها ولكن مع تأويل سائغ لها.

ونقل الخفاجي في شرح الشفا عن الدارقطني في حديث: أن المقام المحمود للنبي ρ هو أن يُجلِسه معه تعالى على العرش ما نصه:

حديث النبوة عن أحمد	إلى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث بإقعاده	على العرش أيضاً فلا نجحده
أمِرُّوا الحديث على وجهه	ولا تُدخلوا فيه ما يُفسده
ولا تُنكروا أنه قائم	ولا تُنكروا أنه يُقعده

وهذه الأقوال مرجوحة، ولقد ثبت عن النبي ρ بسند صحيح أنه قال: « المقام المحمود: الشفاعة »[1].

قال الشيخ عبد القادر: « إن أهل السنة يعتقدون أن الله يُجلِس رسوله معه على العرش يوم القيامة »[2].

وقد استقر أمر الأشعري رحمه الله على موافقة عقيدة أحمد بن حنبل، وشهد بذلك الأشاعرة المتقدمون كابن عساكر في التبيين والبيهقي والمتأخرون كالتاج السبكي في طبقاته والزبيدي في إتحافه وابن عذبة، وشهد بذلك غيرهم الذهبي

---

(1) أخرجه أحمد 478/2، والترمذي (3137)، وأبو نعيم 372/8 .
(2) الغنية لطالبي الحق 71 .

وابن كثير[1].

قال الذهبي رحمه الله: « قد كثر الزغل (الفساد) في أصحاب الطريقة الرفاعية، وتجدَّدتْ لهم أحوالٌ شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيَّات. قال: « وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان »[2].

حمل عليهم الشيخ الألوسي فقال: « وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذِكْرُهُم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم. وأعمالُهُم عبارة عن مسك الحياة »[3].

الشيخ محمد بن درويش الحوت الذي كان يحتج بأقوال ونقد ابن تيمية للأحاديث، وفي كتاب (أسنى المطالب) احتج به كما في الصفحات التالية (41، 89، 118، 125، 181، 236، 253، 341، 350، 359، 399، 435، 452، 566) واحتج بأقوال ابن القيم ونقوده كما في الصفحات التالية: (89، 168، 452).

أن ابن تيمية بلغه تعظيم المنبجي لابن عربي وشيوع القول بوحدة الوجود بين أتباعه، فأنرك عليه ابن تيمية، مما دفع بالمنبجي إلى تسليط السلطان ضده كما حكاه بدر الدين العيني[4].

---

(1) تبيين كذب المفتري 150 و152-158 و392، طبقات السبكي 99/3، الاعتقاد للبيهقي 96 و109، إتحاف السادة المتقين 4/2 للمرتضى الزبيدي، الخطط المقريزية 308/3، الروضة البهية 53 .
(2) العبر في خبر من غبر 75/3 .
(3) غاية الأماني في الرد على النبهاني 370/1 .
(4) عقد الجمان 461/4 .

زعمه أنه طعن بعلي τ

ذكر ابن كثير كيف قُبِض على أحد أعداء ابن تيمية وقد زوّر عليه كتاباً فقطع السلطان يده هو ومن تواطؤوا معه على ذلك[1] فما يمنع أن تكون هذه الرسالة المزعومة مدسوسة عليه لا سيما وأنك تقرأ من كتبه المنتشرة ما يخالفها.

قال ابن الهمام في المسايرة أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم[2]. ففرق بين البغي وبين غيره.

الحديث الذي يُروى أنه أُمِرَ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فهو حديث موضوع على النبي ρ »[3].

أكذوبة تحريم زيارة القبر النبوي

قال ابن كثير: « فانظر إلى التحريف على شيخ الإسلام فإنه جوابه ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحال شيء: وشد الرحل لمجرد الزيارة أمر آخر. والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى الزيارة ولا قال إنها معصية ولا حكى الإجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول النبي ρ : **((زوروا القبور فإنها تذكّر الآخرة))**[4]. بل صرح بأن السفر لزيارة مسجد النبي ρ وقبره معاً مستحب ويدخل القبر تبعاً[5].

وجوب التفريق بين الزيارة وبين شد الرحال

---

(1) البداية والنهاية 22/14 .

(2) إتحاف السادة المتقين 225/2 .

(3) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 410/1 .

(4) البداية والنهاية 124/14 .

(5) الرد على الأخنائي 172-173 .

وإنما قال ρ : **((لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))** ولم يقل: **((وقبري هذا))** والحديث نصٌّ في تحريم شد الرحال إلى القبور[1].

قال الحافظ العسقلاني أن تحريم زيارة قبر النبي ρ من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية[2]. لكن عموم كلامه يدل على أنه لا يزال له قدره ومنزلته عنده لاسيما وأنه وصفه بالعلاّمة في (فتح الباري 289/6) وبـ«الحافظ» كما في (التلخيص) واحتج به في الحكم على كذب رواية (وهو الآن على ما عليه كان) وأنها ليست في شيء من كتب الحديث.

بل أعطاه رتبة (((حافظ))). فقد ذكر في (التلخيص الحبير 109/3) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال: « وهذا الحديث سئل عنه الحافظ ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرَف في شيء من كتب المسلمين المروية ».

أكد ابن تيمية أن زيارة المسجد النبوي الشريف (ثم) زيارة القبر النبوي عمل صالح ومستحب[3]، جلّ ما في الأمر أنه يفرّق بين الزيارة الشرعية وبين الزيارة البدعية التي تتضمن إما السفر من أجل القبر وإما المخالفات التي تُرتكب عند القبر من تقبيل الجدران والاستغاثة به ρ أو أن يكشف ضرّاً أو يقضي حاجة. وحصول الخشوع والإقبال على الدعاء لمجرد الوقوف عند القبر بما لا يحصل مثله بين يدي الله في الصلاة.

« فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له سواء أكان نبياً أو غير نبي، ولهذا كان الصحابة إذا زاروا قبر النبي ρ يسلّمون عليه ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن

---

(1) البخاري (1995)، ومسلم (1338).
(2) فتح الباري 66/3 .
(3) الجواب الباهر 14 .

أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه »، وقال: « وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ρ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت أنه لا يتمسح به ولا يقبّله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر قال: « والله إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ρ يقبّلك ما قبّلتُك ».

أضاف: « ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنَيْ البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، فهذه هي الزيارة البدعية وهي من جنس دين النصارى وهو أن يكون قصد الزائر أن يُستجاب دعاؤه عند القبر أو أن يدعو الميت أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته، فهذه من البِدَع التي لم يشرعها النبي ρ ولا فعلها أصحابه »[1].

« وأما زيارة القبور المشروعة فهو أن يسلم على الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ρ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين...»[2].

أما تحريم شد الرحال إلى القبر فقد سبقه إلى ذلك إمام الحرمين كما حكاه عنه النووي والمناوي[3].

وقال الإمام مالك قبلهما: « أكره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ρ ».

ابن تيمية ومسألة الطلاق

قال الحافظ ابن حجر: « ويتعجب من ابن التين حين جزم

---

(1) كتاب الزيارة 13-14 .
(2) كتاب الزيارة 81-88 .
(3) فيض القدير 403/6، وشرح مسلم 106/9 و168 .

بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه، مع ثبوت الاختلاف كما ترى »[1].

وقال النووي: « وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً، فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء من السلف والخلف: يقع الثلاث، وقال طاووس وبعض أهل الظاهر: لا يقع بذلك إلا واحدة، وهو رواية عن الحجاج بن أرطأة ومحمد بن إسحاق، والمشهور عن الحجاج بن أرطأة أنه لا يقع به شيء، وهو قول ابن مقاتل، ورواية عن محمد بن إسحاق »[2].

وهو قول جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف كما حكاه ابن وضّاح وابن مغيث في (كتاب الوثائق)[3] وأفتى به علي بن أبي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار كما ذكر الألوسي في تفسير روح المعاني، وكأحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن القاسم بن هبة الله الشافعي[4] قالوا إن طلاق الثلاث طلاق بدعي وكل بدعة مردودة »[5].

وأفتى به من المتأخرين جمع من العلماء والمفتين أبرزهم الشيخ عبد المجيد سليم الحنفي المصري شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية. وقد بحث المسألة بحثاً شديداً. قال الفقي: « وكانت خاتمة بحثه ومحط رأيه: أننا لو طرحنا الأحاديث لِمَا يقال من اضطرابها وعدم بيانها: يبقى معنا النصر القرآني { **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ...**} فمما لا شك فيه بعد ذلك

---

(1) فتح الباري 363/9 .

(2) شرح مسلم 325/10 حديث رقم (1472).

(3) فتح الباري 363/9 .

(4) ذكره ابن كثير من جملة المفتين بذلك. البداية والنهاية 132/13 .

(5) أعلام الموقعين 38/3 .

أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة »[1].

والشيخ أحمد شلتوت الذي قال: « وعلى هذا فلا نحكم بوقوع الطلاق إلا إذا كان مرة مرة وكان منجزاً مقصوداً للتفريق، في طهر لم يقع فيه طلاق ولا إفضاء وكان الزوج بحالة تكمل فيها مسؤوليته. وبهذا لا نحكم بوقوع الثلاث دفعة واحدة إذا قال: أنت طالق ثلاثاً »[2].

وقال الحافظ ابن حجر: « ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال: إذا أطلق ثلاثاً مجموعةً وقعت واحدة، وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي، واحتج بما رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة بن ابن عباس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثاً فحزن على طلاقها حزناً شديداً فسأله النبي ρ : **((كيف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثاً، فقال: في مجلس واحد؟ قال: نعم، قال: فإنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت))**[3].

قال الحافظ: « وهذا الحديث نص في المسألة لا يُقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الأخرى ».

وأما رواية أبي داود وفيها أن النبي ρ استحلف ركانة **((آلله ما أردتَ إلا واحدة؟))** فقال ركانة: «والله ما أردتُ إلا

---

(1) حاشية الفقي على المنتقى للمجد ابن تيمية 600/2 .

(2) الفتاوى للشيخ شلتوت ص310 ط: دار الشروق. القاهرة – بيروت.

(3) رواه البيهقي وقال: «هذا الإسناد لا تقوم به حجة» وقال الألباني: «هذا الإسناد صححه الإمام أحمد والحاكم والذهبي وحسّنه الترمذي في متن آخر، وذكرنا اختلاف العلماء في داود بن الحصين وأنه حجة في غير عكرمة، ولولا ذلك لكان إسناد الحديث لذاته قوياً ولكن ذلك لا يمنع من الاعتبار بحديثه والاستشهاد بمتابعتها لبعض بني رافع، فلا أقل من أن يكون الحديث حسناً بمجموع الطريقين عن عكرمة، وكلام ابن حجر في الفتح يشعر بأنه يرجح صحته أيضاً، فإنه قال: «أخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق محمد بن إسحاق... ويقوي حديث ابن إسحاق المذكور ما أخرجه مسلم (فتح الباري 362/9، إرواء الغليل 144/7).

واحدة» ففيها علي بن يزيد بن ركانة هو وهو مجهول وابنه عبد الله: ضعيف والزبير بن سعيد: ضعيف. قال الترمذي (رقم 1177): « وسألت محمد (أي البخاري) عن هذا الحديث فقال: فيه اضطراب » وقال الحافظ المنذري: «ضعّفوه» وأعلّ الحافظ في التلخيص (213/3) طرق هذا الحديث[1].

قال ابن عباس τ : « كانالطلاق على عهد رسول الله ρ وأبي بكرٍ وسنتين من خلافة عمر: طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم » وفي رواية لمسلم أن أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنما كانت الثلاث تُعجَلُ واحدة على عهد النبي ρ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم (قد كان ذلك)»[2].

قال الشاعر:

ألا قل في الطلاق لموقعيه | بما في الشرع ليس له
غلوتم في دينتكم غلوّاً | يضيق به الشرع الرحيب
أراد الله تيسيراً وأنتم | من التعسير عندكم
وقد حلت بأمتكم كروب | لكم فيهن – لا لهم –

هل يقع طلاق اليمين ؟

قال الشعراني في ميزانه: « قال أبو حنيفة: لو قال لزوجته أنتِ عليّ حرام؛ فإن نوى الطلاق بذلك كان طلاقاً، وإن نوى التحريم ولم ينوِ الطلاق أو لم يكن له نية: فهو يمين »[3].

---

(1) انظر: إرواء الغليل 139/7 .
(2) رواه مسلم رقم (1472).
(3) النووي على مسلم (1474)، الفقه على المذاهب الأربعة 338/4 .

حديث **((إياكم والحلف في البيع))**. وإذا كان يميناً: دخل في عموم قوله تعالى: { **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** } وقوله: { **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** } فتجب فيها الكفّارة.

طلاق الحائض هل يقع ؟

طلق بان عمر زوجته وهي حائض، فسأل عمرُ النبي ρ عن ذلك فقال له: **((مُرْهُ فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعدُ وإن شاء طلّق قبل أن يمس))**[1].

قال الشعراني في الميزن: « وقال أبو حنيفة: إن الطواف لا يشترط فيه طهارة، فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البازري والشيخ أحمد الطيبي الشافعي بذلك في منظومته.

أما الرواية الأخرى عن ابن عباس فقد قال شمس الحق العظيم أبادي: « ففتوى ابن عباس هذه تناقض فتواه الأولى. فلم يبق إلا الاعتماد على روايته »[2]. قال الحافظ: « وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان »[3].

هل يغار الحبشي على الدين ؟!
((ما حكم هؤلاء عندكم أيها المقلدون))

ذهب الجلال الدواني إلى القول بإيمان فرعون. مستنّاً في

(1) متفق عليه.
(2) عون المعبود 270/6 .
(3) فتح الباري 362/9 .

ذلك بسنة سلفه ابن عربي[1].

وكـان الهيتمـي يقـول بأزليـة نـور النبـي ρ وحكـى عنـه الحبشي هذا الاعتقاد[2] غير أنه لم يزد على أن قال: « وهذا التأويل مخالف للحديث الصحيح ». ولم يلزمه بالقول بقدم شيء مع الله.

الأحباش صرحوا بأنه « من الكفر قول من يقول: إن محمداً خُلِقَ من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال: **{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }**[3].

وكان أبو بكر ابن فورك يقول: كان رسول الله ρ رسولاً في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشى وليس هو في الجنة عند الله تعالى مما دفع محمود ابن سبكتكين إلى قتله بالسم[4]. ذكره أبو الوليد الباجي وابن حزم[5].

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ρ ليس هو اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله، وأوضح أن هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف وقال في كتابه الدرة « وما قال بهذا القول أحد ممن ينتمي إلى الإسلام إلا أبو الهذيل العلاف المعتزلي وهي إحدى شُنُعِهِ المُخرجة له عن الإسلام ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتمية

---

(1) وسبب ذلك اعتقادهم أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله حسب الكسب الأشعري، ولأن فرعون صرح عند الصوفية بوحدة الوجود التي يسمونها (وحدة الشهود) و(الفناء عن السوى) فإن قول الصوفي أنا الله أنا الكعبة ما في الجبة إلا الله شبيه بقول فرعون أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري.

(2) الدليل القويم 179، صريح البيان 54 ط: مجلدة 132 .

(3) منار الهدى 25/34 و25/34 .

(4) النجوم الزاهرة 240/4، وفيات الأعيان 482/1، سير أعلام النبلاء 83/6، الفصل في الملل والنحل لابن حزم 88/1، طبقات السبكي 132/4 محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك.

(5) سير أعلام النبلاء وأقره 216/17 .

إلى الأشعري »[1].

قال ابن حزم: « وإنما وقع فيه – أي هذا القول – من ضل لقول فاسد وهو أن الروح عرض لا يبقى وقتين »[2].

يقول الخميني[3] بأن للأئمة « مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ». وقد نقل ابن حجر الهيتمي تكفير علماء الأمة لمن يقول « الأئمة أفضل من الأنبياء »[4].

السكوت عن انحرافات القشيري

يقول القشيري (عبد الكريم بن هوازن) صاحب الرسالة القشيرية[5] يروي مقولة خبيثة عن الدقاق وفيها: أن الله يكنس المزابل بأرواح الصوفية »[6] فهل يكنس الله المزابل يا أشاعرة المعتقد؟!!

وأفرط في الثناء على الجويني حتى قال: « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة »[7].

ويروي القشيري أن حقيقة مقام الرضا بالله: أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار[8].

وينقل عن الشبلي أنه سئل: ألا تعلم أن الله رحمن؟ قال:

---

(1) الفصل في الملل والنحل لابن حزم 88/1 و76، والدرة فيما يجب اعتقاده 204-205 له أيضاً.

(2) الدرة فيما يجب اعتقاده 204 .

(3) الحكومة الإسلامية 52 .

(4) الإعلام بقواطع الإسلام 75 .

(5) وقد نقد ابن الجوزي رسالة القشيري ووصفها بأنها تخليط ليس بشيء (تلبيس إبليس ص165).

(6) الرسالة القشيرية 128 .

(7) طبقات السبكي 174/5 محققة.

(8) الرسالة القشيرية 90 .

بلى ولكن منذ عرفتُ أن رحمن ما سألتُه أن يرحمني[1] وعن أبي يعقوب السوسي أن حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه[2]. وعرّف الصوفي بأنه: الذي لا يكون له إلى الله حاجة[3].

ونقل عن ممشاد الدينوري قوله: « منذ ثلاثين سنة تُعرَض عليّ الجنةُ فما أعرتُها طرفي[4] وعن أبي حفص قوله: « منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل »[5].

وسئل الجنيد عن المحبة[6] فقال: « دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المُحِبّ »[7].

وذكر القشيري أن حقيقة المحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبداً مع محبوبه[8] وذكر قصة خبيثة استدل بها الغزالي على تفضيل التواشيح والأغاني الصوفية على تلاوة القرآن[9] وعن الحلاج « من عرف حقيقة التوحيد سقط عنه لِمَ وكيف[10]. قلت: ومن مثل هذا النص أخذ الصوفية القول بسقوط التكاليف عن الأولياء.

يزعم ابن حجر المكي يزعم في شرح الأربعين النووية أن أولية النور المحمدي أولية مطلقة، وأن أولية ما سواه من

---

(1) الرسالة القشيرية 100 .
(2) الرسالة القشيرية 145 .
(3) الرسالة القشيرية 125
(4) الرسالة القشيرية 139 .
(5) الرسالة القشيرية 141 .
(6) قال ابن الجوزي: وكم من مرة أخذ الجنيد مع علمه وشهدوا عليه بالكفر والزندقة هو وطائفة كأبي سعيد الخراز وأحمد بن عطاء.. وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور (تلبيس إبليس 170 و173).
(7) الرسالة القشيرية 145 .
(8) الرسالة القشيرية 148 .
(9) الرسالة القشيرية 156 .
(10) الرسالة القشيرية 6 .

الماء والعقل والقلم: أولية نسبية[1].

السكوت عن انحرافات الصيادي

وفي كتابه (قلادة الجواهر 80) زعم أن إبراهيم الأعزب (خال أحمد الرفاعي) قال: « ناداني العزيز سبحانه وقال لي: إني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض. فقلت له: إلهي: من يعارضك في ملكك وإرادتك؟ فقال الله: سيدي إبراهيم. فأخذت إبراهيمَ الرعدةُ ووقع على الأرض ».

وزعم أن الرفاعي قال بأن الولي لا يعمل عملاً إلا عن إذن سماوي وأن كل شيخ لا يكتب الشقي سعيداً فليس برجل (قلادة 190-191).

وصرح الصيادي بأزلية نور النبي ρ فقال في قلادته: « اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز البا الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدنٍ وحيوان ونبات[2]. ويقول بأن الذكر: حفظ القلب من الوسواس... وإدراك الوحدة بالكثرة[3].

ويقول: « إن النبي ρ هو العلة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق » وأن مجرد تسمية الرجل ولده (محمداً) يكفي لدخول الجنة، وأن الله ينادي يوم القيامة: كل من اسمه محمد فلدخل الجنة[4] وزاد شيخه أحمد الرفاعي على ذلك فقال: «

---

(1) الدليل القويم 179-180 .
(2) قلادة الجواهر 249 .
(3) قلادة الجواهر 232 .
(4) عن كتابه ضوء الشمس 1: 104 .

كان هو ومولوده في الجنة »[1].

ويزعم أن شيخه الرفاعي يحيي ويميت[2] ويحمي أتباعه إلى يوم القيامة ويُدخلهم الجنة أمامه[3] ويطّلع على المقدور والمكتوب فيغير الشقي سعيداً[4] ويشتري لأتباعه أراض وقصوراً في الجنة على غرار صكوك الغفران عند النصارى[5] وأن السماوات والأرض صارتا في رجله كالخلخال[6].

سكوته عن انحرافات السهروردي

السهروردي يحتج بكلام الحلاج[7] ويدعو إلى التخلق بأخلاق الله[8] ويزعم أن الصوفي لا يزال يترقى حتى يطلب رؤية ربه فيقول: « لا أعبد رباً لم أره »[9] { **أرنَا اللَّهِ جَهْرَةً** }. ولا يكون الصوفي صوفياً حقاً (فقيراً) حتى لا يكون له إلى الله حاجة[10] وأن من علامات الركون إلى الدنيا: الزواج وكتابة الحديث (حديث رسول الله ρ) وطلب المعاش[11] وأن خير حال المرء أن يبقى عزباً بلا زوجة وأن الزواج انحطاط وانغماس في الدنيا وخروج من الزهد. وأن من تعوّد أفخاذ

---

(1) كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 140 .
(2) قلادة الجواهر 73 و145 ، وطبقات الأولياء لابن الملقن 99 .
(3) قلادة الجواهر 233 .
(4) قلادة الجواهر 103 و193، وطبقات الأولياء لابن الملقن 98 .
(5) قلادة الجواهر 70، روض الرياحين 440، جامع كرامات الأولياء 296/1، الكواكب الدرية 214 لليافعي.
(6) طبقات الشعراني 142/1، الفجر المنير 19 .
(7) عوارف المعارف 48/5 .
(8) عوارف المعارف ملحق بالإحياء 73/5 .
(9) عوارف المعارف 75/5 .
(10) عوارف المعارف 103، والرسالة القشيرية 125 .
(11) عوارف المعارف 104/5 .

النساء لا يفلح »[1].

ويقول عبد السلام بن مشيش الشاذلي: « اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة »[2].

سكوته عن انحرافات الغزالي

كقوله: « ليس في الإمكان أفضل مما كان »

قال أبو حامد الغزالي: « ليس في الإمكان أفضل مما كان » أي ليس في إمكان الله خلق العالم بأفضل مما هو عليه الآن، هذه الكلمة التي كانت أحد أسباب حملة العلماء عليه كالطرطوشي والمازري وأبي بكر ابن العربي، وابن الجوزي وابن الصلاح. حتى قال الطرطوشي فيه: « ولقد كاد ينسلخ من الدين... فسقط على أم رأسه »[3]. وقال ابن حزم: « ومن قال إنه ليس عند الله أصلح مما عمل بنا ... فهو كافر »[4].

وقد كتب الغزالي كتاب « الإملاء عن إشكالات الإحياء » أصرّ فيه على عدم بطلان هذه العبارة التي قالها في كتابه «إحياء علوم الدين» واتهم فيه المعترضين عليها بأنهم محجوبون عن الفهم والعلم[5]. واعترف البيجوري بصحة نسبة هذه العبارة إلى الغزالي وأنه شنع عليه جماعة من العلماء بأن فيه نسبة العجز إلى الله[6]. واستعرض الزبيدي أقوال المشنعين على الغزالي لهذا القول منهم تلميذه أبو بكر ابن العربي، وقال القرطبي: « قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة لله موضع انتقاد.

---

(1) عوارف المعارف 104/5-105 .
(2) النفحة العلية في أوراد الشاذلية 16 .
(3) انظر: طبقات السبكي 243/6 و253 محققة.
(4) الدرة فيما يجب اعتقاده 311 .
(5) الإملاء على هامش الإحياء 13/5 .
(6) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد 40 .

ومنهم أبو عبد الله المازري وأبو الوليد الطرطوشي وابن المنير الذي كتب كتاباً بعنوان الضياء المتلألئ في تعقب الإحياء للغزالي قال فيه: « المسئلة المذكورة لا تتمشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة ». وابن الصلاح ويوسف الدمشق. وبدر الدين الزركشي الذي قال في تذكرته: « هذه من الكلمات العقم التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع ». ومنهم إبراهيم البقاعي تلميذ الحافظ ابن حجر الذي صنف ثلاث رسائل في الرد على الغزالي أولها: المقصد العالي. والثانية: تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان. والثالثة: دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان. ثم ذكر أقوال المنتصرين لقوله المتعصبين له »[1].

وصرح الغزالي بأن أولياء الصوفية لا يريدون الجنة ولا يأبهون لها وإنما يريدون مجالسة الله وإنما الجنة مأوى من لا شغل لهم إلا شهوة البطن والفرج. وهذا القول هو كفر، ونقل ابن حجر الهيتمي قول أهل العلم بتكفير من قال: إن أعطاني الله الجنة لا أريدها »[2].

علامات تحيز السبكي المتعصب

كتب السبكي كتاب « الإيضاح والبيان عن معنى ليس في الإمكان »[3] دافع فيه بعصبية عن هذه العبارة الطاعنة في قدرة الله عزّ وجلّ.

طعن الغزالي في النبوة
اختبار آخر لدعوى الغيرة على الدين

قال الحبشي: « من ادعى أن النبوة مكتسبة أو أنه يبلغ

---

(1) إتحاف السادة المتقين 442/9-460 .
(2) الإعلام بقواطع الإسلام 67 .
(3) مخطوط بمكتبة شيستربتي بإيرلندا.

بصفاء القلب إلى مرتبتها أو ادعى أنه يوحى إليه وإن لم يدّع النبوة: فهو كافرٌ بالإجماع »[1].

اقتدى الغزالي بالفلاسفة في تقسيم خصائص النبوة إلى ثلاث: قوة التخييل وقوة العقل وقوة النفس. وهذا نفسه هو كلام الفلاسفة الذين يقولون إن النبوة مكتسبة[2].

قال الغزالي: « إن في الأولياء من يكاد يُشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء »[3].

قال: « ووراء العقل طورٌ آخر تنفتح فيه عين أخرى يُبصِرُ بها الغيبَ وما سيكون في المستقبل. وقد أبى بعض العقلاء مدركات النبوة واستبعدها وهذا عين الجهل.. وقد أعطى الله خلقه أنموذجاً من خاصة النبوة.. فالنبوة عبارة عن طورٍيحصل فيه عين لها نور، يحصل لها نورٌ يظهر في نورها الغيب »[4].

« بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة وينتهي الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم »[5].

« فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة والكتب بل بالزهد في الدنيا »[6] « وهذه الرحمة ليست موقوفة على الأنبياء وحدهم وإنما هي ممنوحة لكل من يستعد لتزكية النفس

---

(1) الدليل القويم 148، الإعلام بقواطع الإسلام 74 .
(2) 135-137 ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
(3) مشكاة الأنوار (40) مجموعة القصور العوالي.
(4) المنقذ من الضلال 35-45 .
(5) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة 130 .
(6) الإحياء 18/3 .

وتطهيرها »[1].

قال الغزالي: « واطو الطريق: فإنك بالواد المقدس طُوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلك تجِد على النار هدى، ولعلك من سُرادقات العرش تُنادي بما نودي به موسى { **إنِّي أنَا رَبُّكَ** }[2].

قال: « وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلُفّ رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية[3].

ويروي الغزالي (ضمن حكايات المحبين لله وأقوالهم وأحوالهم) عن أبي تراب النخشبي الصوفي قوله لتلميذه: « ويلك! أتغتر بالله! والله لو رأيت أبا يزيد البسطامي مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة » ويروي عن البسطامي قوله: « قولك: سبحان الله: شرك »[4] علق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله: « وهذا فوق الجنون بدرجات » (تلبيس إبليس 354).

ويشبه الغزالي أفعال المخلوقات بالدّمى التي يظن الناظر إليها أنها تتحرك من تلقاء نفسها[5] وإنما تحركها خيوط عنكبوتية ممتدة من السماء حُجِبَ العوامُّ عن رؤيتها ورآها الخواص من أهل الكشف!.

ولهذا تكرر قوله كثيراً بأنه (ليس في الوجود إلا الله

---

(1) ميزان العمل 22 .
(2) الإحياء 251/4 .
(3) الإحياء 76/3 .
(4) الإحياء 356/4 و358 .
(5) الإحياء 97/4 .

وأفعالـه)[1]. وذكر الزبيدي أن من المصرحين بأنه ليس في الوجود إلا الله هو ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية[2].

سكوته عن انحرافات النابلسي

كتب عبد الغني النابلسي عن عقيدة وحدة الوجود كتباً منها:

- إيضاح المقصود من وحدة الوجود.
- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.
- حلّ رموز الدائرة الكبرى.
- اللؤلؤ المكنون في الإخبار عما سيكون[3].
- كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض وابن الفارض صاحب التائية الشعرية المشهورة التي يغازل فيها رب العالمين ويخاطبه بضمير الأنثى.

هل تحكمون بكفر الرفاعي
لقوله: إن الصوفي يؤتى كلمة (كن) فيكون؟

ذكر الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: « وإذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق: صار أمره بأمر الله تعالى: إذا قال للشيء كن فيكون[4]، وأنه جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون[5]. وقال علي بن محمد الدينوري: « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع

---

(1) الإحياء 330/1 و4: 86 و5: 30، جواهر القرآن 11، مشكاة الأنوار 18 .

(2) إتحاف السادة المتقين 560/9 .

(3) ألفه عام 1110 رقم 7504 تصوف بالظاهرية بدمشق.

(4) قلادة الجواهر 73 و145، المعارف المحمدية 47. وانظر: البرهان المؤيد 94 تحقيق الحبشي نفسه، وذكرها النبهاني عن ابن عربي 32/1 .

(5) قلادة الجواهر 147، طبقات الشعراني 142/1 .

الله »[1].

ونص القرافي أن هذا القول من الصوفية كفرٌ صريح، فنقل ابن حجر الهيتمي عن القرافي أنه قال: « وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطي كلمة (كن). قال: «وهذا كفر». فبماذا تحكمون على الرفاعي والصيادي الذي جعلها من مناقبه وكراماته!

وزعم النبهاني أن علي بن أبي طالب τ قال لعمر النبتيني: « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني وقل له يتصرف في الكون »[2].

سكوته عن انحرافات ابن عربي

قَلَب محيي الدين بن عربي معنى العذاب في النار إلى معنى العذوبة والراحة حتى قال[3]:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين

يُسمَّى عذاباً من عذوبة ... وذاك له كالقشر والقشر صاين

فقال له أهل العلم: « أذاقكم الله هذه العُذوبة ».

مواقف الآخرين من ابن عربي

- قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحلاج ما نصّه: « ولا أرى أحداً يتعصب للحلاج إلا أهل الوحدة المطلقة، ولهذا ترى ابن عربي يعظّمه ويقع في الجنيد »[4].
- وقال أبو حيّان النحوي بإلحاده لأنه يقول بوحدة الوجود[5].

---

(1) جامع كرامات الأولياء 158/2 .
(2) جامع كرامات الأولياء 135/2 .
(3) فصوص الحِكَم 94 .
(4) لسان الميزان 384/2، ترجمة الحلاج رقم (2808/647).
(5) تفسير البحر المحيط 449/3 .

- وذكر الذهبي بأنه « قدوة العالمين في القول بوحدة الوجود »[1].
- وقال شمس الدين ابن الجزري الشافعي بكفره. وأنشد يقول[2]:

دعا ابن العُرَيبيِّ الأنام بأعورة الدجال في بعض كتْبِهِ
وفرعونَ أسماه لكل محقق إماماً ألا تَبّاً له ولحزبِهِ

- وحكم تقي الدين السبكي بكفره حسبما حكاه الشيخ ملا علي قاري[3].
- وحكم القاضي زين الدين الكتاني بكفره[4].
- والشيخ نور الدين البكري بكفره[5].
- والشيخ ابن خلدون في مقدمته[6].
- صنف الشيخ برهان الدين البقاعي كتاب « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ».
- ونص ابن الملقن في طبقاته أن العز بن عبد السلام (أحد معاصريه) كان يحط عليه، وسأله ابن دقيق العيد عنه فقال: « هو شيخ سوءٍ كذّاب، يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجاً »[7].

ابن طولون حجة عليكم

---

(1) العبر في خبر من غبر 233/3، ميزان الاعتدال 108/3 .
(2) العقد الثمين للفاسي 173-174، وذكر العلامة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود 138، وانظر: صفحة رقم 130 .
(3) العقد الثمين 187/2-188، الرد على القائلين بوحدة الوجود 135 .
(4) العقد الثمين للفاسي 174/2-175 .
(5) العقد الثمين 175/2 .
(6) مقدمة ابن خلدون 323 و472، العقد الأمين 178/2 .
(7) سير الأعلام 48/23-49، طبقات ابن الملقن (153) ص469، ميزان الاعتدال للذهبي 659/3، الرد على القائلين بوحدة الوجود 34 .

وذكر ابن طولون الحنفي أن غالب فقهاء العرب وجميع المحدّثين بلغوا نحواً من خمسمائة إلى تكفيره. ذكر منهم: علاّمة زمانه تقي الدين ابن تيمية وكمال الدين الأدفوني وأبو زرعة والعيني وحافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وابن الصلاح وابن دقيق العيد وبدر الدين بن جماعة وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي[1].

وشنع عليه السعد التفتازاني في كتاب «فاضحة الملحدين»[2]. ولعله بعنوان آخر «الرد والتشنيع على كتاب الفصوص» الذي قال عنه الذهبي: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر»[3].

سكوته عن انحرافات النبهاني الضال

ذكر النبهاني جملة من «أصحاب الكرامات» منهم:

(إبراهيم الملقب بـ(جيعانة): من كراماته أن امرأة أتته وسألته الدعاء وأمرّت يدها على أطماره الرثة ثم أمرّتها على وجهها، وهناك فقيهان روميان فقال أحدهما: يا حرمة تنجست يدك بما مرّت عليه. فنظر الشيخ إليه مغضباً ثم جلس وغاط ثم نهض فتقدم الفقيه المنكر وجعل يلعق غائطه ورفيقه متمسك بأثوابه ويضمه ويقول: ويلك هذا غائط الشيخ! إلى أن لعق الجميع ببعض التراب، فلما نهض جعل يعاتبه فقال: والله ما لعقت إلا عسلاً[4].

(إبراهيم العريان) كان يخطب الجمعة بالناس وهو عريان... فيحصل للناس بسط عظيم[5].

---

(1) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية 538/2-539 .
(2) مخطوطة محفوظة بمكتبة برلين 2891 حسب بروكلمان 35/2 .
(3) سير أعلام النبلاء 48/23 .
(4) جامع كرامات الأولياء 240/1 .
(5) جامع كرامات الأولياء 246/1 .

(عبد الكريم الدمشقي) سألوه: هل تستطيع أن تشرب كل ما في هذه البركة؟ فقال: إملأوها. فأخذه حال عجيب ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليلة (ذَكَرِهِ) ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرجه من إحليله إلى أن فرغت البركة. قال النبهاني: وهي من أعظم كراماته[1].

(عبد الله الذي كان يطحن الحشيش) من كراماته أنه كان كل من أخذ من حشيشه (τ) وأكل منه يتوب لوقته ولا يعود لها أبداً[2].

(عبد الوهاب الشعراني) من كراماته أن علي بن أبي طالب τ قال لعمر النبتيني: « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني وقل له يتصرف في الكون »[3].

(علي بن محمد الدينوري) قال: « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله »[4].

(علي العمري) من كراماته ما رواه الحاج إبراهيم، قال: دخلت الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي ولم يكن في الحمام غيرنا. قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها وهي أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ إحليله (أي ذكره) بيديه الاثنتين من تحت إزاره بحيث طال طولاً عجيباً بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه، والخادم يتلوى من شدة الألم فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله إلى ما كان عليه. قال الحاج إبراهيم: ففهمت أن الخادم عمل عملاً يستحق التأديب فأدبه الشيخ بهذه الصورة

---

(1) جامع كرامات الأولياء 102/2 .
(2) جامع كرامات الأولياء 125/2 .
(3) جامع كرامات الأولياء 135/2 .
(4) جامع كرامات الأولياء 158/2 .

العجيبة.

قال النبهاني: « ولما حكى لي ذلك الحج إبراهيم حكاه بحضور الشيخ الذي كان واقفاً فقال لي الشيخ لا تصدقه، وأخذ يدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليل فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل أبداً، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته »[1].

ومن كراماته أنه كان في بلد الشيخ علي رجل قليل الحياء معجباً بإحليله فكان يمازح الشيخ إذا رآه ويضع يده على إحليل نفسه ويقول له هل عندك مثل هذا؟ فضربه الشيخ بيده وقال له اذهب فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء[2]. ا.هـ. (يا لمصيبة هذه الأمة).

(عيسى بن نجم البرلسي) مكث سبع عشرة سنة بوضوء واحد[3].

(ولي الله الديوث) حكى الشيخ نور الدين الشوني أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ وكن الناس يسبونه ويصفونه بالتعريض وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبداً[4].

أحاديث باطلة يحتج بها الحبشي

اثنان خير من واحد... فإن الله لن يجمع أمتي على ضلالة: فيه البختري بن عبيد. قال الحافظ في (التقريب 642) «ضعيف متروك».

أحبوا العربية لثلاث: لأني عربي. والقرآن عربي. ولسان أهل الجنة عربي احتج به نبيل الشريف (مجلة منار الهدى

---

(1) جامع كرامات الأولياء 208/2 .
(2) جامع كرامات الأولياء 214/2 .
(3) جامع كرامات الأولياء 228/2 .
(4) جامع كرامات الأولياء 327/2 .

30/2) موضـوع. قالـه السيوطي فـي (اللآلـئ المصنوعة 442/1). وقـال الشيخ محمد الحوت: «متكلم فيه» (أسنى المطالب 49). لكن يبدو أن التحديث بـه ضرورة مشاريعية حبشية وذلك تمشياً مع الخط العروبي.

إن الله قد أجاركم من ثلاث... وأن لا تجتمعوا على ضلالة: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصي. قال الحافظ في (التقريب 5735): «عابوا عليه أنه حدث عن أبيه من غير سماع» وفيه ضمضم بن زرعة. قال الحافظ في (التقريب 2992): «صدوق يهم».

إن الله تعالى أجارني على أمتي من ثلاث... ولا يستجمعوا على ضلال: فيه جنادة بن مروان. قال الذهبي في (الميزان 1073): «اتهمه أبو حاتم».

إن أمتي لا تجمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم: فيه أبو خلف الأعمى. واسمه حازم بن عطاء قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي: «وقد جاء الحديث بطرق كلها فيها نظر». غير أن الألباني قد حسنه بمجموع طرقه.

سألته (أي الله) أن لا يكفر أمتي جملة فأعطانيها (منار الهدى 23/39) ذكره ابن عبد الله الحبشي زعموا أن الداعية الإسلامي الكبير. وعلق على الحديث بقوله: «أي الأكثر يبقى على الإسلام وإن كفر القليل فمعناه أن الجمهور يبقون على العقيدة الصحيحة».

وفيه مُعان بن رفاعة السلمي: قال الحافظ في (التقريب 6747): «ليّن الحديث كثير الإرسال» وقال الجوزجاني: «ليس بحجة».

إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم» (المقالات السنية 53) (موضوع) قاله ابن الجوزي في (الموضوعات

27/2) وفيه أيوب بن مدرك. قال ابن معين: (كذاب)، وقال الحافظ في (التلخيص 70/2): ضعيف.

انتظار الفرج عبادة (المقالات السنية 96) موضوع. فيه عمرو بن حميد. قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان 1917) والذهبي في (ميزان الاعتدال 6356): «ذكره السليماني في عداد من يضع الحديث» وذكر أنموذجاً لموضوعاته وهو نفس الحديث «انتظار الفرج عبادة». قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص138): «رواه الترمذي وقال فيه مقال».

أوحى الله إلى عيسى: «آمن بمحمد، فلولاه ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار» (المقالات السنية 106) صححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: «أظنه موضوعاً»وفيه عمرو بن أوس الأنصار قال الذهبي في (الميزان 6330): «يُجهل حاله وأتى بخبر منكر» ثم ساق هذا الحديث. وأقر الحافظ الذهبي على ذلك في (اللسان 6248).

لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله (حديث أبي أيوب الأنصاري أنه وضع رأسه على قبر النبي ρ : فيه داود بن أبي صالح «حجازي لا يعرف» (تهذيب التهذيب 188/3 وميزان الاعتدال رقم 2617) وفيه كثير بن زيد: صدوق يخطئ وضعفه النسائي وقال ابن معين: «ليس بذاك» (تهذيب التهذيب 414/8). وقد أوقف السبكي في (شفاء السقام ص) جواز مس قبر النبي ρ على هذا الحديث.

سيخرج في ثاني عشر قرناً في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور: من أكاذيب أحمد بن زيني دحلان (الدرر السنية في الرد على الوهابية ص55).

في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً: رواه ابن عمر مرفوعاً. فيه عيسى بن شاذان. قال ابن حبان: «يغرب». قال الألباني:

«وأنا أخشى أن يكون الحديث تحرف على أحدهما فقال (قُبِرَ) بدل (صلى) لأن هذا اللفظ الثاني هو المشهور في الحديث فقد أخرج الطبراني في (الكبير 1/115/3) بإسناد رجاله ثقات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً: «صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً» (انظر تحذير الساجد 105).

كانوا إذا أتوا مسجد النبي ρ قاموا إلى رمانة المنبر القرعا فمسحوها: فيه زيد بن الحباب: صدوق كثير الخطأ. وفيه أبو مودودة (مقبول) والرواية التي تلي هذه عند ابن أبي شيبة أوثق منها.

ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني: قال الذهبي: «إسناده لين وهو منكر» (سير الأعلام 358/1). وقال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان ترجمة رقم 107): «وهي قصة بينة الوضع». قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطال ص593): «لا أصل له كما قال ملا علي القاري».

«ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن...» (المقالات السنية 113). ضعيف (ضعيف الجامع 5211).

من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة: صحح طرقه الألباني في تخريج السنة.

«من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً»[1].

ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر: ضعفه الألباني في كتابه «دفاع عن الحديث» 109.

من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب... كانوا له شفعاء إلى الله. (منار الهدى 32: 74) فيه:

إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة. ولا حجة بتحسين الحافظ له في الفتح

(1) شفاء السقام 16، ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص 267/2 .

(143/3)، والتلخيص الحبير (135/2)، فإن فيه علتان: يحيى بـن عبـد الله بـن الـضحك البـابلتي قـال عنــه الحــافظ نفـسه «ضعيف» (التقريب 7585) قال الهيثمي في المجمع (44/3) فيـه البـابلتي وهو ضـعيف. وشيخه أيـوب بـن نـهيك أشـد منـه ضعفاً. قال ابن أبي حاتم: «سمعت أبـي يقول: ضـعيف. وقـال أبو زرعة: لا أحدث عن أيوب بن نهيك وهو منكر الحديث» (الجرح والتعديل 259/2 ميزان الاعتدال 294/1). فالحـديث ضعيف جداً.

مـن زار قبـري حلـت لـه شـفاعتي: فيـه عبـد الله إبـراهيم الغفـاري وعبد الـرحمن بـن زيـد بـن أسـلم كلاهمـا ضـعيفان. فأحاديـث الحـث علـى زيـارة قبـر النبـي ρ بعـد وفاتـه ترتقـي بمجموعها إلى درجة الكذب عليه ρ فإنه لم يـصح منـهـا شـيء. ولا يجوز العمل بها وترك الحديث الـصحيح «لا تـشد الرحـال إلا إلى ثلاث».

«من زار قبري وجبت له شفاعتي» (صـريح البيـان 83)، هذا الحـديث مـروي مـن طريـق موسـى بـن هـلال العبـدي عـن عبيـد الله بـن عمـر عـن نـافع عـن ابـن عمـر. وهـو ضـعيف وتجتمع فيه علل عديدة منها جهالة موسـى بـن هـلال هذا. قـال أبـو حـاتم: «مجهـول» وقـال العقيلـي: «لا يُتـابَع علـى حديثـه» وقـال ابـن عـدي: «أرجـو أن لا بـأس بـه». قـال الـذهبي: هـو صويلح الحديث، وأنكر مـا عنـده حديثـه عـن عبيد الله بـن عـر عـن نـافع عـن ابـن عمـر قـال رسـول الله ρ : «مـن زار قبـري وجبـت لـه شـفاعتي» كذا قالـه الحـافظ[1] وأشـارا كلاهمـا وابـن خزيمة وغيرهم إلى الاضطراب في الروايـة عـن عبد الله بـن عمر أو عن عبيد الله بن عمر. ذكر الـشيخ محمد بـن درويـش الحوت ضعفه في (أسنى المطالب ص434).

---

(1) (لسان الميزان 158/6، ميزان الاعتدال 225/4).

من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً: خرجه البيهقي في السنن وفي شعب الإيمان وقال: هذا إسناد مجهول.

من زار قبري وجبت له شفاعتي: ضعفه السيوطي والألباني (إرواء الغليل 1127، اللآلئ المصنوعة 129/2).

من لم يزر قبري فقد جفاني: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات 217/2 .

«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»[1]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص467): «لا يصح».

من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني: قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: «ذكره ابن الجوزي في الموضوعات» (الإحياء 258/1).

من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً. ضعفه الحافظ في التلخيص 267/2 .

«من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة»: نقده الذهبي في ميزان الاعتدال ترجمة رقم (9168).

من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي: ذكره السيوطي في (الأحاديث الموضوعة 130/2) ونقل الحافظ عن ابن خزيمة قوله: «إن الثقة لا يروي هذا الخبر المنكر. ونقل عن العقيلي أنه لم يصح في هذا الباب شيء» ثم أكد الحافظ بنفسه أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وأن أصح شيء في هذا الباب هو حديث ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام (التلخيص الحبير 267/2).

«من حج ولم يزرني فقد جفاني» (المقالات السنية 144) فيه ابن عدي. نعمان بن شبل قال الحافظ في التلخيص ضعيف

---

(1) شفاء السقام 20 ضعيف، انظر: الإرواء 1128، وسلسلة الضعيفة 47، ومشكاة المصابيح 2756 .

جداً. قال الذهبي: موضوع (ميزان الاعتدال رقم 9095) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (217/2) واعترف الحبشي بوضعه ومع ذلك احتج به. وفيه محمد بن محمد بن النعمان قال الحافظ في اللسان: طعن فيه الدراقطني واتهمه.

أن ابن عمر أنه خدرت رجله فقال: (يا محمد) فيه محمد بن مصعب القرقسائي (ضعيف) وفيه الهيثم بن حنش (مجهول العين) وفيه أبو إسحاق السبيعي (مجهول ومدلس ومرمي بالتشيع وقد اختلط) وفيه غياث بن إبراهيم (كذاب). الرواية التي عند البخاري في الأدب المفرد فيها أبو إسحاق السبيعي عدله الذهبي وهو خبيث عندهم.

أن رجلاً كان يتردد على عثمان فلم يكن يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ملصقة بحديث الضرير: فيه شبيب بن سعيد. قال الذهبي: «صدوق يغرب» وقال ابن عدي: «شبيب لعله يلغط ويهم إذا حدّث من حفظه».

«إقرأوا على موتاكم يس» اجتمعت فيه ثلاث عللك كما قال الحافظ (التلخيص 104/2).

«هي المانعة هي المنجية» أي سورة تبارك (المقالات السنية 117). فيه يحيى بن عمرو النكري رماه حماد بن زيد بالكذب وضعّفه أبو داود وذكر الذهبي من مناكيره هذا الحديث (الميزان رقم 9595). وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص96): «قال الدارقطني ضعيف مجهول المتن».

«اقرأوا يس على موتكم» (إظهار العقيدة السنية 210) واحتج بتصحيح ابن حبان تاركاً وراءه تضعيف الحفاظ الآخرين. وأنت تعلم تساهل ابن حبان في التصحيح. وهذا الحديث قد اجتمعت فيه عللٌ عديدة كما بيّنه الحافظ ابن حجر في التلخيص، منها: 1- جهالة أبي عثمان 2- جهالة أبيه 3-

الاضطراب: فقد أعله ابن القطان بذلك. وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ولا يصح حديث في الباب[1].

«يس قلب القرآن...» (إظهار العقيدة السنية 210) وطرفه «البقرة سنام القرآن» (المسند 26/5) وهذا إسنادٌ ظاهر الضعف، وفي الإسناد ما يلي: «عن رجل عن أبيه»!! فمن هو هذا الرجل ومن هو أبوه؟ لعله أبو عثمان غير النهدي وأبوه كما في الحديث السالف وكلاهما مجهول الحال. (انظر الميزان 550/4).

من دخل المقابر فقرأ سورة يس: هذا إسناد مظلم هالك مسلسل بالعلل: فيه أبو عبيدة وأحمد بن يزيد الرياحي (مجهولان) وأيوب بن مدرك (ضعيف بل كذاب).

من زار قبر والديه فقرأ عنده يس: شهد السيوطي بأنه من (الموضوعات 440/2) وقال: قال ابن عدي: هذا إسناد باطل فيه عمرو بن زياد وهو متهم.

«ليهبطن عيسى بن مريم حكاً...» احتج به الحبشي (الدر المفيد 13) عند مسلم، ولكن الجزء الأخير منه (وليأتينّ قبري) عند الحاكم (595/2) صححها ووافقه الذهبي. وفيه ثلاث علل: الأولى: جهالة عطاء قال عنه الذهبي: (لا يُعرَف تفرّد عنه المقبري). الثانية: عنعنة ابن إسحاق، فإنه مدلس مشهور بذلك. أما محاولة الأحباش لتوثيقه فنقول: قد روى أبو إسحاق السبيعي حديث «إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمِع له أطيط كأطيط الرحل الجديد» (رواه أحمد في السنة 301/1 حديث رقم 585). فإذا كنتم توثقون أبا إسحاق من أجل تصحيح رواية ابن عمر (يا محمد) فأثبتوا روايته أن الله يجلس على العرش. أما نحن فنضعف كلا الروايتين. ثم

(1) التلخيص الحبير 104/2، إرواء الغليل للألباني (688).

الاختلاف عليه في إسناده كما بيّن ابن أبي حاتم في العلل (413/2) حين سأل أبا زرعة عن سند الحديث فأشار عليه بالرواية الصحيحة التي ليس فيها الزيادة التي عند الحاكم (وليأتينّ قبري)[1]. وقد صدق ابن تيمية حين ضعّف رواية الحاكم.

«لا ينبغي للمطي أن تُعمل» (المقالات السنية 138) فيه شهر بن حوشب صدوق كثير الأوهام كما في التقريب (2830) خالف الروايات الأخرى الصحيحة.

«من صلى عَلَيّ عند قبري سمعته» (المقالات 115). موضوع كما قال ابن الجوزي في (الموضوعات 303/1). فيه محمد بن مروان: متهم بالكذب كما عند الحافظ في (التقريب 6284) وعند ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل رقم 364) كذاب متروك الحديث لا يُكتب حديثه ألبتة. وقال العقيلي هذا الحديث لا يصح.

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص440) «ذكر تكذيب ابن الجوزي كذبه».

«حياتي خير لكم» ضعيف. فيه عبد المجيد بن عبد العزيز وروايته هذه شاذة لتفرده بهذه الزيادة (حياتي خير لكم..) على حديث (إن لله ملائكة سياحين). وهو متكلم فيه من قبل حفظه مع أنه من رجال مسلم. قال الحافظ العراقي في تخريج هذا الحديث في إحياء علوم الدين: «ورجاله رجال الصحيح إلا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف» (إحياء علوم الدين 148/4 وانظر نقل الزبيدي ذلك عنه في إتحاف السادة المتقين 176/9-177). وقد قال ابن

---

(1) لمزيد من التفصيل ارجع إلى السلسلة الضعيفة 647/3 .

حبان عن عبد المجيد: في المجروحين (205/2): «منكر الحديث جداً يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير: فاستحق الترك». وقال الحافظ في التقريب (4160): «صدوق يخطئ». وهذا الحديث معارض بالحديث الصحيح «ليردنّ عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول يا رب أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما يقول العبد الصالح { **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** }.

«إذا مات أحدكم فلا تحبسوه» (المقالات السنية 174) ضعيف جداً. فيه يحيى بن عبد الله بن الضحاك وهو ضعيف ضعفه أبو حاتم.

إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليه التراب. قال الحافظ العراقي: «أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف» (تخريج الإحياء 492/4) وقال النووي (المجموع 406/5) وقال الحافظ في (التلخيص 135/2) [وانظر المغني] «قيل لأحمد أنهم كانوا يفعلونه (أي التلقين) قال: «ما رأيت أحداً يفعله إلا أهل الشام...» محتجين بهذا الحديث. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد 324/2 و45/3): «وفيه من لم أعرفه جماعة».

أن أحمد صلى خلف ضرير كان يقرأ في المقبرة ففيه عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج. وقال النووي في الروضة: «الحديث الوارد في التلقين ضعيف».

أمرت بقتال الناكثين والقاسطين. فيه حكيم بن جبير: يترك حديثه.

من سب علياً فقد سبني (صريح البيان 116). فيه أبو إسحاق السبيعي: اختلط بأخرة. وقد اعترف الحبشي بضعفه في شريطه (10 الوجه الثاني).

أن معاوية أوصى ولده أن يقطع ابن الزبير أرباً. فيه أبو مخنف لوط بن يحيى الكوفي: شيعي محترق.

«إن لله ملائكة في الأرض يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدَكم عرجةٌ بفلاة من الأرض فليناد يا عباد الله أعينوا» (صريح البيان 58، إظهار العقيدة السنية 247، الإصدار الأول من المقالات السنية 46). ضعيف: ولا يحتج به أولاً: لأن فيه أسامة بن زيد الليثي قال الحافظ عنه في التقريب (317): «صدوقٌ يَهم» وقال أحمد: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتج به وقال النسائي: ليس بالقوي. وتركه القطان ويحيى بن سعيد وقال: «اشهدوا أني قد تركتُ حديثه»[1]. وقد روي موقوفاً بإسناد أجود من هذا عند البيهقي عن جعفر بن عون في شعب الإيمان (سلسلة الأحاديث الضعيفة 2: 111). وهو مع ذلك معلول بالوقف. ثانياً: أن أسامة تفرد به، وتفرّد ضعيف الحفظ يُعد منكراً إذا لم تؤيده أصول صريحة صحيحة. وأما قول الحافظ: (هذا حديث حسن الإسناد غريب جداً) فإنه معلوم أن حسن إسناده لا يدل على حسن الحديث دائماً. وحتى مع تحسينه فأنتم مطالبون بالمتواتر من السند لأنكم اشترطتم ذلك. ثالثاً: أن فيه حاتم بن إسماعيل الراوي عن أسامة «صحيح الكتاب صدوق يهم» (التقري 994) وقال الحافظ: «وقرأت بخط الذهبي في الميزان: قال النسائي ليس بالقوي» (التهذيب 128/2). وفي رواية أخرى من طريق أحمد بن يحيى الصوفي ثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني عن عبد الله بن عيسى عن زيد عن عتبة بن غزوان عن النبي ρ أنه قال: «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني» قال الحافظ: «أخرجه الطبراني بسند منقطع» قلت:

---

(1) تهذيب التهذيب 209/1 .

أضعف إلى الانقطاع أن فيه شريكاً النخعي وابنه عبد الرحمن وكلاهما موصوف بالخطأ والضعف وغير حفظ شريك (التقريب 3893 و2787) فاجتمع في الحديث الضعف والانقطاع.

أن معاوية كان يلبس الحرير ويفترش في بيته جلود النمور. فيه بقية أحاديثه ليست نقية فكن منها على تقية. ويقبل إذا أمن تدليسه.

أن معاوية قال بعد سماع حديث (النبوة ثلاثون) «رضينا بالملك». فيه علي بن زيد: ضعيف. أما حديث (النبوة ثلاثون) فهو صحيح وليس فيه هذه الزيادة.

«يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو؟ قال بل هو وسيلتك ووسيلة أبيك» ففيه محمد بن حميد الرازي: كثير المناكير ولم يدرك مالكاً.

استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فيه مالك الدار مجهول الحال، قال المنذري في الترغيب (2: 41): «لا أعرفه» وكذا قال الهيثمي في الزوائد (3: 125). وأما احتجاج الأحباش بأنه ثقة لأنه كان خازن عمر. فهذا توثيق في العدالة فأين توثيق الضبط ومن شرط الراوي الضبط والعدالة؟

قال الحافظ: «وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث» قلت: فأما سيف فهو سيف بن عمر الضبي ويقال الضبعي. قال أبو داود: «ليس بشيء» وقال ابن معين: «ضعيف» وقال ابن عدي: «عامة أحاديثه منكرة» وقال أبو حاتم والدراقطني: «متروك» وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات وقالوا: إنه كان يضع الحديث» وقال الحاكم: «اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط» (تهذيب التهذيب 295/4).

أسألك بحق السائلين عليك. (فيه عطية العوفي: كا يتشيع)

وصرح المنذري بضعفه ورواه النووي في (الأذكار ص58 باب ما يقول إذا توجه إلى المسجد) من روايتين في سند الأولى وازع بن نافع العقيلي: قال النووي: (متفق على ضعفه) وفي سند الثانية (عطية العوفي) قال النووي: «وعطية ضعيف». قال الذهبي: «قال عنه أحمد والنسائي وجماعة: ضعيف، وقال سالم المرادي كان عطية يتشيَّع» (ميزان الاعتدال 3: 79 تهذيب التهذيب 7: 224).

أن عبد الله بن عمر كان يزيد في التشهد «وحده لا شريك له» ويقول: أنا زدتُها (صريح البيان 75) وهذا الحديث عند أبي داود برقم (971) غير أن من يراجع الحديث الذي يليه (973) فسيجد أن هذه الزيادة من كلام النبي ρ وليست من زيادة ابن عمر، فلِمَ التلبيس والتمويه؟

لما اقترف آدم الخطيئة. رواه الحاكم وقال: «صحيح» (2: 615) قال الذهبي: «بل موضوع. ففيه عبد الرحمن الفهري وهو واه» وضعفه البيهقي في دلائل النبوة (489/5) وصرح السيوطي بضعف الحديث في مناهل الصفا في تخريج أحاديث «الشفا» (ص30) والزرقاني في شرح المواهب (76/1) (323/2) وملا علي القاري في شرح الشفا (215/1) والشهاب الخفاجي في شرح الشفا (242/2) وذكر الحافظ عن الحاكم وأبي نعيم أن عبد الرحمن بن زيد هذا كان يروي الأحاديث الموضوعة عن أبيه. وقال ابن الجوزي: «أجمعوا على ضعفه» وقال ابن حبان: «كان يقلب الأخبار» وقال ابن سعد: «ضعيف جداً» قال ابن الجوزي: «أجمعوا على ضعفه» (تهذيب التهذيب 178/6). ووصف الحافظ ابن حجر العسقلاني هذا الحديث بأنه «خبر باطل» في اللسان (442/3) ترجمة رقم (4815).

لا ربا بين مسلم وكافر حربي: أرسله مكحول وهو مدلس

ويروي عمن لم يسمع منهم.

أن النبي أتي ببرد قطري فوضعه على يده. رواه أبو داود في مراسيله والمراسيل لا تقوم بها حجة فضلاً عن أن يعارض بها ما هو أصح وأصرح منها كحديث عائشة عند البخاري (أني لا أصافح الناس).

قصة المولد الصريحة الكذب وفيها أن آمنة قالت وكنت أسمع تسبيح الملائكة حولي ثم أتاني ملك فقال إنك قد حملت بسيد المرسلين. وستأتي بتفاصيلها. ألم يكن الأجدر بخادم علم الحديث أن يتحقق من جهالة واضطرابات هذه الأحاديث التي يكتبها للناس قبل أن يتهم الذهبي بالتساهل في الحديث؟!

«إذا سألتم الله فسلوه بجاهي».

نحن لا نزعم أننا نبلغ عُشر عشر عشر مرتبة محدّث ولكننا مع ذلك لا نحل لأنفسنا أن نحدّث حديثاً واحداً موضوعاً، وبالرغم من أن الحبشي موصوف بأنه محدّث عصره فإنه لم يستفد من الحديث الذي يحفظه «من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» فشارك في الكذب على رسول الله ولم يكتف بالتساهل بأن يروي الضعيف لكنه احتج بالموضوع كما نقلنا لك مخالفاً العهد الأشعري أن لا يروي في العقائد إلا ما صح.

انظروا إلى قبر رسول الله فاجعلوا منه كوة إلى السماء: هذا قول عائشة. وفيه أوس بن عبد الله قال البخاري في إسناده نظر. وفيه محمد بن الفضل السدوسي: أبو النعمان البصري الملقب بـ(عارم). قال الحافظ: ثقة ثبت تغير في آخر عمره. وقال في الخلاصة: اختلط. وفيه سعيد بن زيد: قال الحافظ: صدوق له أوهام. قال النسائي ليس بالقوي. (التوصل 267). وقال السمهودي: قال ابن رشد في بيانه: أخبرني الثقة أنه لا

سقف لـه (أي القبر) فـي زمنـه تحـت سـقف المـسجد[1]. وفيـه عمرو بن مالك النكري.

الله الذي يحيي ويميت وهو حـي لا يمـوت... اغفـر لفاطمـة بنت محمد ولقنها حجتها... بحق نبيك والأنبيـاء مـن قبلـي: فيـه روح بـن صـلاح: ضـعفه الجمهـور. وخـالفهم ابـن حبـان جريـاً على عادته في توثيق المجروحين. وممـن ضـعفه الـدارقطني. قال المناوي في فيض القدير (28/1): «الدارقطني لا يـضعف إلا من لا طب فيه». وهو تفرد بالحديث.

وقد اجتمع في الرواية آفتان: ضعف روح وتفرده.

(أن أعرابيـاً جـاء قبـر النبـي ρ فقـال... ولـو أنـهم إذ ظلمـوا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله...). فيـه الهيـثم بـن عـدي كـوفي. قال يحيى بن معين: ليس بثقة كذاب (التوصل 279).

قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ρ بثلاثة أيـام (وهـو العتبي) قال الخطيـب فـي (تـاريخ بغـداد 326/2) وابـن خلكـان (وفيات الأعيان 523/1) «مات سنة 228هـ». فكم كان عمـره لمـا دخـل قبـر النبـي ρ؟ وفيـه أبـو صـادق لـم يـدرك عليـاً. قـال الحافظ: (في التقريب 8167): «حديثه عن علي مرسل».

على أن روايـة العتبـي جـاءت مـن طريـق آخـر فيـه الحـسن الزعفراني عن الأعرابـي (أي العتبـي) وهـذا الزعفرانـي مـات سنة (249) فكيـف يمكـن لكليهمـا أن يكونـا معاصـرين لعائـشة رضـي الله عنهـا؟ (التوصـل 282). فـسند الروايـة منقطـع ضـعيف ولـو حكـاه مـصنفو كتـب المناسـك كمـا عـول عليـه السبكي في (شفاء السقام 82).

ثم كيف تشتهر هذه الحادثـة (المفترضـة) لمجـرد أن فعلهـا أعرابي ولا يـشتهر شـيء مثلهـا عـن أحـد مـن الـصحابة. كيـف يفهم أعرابي هذه الآية ويطبقهـا علـى وجـه لـم يفهمـه الـصحابة

---

(1) وفاء الوفا 549/1 .

ولم يطبقوه؟.

اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك... لا سند له (التوصل 290).

أن أعرابياً جاء إلى النبي ρ يستسقي به وأنشد أبياتاً منها:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأنى فراد الخلق إلا إلى

فيه مسلم الملائي قال الحافظ في (التقريب 6641): (ضعيف) (التوصل 301). وأين هذا من قول الله تعالى: { **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** } ثم يأتي قوم ويقرون هذا الشعر الشنيع وقد نقله متعصب متقدم وهو السبكي (شفاء السقام 170).

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... قاله أبو طالب: خذوا عقيدتكم منه وتمسكوا بها. وهل كان الصحابة يستسقون بوجهه؟ أم أن ذلك قولاً لأبي طالب تذكره صحابي ولم يثبت عن أحد من الصحابة فعله. بل تركوا التوسل بالنبي ρ وتوسلوا بالعباس بعد موته؟ لماذا لا تقولون الصحابة وهابيون؟

أن سواد بن قارب أنشد قصيدة للرسول لم ينكرها عليه ρ . وفيها:

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو بمغن فتيلا عن سواد بن

كافة طرقه ضعيفة: فيه زياد بن يزيد بن بادويه ومحمد بن نواس الكوفي. ومحمد بن السائب الكلبي. والعلاء بن يزيد كان يضع الحديث. (التوصل 308).

أنسيت يا هذا أن الشفاعة لله. وأنت بهذه الرواية تنفيها عنه. أنسيت أن الله يقول يوم القيامة: ذهبت شفاعة الشافعين: وبقيت شفاعة أرحم الراحمين؟

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أجرني من

النار. فيه مالك بن لولا عباد ركع وصبية رضع: عبيدة وأبوه عبيدة مجهولان (التوصل 314).

قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك... فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة.

من سره أن يوعيه الله القرآن... فيه موسى بن عبد الرحمن: كذاب.

(كانت يهود خيبر تقاتل غطفان... اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي...) فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة: كذاب. قال السيوطي في الدر المنثور (170/1): «سنده ضعيف» ورواه الحاكم في المستدرك (263/2) وقال: «أدّت الضرورة إلى إخراجه» قال الذهبي معلقاً: «لا ضرورة في ذلك فعبد الملك متروك هالك». مع أن الحاكم قد جرح عبد الملك في المدخل (170/1) فقال: «روى عن أبيه أحاديث موضوعة». ثم إن الصحابة ما فهموا هذا الذي يفهمه الحبشي وإلا لسارعوا إلى التوسل بالنبي ρ أثناء حروبهم. غير أنهم لم يكونوا يسألون الله بحق نبيهم ρ وهم في الحروب.

اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين. ذكره الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ زين الدين العراقي: «ضعيف» (إحياء علوم الدين 225/2).

أين كان ربنا؟ كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء: فيه وكيع بن حدس ضعيف (البيهقي في الأسماء والصفات 479) بل ضعفه الكوثري (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة 150).

وضعفه الغماري في تعليقاته على التمهيد (137/7).

اللهم بحق هذه الدعوة التامة: فيه محمد بن عون الخراساني، قال النسائي متروك وقال البخاري منكر الحديث. (راجع قول الحافظ فيه).

{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ }.

إذا خفي عليكم شيء فابتغوه في الشعر: **{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ }** هذا يوم كرب وشدة[1]: (روايتان منسوبتان لابن عباس) رواه الطبري (24/29) والحاكم (المستدرك 499/2) والبيهقي (الأسماء والصفات 436) والسيوطي (الدر المنثور 254/8) من طريق عبد الله بن المبارك: أنبأ أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس. فيهما أسامة بن زيد بن أسلم القرشي العدوي أخو عبد الله بن زيد بن أسلم. وهذا الأثر مضطرب سنداً ومتناً. فتارة يرويه مقطوعاً على عكرمة وأخرى موقوفاً على ابن عباس، ثم إذا خفي علينا شيء ابتغيناه في سنة رسوله ρ أو فهم صحابته.

يكشف عن أمر شديد[2]: إسناده منقطع إبراهيم النخعي لم يدرك ابن عباس.

عن شدة الآخرة[3]: مسائل نافع بن الأزرق الخارجي. ومن طريق آخر عند الطبري عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم. هذه الطريق ضعفها السيوطي في الإتقان فالضحاك لم يدرك ابن عباس وجويبر متروك.

عن بلاء عظيم[4]: في السند من لا تجد له ترجمة.

يكشف الأمر وتبدو الأعمال[5]: رواه الطبري (24/29) والبيهقي (الأسماء والصفات 438) من طريق محمد بن سعد بن الحسين بن عطية: حدثني أبي: حدثني الحسين بن الحسن بن عطية: حدثني أبي عن جدي عطية بن سعد عن ابن عباس: إسناد ضعيف جداً مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء.

---

(1) المنهل الرقراق 17 .
(2) المنهل الرقراق 29 .
(3) المنهل الرقراق 26 .
(4) المنهل الرقراق 29 .
(5) المنهل الرقراق 22 .

هو الأمر الشديد المفظع في الهول: رواه الطبري (24/29) والبيهقي (الأسماء والصفات 437) من طريق عبد الله بن صالح بن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فيه علتان: الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس كما قرره في (التقريب 362) وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث: ضعفوه من قبل حفظه.

عن أمر عظيم كقول الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق[1]: منقطع فيه إبراهيم النخعي: لم يدرك ابن عباس.

يريد يوم القيامة والساعة لشدتها[2]: فيه محمد بن الجهم وهو مجهول الحال.

شدة الآخرة[3]: إسناده مظلم. فيه مقاتل بن سليمان: ضعفوه.

عن شدة الآخرة[4]:

كان أهل الجاهلية يقولون: شمرت الحرب عن ساق[5]: فيه علتان: الانقطاع بين الضحاك وبين ابن عباس. وجهالة شيخ الطبري الذي لم يسمه.

موت الغريب شهادة (مجالس الهدى 927/29) موضوع. فيه عمرو بن الحصين: كذاب. رواه ابن الجوزي في الموضوعات (221/2).

من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة: قال الحافظ العراقي: «معضل. فيه محمد بن النعمان مجهول، وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك» (الإحياء 490/4). قال السخاوي: «وفيه كذابان، ولو أن لهذا الحديث أصلاً لكان

---

(1) المنهل الرقراق 23 .
(2) المنهل الرقراق 24 .
(3) المنهل الرقراق 25 .
(4) المنهل الرقراق 26 .
(5) المنهل الرقراق 26 .

حجة في موضع النـزاع»[1].

يد الله مع الجماعة: فيه عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري. قال الحافظ في (التقري 4064): «ثقة حافظ تغير في آخر عمره وكان يتشيع».

أنا ابن الذبيحين: قال محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص36).

أبو حنيفة سراج أهل الجنة: قال محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص52): «زعم كثير من العلماء أنه لا أصل له».

أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص97): «قال المناوي في فيض القدير (84/2) فيه ضعف».

أنا جليس من ذكرني: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص136): «له طرق ضعيفة». أنا مدينة العلم وعلي بابها: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص137): «قال الترمذي: أنه منكر» وذكر الزبيدي أن ابن حبان قال: لا أصل له. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد (إتحاف السادة 244/6).

تلقين الميت بعد الدفن: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص168): «ضعفها ابن الصلاح والنووي وابن القيم والعراقي وابن حجر».

حب الدنيا رأس كل خطيئة: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص181): «جزم ابن تيمية والسيوطي بوضعه».

رد الشمس على سيدنا علي حين نام النبي في حجره: قال

---

(1) الفتاوى الحديثية 192 .

الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص224) «لم يثبت».

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص588): «أحاديث الأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد لم يصح منها شيء».

هذا قبر أبيك إبراهيم فأنزل فصل فيه. قال السبكي: «وأما قوله – أي ابن تيمية – في حديث «هذا قبر أبيك» كذب لا حقيقة له فصدق فيما قال» (شفاء السقام 133).

مر بي جبريل ببيت لحم فقال: انزل فصلّ هنا ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى: قال الذهبي: «فيه بكر بن زياد الباهلي: قال ابن حبان: دجال يضع الحديث» (ميزان الاعتدال 345/1).

انتهى الكتاب ولله الحمد.